قصيدة

بانت سعاد

في

مدح خير العباد صلى الله عليه وسلم
للصحابي الجليل سيدنا كعب بن زهير رضي الله عنه

شرح

الشيخ الامام العلامة والبحر الحبر
الفهامه أبي محمد جمال الدين عبد الله بن هشام
الانصاري تغمده الله برحمته
وأسكنه فسيح جنته
آمين

﴿وبهامشه حاشية الاسعاد على بانت سعاد
للامام الشيخ ابراهيم الباجوري﴾

يطلب من ملتزم طبعه
محمد على صبيح وأولاده بميدان الازهر الشريف بمصر

طبع بمطبعة محمد على صبيح وأولاده
بميدان الازهر الشريف بمصر

رجب سنة ١٣٤٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (أما بعد) حمد الله المنعم بالهام الحمد لعبيده حمدا موافيا لنعمه ومكافئا لمزيده والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وقدوة للعاملين محمد النبي الامى والرسول العربي حبيب الرحمن وخليله ورسوله المؤتمن على تبليغ رسالاته وأداء تنزيله الداعى بالحكمه والموعظة الحسنة الي سبيله وعلى آله وأصحابه مصابيح الظلم وينابيع الحكم وشآبيب الكرم فاني مورد فى هذا الكتاب قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه التى مدح بها سيدنا رسول الله ﷺ وأنشدها بحضرته الشريفه وبحضرة اصحابه المهاجرين والانصار رضي الله عنهم أجمعين ومردف كل بيت منها بشرح مايشكل من لغته واعرابه ومعناه للقول فى ذلك كله حقه ان شاء الله تعالى (والذى) دعاني الى هذا التأليف غرضان سنيان أحدهما التعرض لبركات من قيلت فيه صلى الله عليه وسلم والثاني اسعاف طالبي علم العربيه بفوائد جليلة أوردها وقواعد عديدة أسردها وبالله تعالى المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم (ولنقدم) بين يدي ذلك الكلام فى فصلين (أحدهما) ذكر شيء من أخبار كعب رضي الله عنه وسبب قوله هذه القصيدة فنقول هو كعب بن زهير بن أبي سلمى بضم السين واسم أبي سلمى ربيعة بن رياح بكسر الراء بعدها ياء آخر الحروف ثم حاء مهملة أحد بنى مزينة كان من فحول الشعراء هو وأبوه وكان عمر رضي الله عنه لايقدم على أبيه أحدا ويقول أشعر الناس الذى يقول ومن يشير الى قوله فى معلقته المشهوره

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام أسباب السماء بسلم
ومن يك ذا مال فيبخل بماله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن لا يزل يستحمل الناس نفسه * ولا يغنها يوما من الدهر يندم   ويروى يسأم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لايكرم نفسه لايكرم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لايظلم الناس يظلم

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي أنطق كعبا بذكر سعاد * تفاؤلا بها ففاز بالاسعاد * وسهل عليه طريق الرشاد * فجعله من أسعد العباد * وأشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له شهادة تنجى قائلها من هول يوم التناد وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله سيد العبيد والاسياد * صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه أولى التوفيق والسداد * الذين تابدوا فى محبته صلى الله عليه وسلم ومزجوا بها الاكباد (أما بعد) فيقول راجى عفو ربه الكريم * عبده الباجورى ابراهيم * لازال محفوفا بالالطاف والنعم * ومحفوظا من الآفات والنقم اعلم ان المدح رأس مال الشاعر الذى يعول عليه * ومقصده الذي يرجع فى التوسل للامور اليه * ولما لم يلق به صلى الله عليه وسلم تعاطيه عوضه الله سبحانه وتعالى بان جعل الشعراء مطبقين على مدحه بمالا يدنو بشيء مما هو فيه مسرعين اليه * مكبين عليه * حتى شحنت به الدفاتر ونفدت دون نفاده المحابر *

ثم ان من أبدع مامدح به رسول الله ﷺ قصيدة كعب * التى كانت على ناظمها أبرك كعب * المشهورة ببانت سعاد التي نال بها قائلها القرب من رب العباد * وقد انشدت بين يديه ﷺ فنالت أعلى المفاخر وقضت بالتقدم على ما للاول والآخر * وسبب هذه القصيدة ان كعب بن زهير بن أبي سلمى بضم السين ربيعة بن رياح بكسر الراء وفتح الياء المثناة آخر الحروف ثم حاء مهمله بن أدد بن طابخة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان كان من فحول شعراء العرب المجيدين * والمهرة المفلقين * وكذلك اخوه بجير لكن كان كعب أشعر من بجير وكان زهير أبوهما أشعر منهما وكان لكعب ابنان شاعران جليلان احدهما عقبة والآخر العوام * وما كان لهما نظير فى الخواص والعوام * وكان كعب ممن هجا النبي ﷺ قبل الاسلام فلما فتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة خرج ناس هاربين ومن جملتهم كعب وأخوه بجير خرجا من مكة حتي أتيا الى أبرق العزاف بفتح العين المهملة والزاى المشددة آخره فاء وهو رملة بالحجاز لبنى سعد كذا قال السيوطى وقال الشيخ الجمل وهو ماء لبنى اسد بين المدينة والربذة على عشرين ميلا من المدينة الشريفة وانما سمى بذلك لانه كان يسمع به عزيف الجن اي صوتهم فلما وصلا لذلك المكان قال بجير لكعب أثبت فى الغنم هنا (٣) حتى آتي هذا الرجل فاسمع كلامه واعرف ماعنده هل هو مايستملح ويلوح صدقه فاتبعه أم لا فاتركه فاقام كعب هناك ومضى بجير فاتي النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة الشريفة فسمع كلامه وآمن به وأقام عند النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ ذلك لاخيه كعب فشق عليه اسلام بجير فكتب اليه بهذه الابيات

ألا بلغا عنى بجير ارسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المامون كاسا روية فانهلك المامون منها وعلكا
ففارقت أسباب الهدى وتبعته على أى شيء ويب غيرك دلكا
على مذهب لم تلف أما ولا أبا عليه ولم تعرف عليه أخا لكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعا لكا

فقوله الا بلغا أصله بلغن بنون التوكيد قلبت الفا ويصح أن تكون ألفه للتثنية لان العرب يخاطبون الواحد بخطاب الاثنين وقوله فهل لك فيما قلت أى فهل لك ارادة فيما قلته من كلمة الشهادة وقوله ويحك كلمة ترحم تقال فيمن وقع فى مهلكة لا يستحقها فترحم عليه بها بخلاف ويلك فانها كلمة تقال لمن وقع فى مهلكة يستحقها وقوله هل لكا تأكيد للاولى وقوله سقاك بها أى بكلمة الشهادة التي دلت عليها قرينة الحال والباء بمعنى من التبعيضية والمامون فاعل وكاسا مفعول به والمراد بالمامون النبي فقد كانت قريش تسميه المأمون والامين فهو كما قيل ومليحة شهدت لها ضراتها * والفضل ماشهدت به الاعداء والكاس القدح اذا كان فيه الشراب وروية فعيلة بمعنى مفعلة أى مروية وقوله فانهلك المأمون منها أى فاسقاك المامون من تلك الكاس نهلا النهل بالتحريك الشرب الاول وقوله وعلكا أي واسقاك منها عللا والعلل بالتحريك الشرب الثانى وقوله ففارقت أسباب الهدى أي بسبب زعمه حينئذ وقوله وتبعته أي المامون وقوله على أى شيء متعلق بدلكا بعده او بمحذوف أى ذلك على أي شيء أي دلك على شيء لا ينفع وقوله ويب غيرك أي هلكت هلاك غيرك فالويب بالواو الهلاك وهو بالنصب على اضمار الفعل وقد علمت ان الجار

ومن لا يصانع فى أمور كثيرة * يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

المنسم بفتح الميم وكسر السين طرف خف البعير (ومما يستحسن من شعر كعب رضي الله عنه)

لو كنت أعجب من شيء لاعجبنى * سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لامور ليس يدركها * والنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ماعاش ممدود له أمل * لا تنتهى العين حتى ينتهى الاثر

(وقوله أيضا)

ان كنت لا ترهب ذمى لما * تعرف من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتي اذ أنا منصت * فيك لمسموع خنى القائل
فالسامع الذم شريك له * ومطعم الماكول كالآكل
مقالة السوء الى أهلها * أسرع من منحدر مائل
ومن دعا الناس الى ذمه * ذموه بالحق وبالباطل

وولد كعب عقبة بن كعب وكان أيضا شاعرا مجيدا وولد عقبة بن كعب العوام بن عقبة بن كعب وكان شاعرا مجيدا وهو الذى يقول

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا * ملاحة عينى أم عمرو وجيدها
وهل بليت أثوابها بعد جدة * ألا حبذا أخلاقها وجديدها

وكان من خبر قول كعب رضى الله عنه هذه القصيدة فيما روي محمد بن سحق وعبد الملك بن هشام وأبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانبارى وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الانباري دخل حديث بعضهم فى حديث بعض أن كعبا وبجيرا ابنى زهير خرجا الى أبرق العزاف فقال بجير لكعب أثبت فى الغنم حتي آتي هذا الرجل يعنى النبي ﷺ فاسمع كلامه وأعرف ماعنده فاقام كعب ومضى بجير فاتي رسول الله ﷺ فسمع كلامه فآمن به وذلك ان زهيرا أباهما كان يجالس أهل الكتاب ويسمع منهم أنه قد آن مبعثه ﷺ ورأى زهير فى منامه أنه قد مد سبب من السماء وانه مد يده

والمجرور متعلق بقوله دلكا وقوله على مذهب متعلق بمحذوف دل عليه متعلق قوله على أي شيء ويصح العكس وقوله لم تلف أي لم تجد
وقوله فان أنت لم تفعل فلست بآسف أى فان أنت لم تفعل ماقلته لك من الرجوع للمذهب الذى كان عليه أبوك وأمك وعليه أخوك
فلست أنا بمتاسف عليك وقوله ولا قائل اما عثرت لعا لكا أى ولست أنا بقائل اذا عثرت لعا لك أى لا أدعو لك بالسلامة من العثرة لغضبي
عليك فان يعالك كلمة دعاء للعاثر بالسلامة من عثرة قال فى المختار وهو دعاء له بان ينتعش اه فلما وقف بجير عليها أخبر بها النبي ﷺ فلما
سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله سقاك بها المأمون قال مامون والله ثم قال من لقى كعبا فليقتله فاهدر ﷺ دمه فكتب اليه
أخوه بجير بهذه الابيات من مبلغ كعبا فهل لك فى التى * تلوم عليها باطلا فهى أحزم الى الله لا العزي ولا اللات وحده *
فتنجو اذا كان النجاة فتسلم لدي يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم فدين زهير وهو لادين دينه *
ودين أبي سلمى على محرم فقوله من مبلغ أى أى شخص هو مبلغ فمن للاستفهام وقوله فهل لك الخ أى فهل لك ارادة فى كلمة الشهادة التى
تلوم عليها لوما باطلا وقوله فهى أحزم أى (٤) أضبط يقال حزم أمره اذا ضبطه وقوله الى الله اى فارجع من الضلالة الي الايمان بالله
لا الايمان باللات والعزى وهما صنمان كانا يعبدان من دون الله وقوله وحده حال من الله أى حال كونه وحده وقوله اذا كان النجاة أى اذا وجد سبيل النجاة فى الدنيا من القتل وفى الآخرة من عذاب الله فتسلم فى الدارين وقوله لدى يوم أي وقت يوم بترك التنوين وقوله وليس بمفلت بفتح اللام على أنه ليس مفعول وقول طاهر القلب أى من الكفر وهذا اشارة بكونه مسلما وقوله فدين لزهير مبتدا خبره قوله على محرم وهو لادين دينه أي هو لادين دينه هذا الكلام تعليل لقوله على محرم وقوله ودين أبي سلمى عطف على المبتدا وكتب
بعدها يخبره أن النبي قد أهدر دمه وأنه قتل رجالا ممن كانوا يهجونه ويؤذونه فان كان لك فى نفسك حاجة فطر اليه أي ائت له مسرعا عليه
فانه لا يرد أحدا جاءه تائبا ولا يطالب بما تقدم قبل الاسلام فلما بلغه الكتاب أتى الى قبيلته مزينة لتجيره من رسول الله ﷺ فابت
ذلك فضاقت عليه الارض بما رحبت وأشفق على نفسه فقال هذه القصيدة يمدح بها رسول الله ﷺ ثم خرج حتى وصل المدينة فنزل
على رجل من جهينة كانت بينه وبينه معرفة وقيل ان ذلك الرجل هو على بن أبي طالب كرم الله وجهه فاتى به الى المسجد ثم أشار الي
رسول الله ﷺ فقال هذا رسول الله فقم اليه واستامنه فقام الي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس بين يديه فوضع يده فى يده وكان
رسول الله ﷺ لا يعرفه وأما هو فعرفه ﷺ بالصفة التى وصفه له بها الناس فقال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستامنك تائبا
مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم فقال يارسول الله أنا كعب بن زهير فقال الذى يقول
ماقال ثم أقبل على أبي بكر يستنشده الشعر فانشده أبو بكر * سقاك بها المأمون كأسا روية * البيت فقال كعب لم أقل هذا وانما قلت *
سقاك أبو بكر بكاس روية * وأنهلك المأمون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله فوثب عليه رجل من الانصار فقال

ليتناوله فقاتله فقال له بالنبي الذى يبعث فى آخر الزمان وانه لا يدركه وأخبر بذلك بنيه وأوصاهم ان
ادركوا النبي ﷺ ان يسلموا ولما اتصل خبر اسلام بجير باخيه كعب أغضبه ذلك فقال

ألا أبلغا عنى بجير ارسالة * فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا
سقاك بها المأمون كأسا روية * فانهلك المأمون منها وعلكا
ففارقت أسباب الهدي واتبعته * على أى شيء ويب غيرك دلكا
على مذهب لم تلف أما ولا أبا * عليه ولم تعرف عليه أخا لكا
فان أنت لم تفعل فلست بآسف * ولا قائل اما عثرت لعا لكا

وارسل بها الى بجير فلما وقف عليها أخبر بها رسول الله ﷺ فلما سمع عليه الصلاة والسلام قوله
سقاك بها المأمون قال مامون والله وذلك أنهم كانوا يسمون رسول الله صلى الله عليه وسلم المأمون ولما
سمع قوله على مذهب ويروى على خلق لم تلف أما البيت قال أجل لم يلف عليه أمه ولا أباه ثم ان رسول
الله ﷺ قال من لقى منكم كعب بن زهير فليقتله وذلك عند انصرافه عليه الصلاة والسلام عن
الطائف فكتب اليه أخوه بجير هذه الابيات

من مبلغ كعبا فهل لك فى التى * تلوم عليها باطلا وهى أحزم
الى الله لا للعزي ولا اللات وحدة * فتنجو اذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت * من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لاشيء دينه * ودين أبى سلمى على محرم

وكتب بعد هذه الابيات ان رسول الله ﷺ قد أهدر دمك وأنه قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه
ويؤذيه وان من بقى من شعراء قريش كابن الزبعري وهبيرة بن أبي وهيب قد هربوا فى كل وجه وما
أحسبك ناجيا فان كان لك فى نفسك حاجة فسر اليه فانه يقبل من أتاه تائبا ولا يطالبه بما تقدم الاسلام فلما
بلغ كعبا الكتاب أتي الى مزينة لتجيره من رسول الله ﷺ فابت عليه ذلك فحينئذ ضاقت

يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه عنك فقد جاء نائبا نازعا أي خارجا من الكفر لانه أسلم ثم أنشد القصيدة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يسمع وكان قد أنشأ قبل قدومه المدينة وهو عند الغنم من هذه القصيدة أبياتا ولما وصل الي حضرته صلى الله عليه وسلم وقبله وعفا عنه أنشأ تلك القصيدة على وجه آخر مبلغا لها الى سبع وخمسين بيتا وفى رواية أبي بكر بن الانباري انه لما وصل الى قوله ان الرسول لنور يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول القى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردته التي كانت عليه ولذا قال أهل العلم هذه القصيدة هي التي حقها أن تسمى بالبردة لان المصطفى صلى الله عليه وسلم أعطى كعبا بردته الشريفة وأما قصيدة البوصيري حقها ان تسمى بالبرأة لانه كان أصابه داء الفالج فابطل نصفه وأعيا الاطباء فلما نظمها رأى المصطفى صلى الله عليه وسلم فمسح بيده عليه فبرئ لوقته وقد بذل معاوية لكعب فى هذه البردة عشرة آلاف من الدراهم فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا من الدراهم فاخذها منهم قال وهى البردة التي عند السلاطين الى اليوم وعند ابن قانع عن ابن المسيب انها التي يلبسها الخلفاء فى الاعياد لكن قال الشامي ولا وجود لها الآن (ه) لان الظاهر انها فقدت فى وقعة التتار وقد ذكر الترمذي فى طبقات النحاة ان بندار الاصفهاني كان يحفظ تسعمائة قصيدة كل قصيدة منها بانت سعاد وذكر السيوطي منها عشرة منها قول زهير والد كعب بانت سعاد وامسى حبلها انقطعا وليت وصلا لنا من حبلها رجعا لكن المنصرف اليه اللفظ عند الاطلاق قصيدة كعب وقد طلب مني بعض الاخوان أصلح الله لي ولهم الحال والشان كتابة حاشية عليها تسر الناظرين ويشهد بفضلها فضلاء المخلصين فاجبته لذلك وان لم أكن اهلا هنا لما هنالك فجاءت حاشية شريفة بعبارات مستحسنة منيفة وسميتها بالاسعاد على بانت سعاد والله المسؤل فى اكمالها وجعلها خالصة لوجهه ونافعة من اعتنى بها ولنقدم قبل الشروع فى المقصود مقدمة فى بيان ترتيب هذه القصيدة وأبياتها التي نسجت عليها فنقول (مقدمة) اعلم أنه كان عادة أكثر شعراء العرب انهم اذا أرادوا قصيدة مدح افتتحوها بالغزل وهو المعبر عنه بالتشبيب وهو أربعة أنواع (النوع الاول) ذكر صفات المحب كالشغف والنحول والذبول والحزن والارق ونحو ذلك (النوع الثاني) ذكر صفات المحبوب التي هي أسباب المحبة سواء كانت حسية أو معنوية فالاولى كحمرة الخدود ورشاقة القد وما فى معناها والثانية كالجلالة والخفر وهو الحياء والوقار يقال خفر الانسان خفرا من باب تعب والاسم الخفارة بالفتح كما فى المصباح (النوع الثالث) ما يتعلق بالمحب والمحبوب جميعا من هجر وصد ووصل وسلو واعتذار ووفاء واخلاف ونحو ذلك (النوع الرابع) ذكر ما يتعلق بالوشاة والعذال والرقباء ونحوهم والناظم قد أتي فى قصيدته قبل التخلص الى المدح بالانواع الاربعة فذكر النوع الاول فى البيت الاول حيث ذكر حالة نفسه وما اعتراه بسبب الفراق بقوله بانت سعاد الخ ثم اخذ فى ذكر النوع الثاني فى البيت الثاني حيث ذكر ما يتعلق بمحبوبته فشبهها بالظبي الموصوف بحسن الصفات بقوله وما سعاد غداة البين الخ ثم ذكر ثغرها وريقها وشبهه بالراح فى البيت الثالث بقوله تجلو عوارض ذي ظلم الخ ثم ذكر مزج الراح بالماء

عليه الارض واشفق على نفسه وأرجف به من كان من عدوه فقالوا هو مقتول فقال هذه القصيدة يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكر خوفه وارجاف الوشاة به من عدوه ثم خرج حتى قدم المدينة فنزل على رجل من جهينة كان بينه وبينه معرفة فاتي به الى المسجد ثم أشار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقم اليه فاستأمنه وعرف كعب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفة التي وصفه له الناس وكان مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أصحابه مثل موضع المائدة من القوم يتحلقون حوله حلقة ثم حلقة فيقبل على هؤلاء فيحدثهم ثم يقبل على هؤلاء فيحدثهم فقام له حتى جلس بين يديه فوضع يده فى يده ثم قال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان أنا جئتك به قال نعم قال انا يارسول الله كعب ابن زهير فقال الذى يقول ما يقول ثم أقبل على أبي بكر فاستنشده الشعر فانشده أبو بكر * سقاك بها المأمون كأسا روية * فقال كعب لم أقل هكذا وانما قلت

سقاك أبو بكر بكأس روية * فانهلك المأمون منها وعلكا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله ووثب اليه رجل من الانصار فقال يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه فقال دعه عنك فانه قد جاء تائبا نازعا فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم قال ابن اسحق فلذلك يقول اذا عرد السود التنابيل يعرض بهم وفى رواية أبي بكر بن الانباري انه لما وصل الى قوله

ان الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول

رمى عليه الصلاة والسلام اليه البردة كانت عليه وان معاوية بذل له فيها عشرة آلاف فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته بعشرين ألفا فاخذها منهم قال وهى البردة التي عند السلاطين الى اليوم قال عبد الملك بن هشام ويقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له بعد ذلك ألا ذكرت الانصار بخير فان الانصار لذلك أهل فقال

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى مقنب من صالح الانصار

واستطرد فوصف ذلك الماء ثم الابطح الذي أخذ منه الماء فى البيت الرابع بقوله شجت بذي شبم الخ ثم أكمل وصف ذلك الابطح فى البيت الخامس بقوله تنفي الرياح القذى عنه الخ ثم أخذ فى ذكر النوع الثالث فذكر اخلاف محبوبته للوعد وعدم قبولها النصح فى البيت السادس بقوله * اكرم بها خلة لو أنها صدقت * موعدها الخ ثم أكمل ذلك فى البيت السابع بقوله لكنها خلة الخ ثم وصفها بالتلون فى الود فى البيت الثامن بقوله فما تدوم على حال تكون بها الخ ثم وصفها بعدم الوفاء بالعهد فى البيت التاسع بقوله ولا تمسك بالعهد الذي زعمت الخ ثم اكد ذلك فاخبر بان ماتعده أماني لاحقيقة لها فى البيت العاشر بقوله فلا يغرنك مامنت وما وعدت الخ ثم ضرب لها مواعيد عرقوب مثلا فى البيت الحادى عشرا بقوله

* كانت مواعيد عرقوب لها مثلا الخ

ثم ذكر انه يرجو ويأمل أن تدنو مودتها فى البيت الثاني عشر بقوله

أرجو وآمل أن تدنو مودتها الخ ثم ذكر انها صارت بارض بعيدة فى البيت الثالث عشر بقوله امست سعاد بارض الخ ثم ذكر أنه لايبلغه اليها الاناقة صفتها كذا وكذا وأطال فى وصفها على عادة العرب فى ذلك من أول البيت الرابع عشر الى آخر البيت الثالث والثلاثين فاستوفى عشرين بيتا فى وصفها ثم أخذ فى ذكر النوع الرابع فذكر حال الوشاة فى البيت الرابع والثلاثين بقوله

* تسعى الوشاة حواليها *

الخ واستطرد فى ذلك الى آخر البيت السابع والثلاثين وهو قوله

كل ابن انثى وان طالت سلامته ثم تخلص الى المقصود من القصيدة وهو مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم فى البيت الثامن والثلاثين بقوله أنبئت ان رسول الله أوعدني الخ واستطرد فى ذلك الى آخر البيت الموفى خمسين وهو قوله * ان الرسول لسيف يستضاء به * الخ فاستوفى ثلاثة عشر بيتا فى مدحه صلى الله عليه وسلم ثم انتقل الى ماهو بمنزلة التتمة والخاتمة وهو مدح المهاجرين بقوله فى البيت الحادى والخمسين فى فتية من قريش الخ واستطرد فى ذلك الى آخر البيت السابع والخمسين وهو قوله لايقطع الطعن الا فى نحورهم البيت وهو آخر للقصيدة لانها

ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار
المكرمين السمهرى بادرع * كسوالف الهندي غير قصار
والناظرين باعين محمرة * كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم * للموت يوم تعانق وكرار
يتطهرون يرونه نسكا لهم * بدماء من علقوا من الكفار
واذا حللت ليمنعوك اليهم * أصبحت عند معاقل الاعفار
ان يعلم الاقوام علمي كله * فيهم لصدقني الذين أمارى

شرح الشعر الواقع فى هذا الخبر قول كعب رضي الله عنه ألا بلغا يحتمل ان يكون بالنون لفظا على انها نون التوكيد الخفيفة وبالالف خطا لاجل الوقف ويحتمل انه بالالف لفظا وخطا اما على انه مؤكد ووصل بنية الوقف أو على انه خطاب للاثنين أو للواحد فكثيرا ما يخاطب الواحد بما يخاطب به الاثنان وقوله فهل لك يحتمل كون الفاء زائدة عند من جوز زيادتها فتكون الجملة بعدها مفسرة للرسالة فلا موضع لها على قول الجمهور ان المفسرة لاموضع لها أو موضعها نصب على قول الشلوبين ان الجملة المفسرة بحسب المفسر ويحتمل كونها عاطفة على أبلغا والمعطوف محذوف أى فقولا له هل لك لانه لايحسن قم وهل قام زيد وان اشتركا فى الطلب وكثيرا ما يحذف القول ويبقى المقول حتى قال الفارسي حذف القول من حديث البحر قل ولا حرج والاصل هل لك رأى أو ارادة أي هل قلت ذلك عن قصد واعتقاد أو قلته لامر ما والمرفوع المحذوف مبتدأ خبره فى الظرف لافاعل بالظروف لاعتماده كما فى نحو أفى الله شك لان الفاعل لايحذف ويأتي هذا البحث فى قوله تعالى هل لك الى أن تزكى أى هل ميل أو انقياد وتعلق الجار وهو فى والى فى البيت والآية بذلك المحذوف وقوله ويحك ويح كلمة تقال لمن وقع فى هلكة لايستحقها فيترحم عليه ويرثي له كقوله عليه الصلاة والسلام ويح عمار تقتله الفئة الباغية وويل كلمة تقال لمن يستحق الهلكة كقوله تعالى ويلك آمن ان وعد الله حق وعن على رضى الله عنه الويح باب رحمة والويل باب عذاب وهل لك الثانية توكيد وتكميل وتحصيل للقافية وقوله سقاك بها يحتمل ضميره المجرور خمسة أوجه احدها أن يعود الى المقالة المفهومة من قلت كما عاد الضمير المؤنث من قدسألها الى المسئلة المفهومة من قوله تعالى لاتسألوا عن أشياء ومن سئلت فى قوله الشاعر

واذا سئلت الخير فاعلم انها * حسنى تخص بها من الرحمن

ولو كان الضمير فى الآية عائدا الى أشياء لعدى اليه بعن لا بنفسه ولكنه مفعول مطلق لا مفعول به الثانى أن يعود على المقالة المفهومة من قلت على أن تقدر مامصدرية الثالث أن يعود على نفس ما على أن تكون موصولا اسميا حذف عائدة أي فى التى قلتها والرابع أن يعود الى الكلمة التي قالها التى دل عليها قرينة الحال أعنى كلمة الشهادة وعلى هذه الاوجه فتحتمل الباء وجهين أحدهما الزيادة أى سقاكها فيكون قوله كاسا اما حالا موطئة كما تقول لقيت زيدا رجلا صالحا وأما بدلا من الضمير على الموضع كما تقول ما رأيت من أحد منصفا الثاني أن يكون بمعنى من التبعيضية وهو قول الكوفيين والاصمعى والفارسي وبه قال الشافعى رحمه الله فى

قوله تعالي فامسحوا برؤسكم ويرجحه قوله فانهلك المأمون منها وعلى هذا فكا سا مفعول به والوجه والخامس أن يعود على الكأس فيحتمل اعرابه وجهين أحدهما أن يكون بدلا من الضمير على الموضع كما تقول مررت به زيدا وعود الضمير على الظاهر المبدل منه جائز باجماع هكذا نقل ابن مالك عن ابن كيسان ومن شواهده قولهم اللهم صل عليه الرؤف الرحيم والثاني ان يكون تمييزا وعود الضمير على تمييزه متفق عليه فى باب رب ونعم كقوله تعالى بئس للظالمين بدلا وقول الشاعر * وربه عطبا أنقذت من عطبه * ولم يخصه الزمخشري بذلك بل قال به فى قوله فسواهن سبع سموات وقوله المأمون المراد به النبي صلى الله عليه وسلم كانت قريش تسميه المأمون والامين فهو كما قيل

ومليحة شهدت لها ضراتها * والفضل ما شهدت به الاعداء

والكأس القدح اذا كان فيه الشراب وهى مؤنثة فلهذا أنث صفته ومثله قوله تعالى بكأس من معين بيضاء وقوله روية فعيلة بمعنى مفعلة أى مروية والنهل بالتحريك الشرب الاول والعلل الشرب الثاني وويب مثل ويل فى المعنى وقد مضي وفى الحكم وهو أنها ان أضيفت نصبت وقد ترفع وان نونت رفعت وقد تنصب وقوله على خاق متعلق بمحذوف دل عليه متعلق قوله على أي شيء وهو قوله ذلك وقوله لم تلف أما أمهما كبشة بنت عمار من بنى سحيم وقوله لعا هى كلمة تقال للعاثر دعاء له بالاقالة من عثرته فاذا دعى عليه قيل لا لعا قال * فلا لعا لبنى ذبيان اذ عثروا * وقوله بجير رضى الله عنه من مبلغ فيه خرم بالراء المهملة وأصله فمن مبلغ وقوله النجاء يقال نجوت من كذا نجاة بالقصر والتأنيث ونجاء بالمد والتذكير وفى البيت الثاني تقديم وتأخير وتقديره الى الله وحده لا الى اللات والعزى وقوله فى البيت الثالث طاهر القلب صفة مشبهة جارية للمضارع وهى مطلوبة فى المعنى لينجو فاعلا وليس اسما ولم يتنازعاها بل المسئلة من الحذف ومثله ما قام وقعد الا زيد لانه لو كان من التنازع لاضمر فى احدهما ضمير المتنازع فيه فيفسد المعنى لاقتضائه حينئذ نفى الفعل عنه وانما هو منفى عن غيره ومثبت له وقوله فى البيت الاخير فدين زهير مبتدأ ومضاف اليه وقوله ودين أبي سلمى معطوف عليه وقوله على محرم خبر وما بينهما اعتراض وهو اعتراض حسن بديع ويحتمل أفراده الخبر مع تعدد المخبر عنه وجهين أحدهما أن يكون الاصل فاتباع دين زهير ودين أبي سلمى ثم حذف المضاف ونظيره الحديث ان هذين حرام على ذكور أمتى أى استعمال هذين أي الذهب والحرير والثاني ان دين زهير ودين أبي سلمى واحد وانما أعيد المضاف توكيدا كقوله

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذي البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسي له * أكيلا فاني لست آكله وحدى
قصيا كريما أو قريبا فانني * أخاف مذمات الاحاديث من بعدي
واني لعبد الضيف ما دام نازلا * ومالى خلال غيرها شيمة العبد

الشاهد فى البيت الاول وأشار باشتراط الكرم فى البعيد دون القريب الى أن ذوي القرابة كلهم كرام وفى قوله ومالى خلال البيت احتراس كقوله تعالي أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ويروي * فدين زهير وهو لاشيء غيره * قال أبو بكر الانباري قال أبو عكرمة معناه فدين زهير غيره أي غير الحق وهو لاشيء اه فعلى هذا فقوله محرم خبر عن شيء واحد فى اللفظ والتقدير وهو دين أبي سلمى فلا اشكال

﴿الفصل الثاني فى بيان بحر هذه القصيدة وعروضها وضربها
وقافيتها وما اشتملت عليه من المعاني اجمالا﴾

فنقول هى من بحر البسيط وهو ثمانية اجزاء كالطويل الا أن سباعيه مقدم على خماسيه فانه مستفعلن فاعلن أربع مرات والطويل فعولن مفاعيلن أربع مرات وعروضه مخبونة أي محذوفة الالف فتصير فعلن بتحريك العين كما كانت قبل حذف الالف وهى العروض الاولى من أعاريض البسيط

اشتملت على سبعة وخمسين بيتا ولم يتعرض فيها لمدح الانصار لانه وجد فى نفسه من الذي قال منهم يارسول الله دعني وعدو الله أضرب عنقه ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له بعد ذلك لو ذكرت الانصار بخير فان الانصار لذلك أهل فمدحهم بقصيدة أخرى مطلعها

من سره كرم الحياة فلا يزل * فى مقنب من صالح الانصار
ورثوا المكارم كابرا عن كابر * ان الخيار هم بنو الاخيار

الي آخرها والحاصل أن هذه القصيدة ترجع الي ثلاثة أقسام الغزل ويعبر عنه بالتشبيب ثم مدح النبي صلى الله عليه وسلم وهو المقصود منها ثم مدح المهاجرين فاستطرد فى الغزل الى آخر البيت السابع والثلاثين وتخلص الي مدح النبي صلى الله عليه وسلم من البيت الثامن والثلاثين الى البيت الموفى خمسين وانتقل الى مدح المهاجرين من البيت الحادى والخمسين الى آخرها واعلم أن هذه القصيدة من بحر البسيط وأجزاؤه مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن مرتين كما قال القائل

ان البسيط لديه يبسط الامل * مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن

وهذا أوان الشروع فى المقصود بعون الملك المعبود فاقول وبالله التوفيق لاقوم طريق

*(قول الامام الجليل صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير رضى الله عنه ونفعنا بركاته آمين) *قوله بانت سعاد الخ) لما كان مبنى ابتداء هذه القصيدة على الغزل والتشبيب جريا على عادة أكثر الشعراء فى ابتداء قصائد المدح بمثل ذلك كما تقدم ذكره فى المقدمة وكان من جملة الغزل والتشبيب ذكر صفات الحب كالشغف ونحوه صدر كلامه بذكر الفراق ليرتب عليه ما يأتي من لوازم المحبة وعوارضها ولاشك ان فراق الاحبة من أشد الآلام وأعظم الاحزان فلذا قال بانت سعاد الخ ومعنى بانت فارقت فراقا بعيدا يقال بان يبين كباع يبيع بينا وبينونة اذا فارق فراقا بعيدا فالبين الفراق البعيد ويقال للوصل أيضا فهو من الاضداد ومنه قوله تعالى لقد تقطع بينكم بالرفع أي وصلكم وهو فى عرف الشرع اسم للطلاق غير الرجعى وعلم مما تقرر ان بان هنا بمعنى فارق لا بمعنى ظهر كما فى قوله بان أمر الاله واختلف الناس * س فداع الى ضلال وهاد وسعاد فاعل بانت وهو اسم لمحبوبته التى بنى مطلع القصيدة على التغزل فيها والتشبيب بها كما كان مجنون ليلى يتشبب بليلى وكثير عزة يتشبب بعزة وذو الرمة يتشبب بمى وقيس يتشبب بلبنى الي غيرهم من المتشببين فى الجاهلية والاسلام فان قيل كيف ساغ له ان يتغزل بامرأة فى قصيدة أنشدها بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مع ان التغزل ممتنع أجيب بانه جري فى ذلك على عادة العرب فى اشعارها من ابتدائها بالتغزل والتشبيب مع قرب عهده بالاسلام وقد نص العلماء رضي الله عنهم على انه انما يمتنع التغزل اذا كان بشخص معين رجلا كان أو امرأة أجنبية بخلاف ما اذا كان بغير معين أو بحليلته فانه لا يمتنع ويدل على جوازه سماع النبي صلى الله عليه وسلم واقراره عليه فيحتمل انه لم يقصد بذلك امرأة معينة لما جرت به عادة غالب الشعراء من أنهم يفتتحون قصائدهم بالتغزل فى محبوب غير معين بل وان لم يكن حب بالكلية يقصدون بذلك تمليح الكلام وتحسينه لان طباعهم تميل للعشق والتغزل فيه ويحتمل انه قصد امرأة معينة كانت حليلته وبانت عنه فتغزل فيها فقد قال فى شرح المواهب قال الروياني فى البحر هى امرأته طالت غيبته عنها لهروبه من النبي صلى الله عليه وسلم فذكرها فى هذه القصيدة لذلك وبه جزم البرهان على أن محبتهم كانت غير مفضية الي القبيح ولله در

الثلاثة وبيتها يا حار لا أرمين منكم بداهية * لم يلقها سوقة قبلى ولا ملك وضربها مقطوع أي محذوف من وتده المجموع حرف متحرك فيبقى أو وزنه حرف متحرك على فال فينقل الى فعلن بسكون العين وهو الضرب الثاني من أضرب البسيط الستة ومن ضربي العروض المخبونة والردف لازم لهذا الضرب وبيته قد أشهد الغارة الشعراء تحملني * جرداء معروفة اللحيين سرحوب ولنقطع البيت الاول ليقاس عليه نظائره بانت سعا د مستفعلن فقل فعلن دخله الخبن بحذف وهو زحاف جائز فى حشو هذا البحر بى اليوم مت مستفعلن بول فعلن محذوف متيم متفعلن اثرها فاعلن لم يفدمك مستفعلن بول فعلن محذوف مردف فان قلت الحذف فى الضرب واقع على ما ذكرت فما بال العروض جاءت محذوفة أيضا وانما ذكرت انها مخبونة قلت تصريع البيت أوجب ذلك ومعنى التصريع ان تجعل العروض المخالفة للضرب كالضرب فى الوزن والاعلال مع تحليتها بحرف الروي وقافية هذه القصيدة من المتواتر وهو الذى يقع بين ساكنيه حرف واحد متحرك شاهده

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد * لقد زادني ذكراك وجدا على وجدي

وأول شيء اشتملت عليه هذه القصيدة التشبيب وهو عند المحققين من أهل الادب جنس يجمع أربعة أنواع أحدها ذكر ما فى المحبوب من الصفات الحسية والمعنوية كحمرة الخدود ورشاقة القد وكالجلالة والخفر والثاني ذكر ما فى المحب من الصفات أيضا كالنحول والذبول وكالحزن والشغف والثالث ذكر ما يتعلق بهما من هجر ووصل وشكوى واعتذار ووفاء واخلاف والرابع ذكر ما يتعلق بغيرهما بسببهما كالوشاة والرقباء ويسمى النوع الاول تشبيبا أيضا وبيان التشبيب فيها انه ذكر محبوبته وما أصاب قلبه عند ظعنها ثم وصف محاسنها وشبهها بالظبا ثم ذكر ثغرها وريقتها وشبهها بخمرة ممزوجة بالماء ثم انه استطرد من هذا ووصف ذلك الماء ثم من هذا الي وصف الابطح الذى أخذ منه ذلك الماء ثم انه رجع الى ذكر صفاتها فوصفها بالصد واخلاف الوعد والتلون فى الود وضرب لها عرقوبا مثلا ثم لام نفسه على التعلق بمواعيدها ثم اشار الى بعد ما بينه وبينها وانه لا يبلغه اليها الا ناقة من صفتها كيت وكيت وأطال فى وصف تلك الناقة على عادة العرب فى ذلك ثم انه استطرد من ذلك الى أن ذكر الوشاة وانهم يسعون بجانبي الناقة ويحذرونه القتل وان أصدقاءه رفضوه وقطعوا حبل مودته وانه أظهر لهم الجلد واستسلم للقدر وذكر لهم أن الموت مصير كل ابن أنثى ثم خرج الى المقصود الاعظم وهو مدح سيدنا ومولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الاعتذار اليه وطلب العفو منه والتبري مما قيل عنه وذكر شدة خوفه من سطوته وما حصل له من مهابته ثم الى مدح أصحابه المهاجرين رضي الله عنهم أجمعين وهذا حين نبتدىء القول فى شرح أبيات القصيدة وبالله حسن التوفيق (قال رضي الله عنه)

﴿بانت سعاد فقلبي اليوم متبول * متيم اثرها لم يفد مكبول﴾

(قوله بانت) معنى بان فارق وله مصدران البين وسيأتي فى البيت الثاني والبينونة ووزنه عند البصريين

القائل حيث يقول * انزه في روض المحاسن مقلتي * وأمنع نفسي أن تنال محرما ولهذا هلك كثير من المتيمين في عشق من أحبوه صبرا
عن الوصال وصيانة من النساء وعفة من الرجال وقد قيل لرجل من بني عذرة ما بال الرجل منكم يموت في هوى امرأة فقال لان في نسائنا
جمالا وفي رجالنا عفة وقد نص العلماء رضي الله عنهم ان الميت عشقا شهيد لحديث من عشق فصبر فعف فكتم فمات فهو شهيد وان كان
الحديث فيه ضعف والي هذا المعني أشار أبو القاسم القشيري بقوله ان الحب اذا توفي صابرا * كانت منازله مع الشهداء لكن يبعد
احتمال كونها زوجته السياق الآتي حيث وصفها بإخلاف الوعد وبالتلون الى غير ذلك (٩) والفاء في فقلبي للسببية مع العطف
بناء على مذهب الجمهور من جواز عطف الاسمية على الفعلية ولمحض السببية بناء على مذهب غير الجمهور من عدم جواز ذلك لا لمجرد العطف فالفاء لها ثلاث حالات الاولى أن تكون للسببية مع العطف كما في نحو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الثانية أن تكون لمحض السببية كما في نحو ان جئتني فانا أكرمك الثالث أن تكون لمجرد العطف كما في نحو جاء زيد فعمرو وللقلب أربعة معان أحدها اللحم الصنوبري الشكل أى الذى شكله على شكل الصنوبر بحيث يكون غليظ الاعلى دقيق الاسفل كقمع السكر كما هو مشاهد في نحو قلب الخاروف ومحله من البدن الجانب الايسر من الصدر قال بعضهم وهذا هو السر في كون الطائف يجعل البيت عن يساره ومن هذا المعنى قوله تعالى وختم على سمعه وقلبه ثانيها العقل ومنه قوله تعالي ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب ثالثها
(٢ - بانت سعاد) خالص كل شيء ومنه الحديث لكل شيء قلب وقلب القرآن يس رابعها المعنى المصدرى لانه يقال قلبه قلبا والمراد به
هنا المعنى الاول لانه هو الذى يكون متبولا أى سقيما ضعيفا ويصح أن يراد المعنى الثاني ويكون المراد من كونه متبولا كون العقل
ضعيفا ويكون المعنى حينئذ انه انتهى به الحب الى الوله والهيام بحيث اختل عقله فصار كالمجنون الهائم على وجهه لا يدري أين يتوجه
وهذا موافق لما يقوله الاطباء من أن العشق نوع من المالیخوليا حتى قال بعضهم قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم * الحب أعظم مما
بالمجانين العشق لا يستفيق الدهر صاحبه * وانما يصرع المجنون في الحين وانما سمى القلب قلبا لتقلبه في الامور ولتقليب الله له كما في

فيلولة وأصله بينونة بياءين الاولى زائدة والثانية عين ثم أدغمت الاولي في الثانية فصار بينونة ثم
خفف بحذف الثانية كما فعل بسيد او ميت فصار بينونة على وزن فيلولة والتزم فيه التخفيف لطوله
ومذهب الكوفيين أنه فعلولة بالضم كصعفورة ثم كسرت فاؤه لتسلم الياء ثم فتحت لثقل كسرة وضمة
ليس بينهما حاجز حصين ثم فعلوا ذلك في ديمومة ونحوه حملا لذوات الواو على ذوات الياء لان ذوات
الواو في هذا البناء أقل والتاء حرف تأنيث لا اسم للمؤنث كالياء في قومي بدليل أنها تجامع الضمير
بخلاف الياء تقول في قامت قامتا اذا أردت الاثنين ولا تقول في قومي قوميا (قوله سعاد) هو علم
مرتجل يريد به امرأة يهواها حقيقة أو ادعاء وكونه حقيقي التانيث موجب للحاق التاء للفعل بخلاف
نحو طلعت الشمس ففيه الوجهان وزيادته على الثلاثة موجب لمنع صرفه بخلاف نحو هند ففيه
الوجهان ومانع من لحاق التاء اذا صغر بخلاف نحو هند وشمس وقدم فتجب فيهن التاء والجملة
مستانفة فلا محل لها (قوله فقلبي) اعلم ان للفاء ثلاث حالات احداها أن تاتي لمجرد السببية والربط
نحو ان جئتني فانا أكرمك اذ لو كانت عاطفة كان ما بعدها شرطا واحتيج للجواب ونحو انا أعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر لانه لا يعطف الانشاء على الخبر ولا الخبر على الانشاء هذا قول الاكثرين
وهو الصحيح واستدل من أجاز ذلك بقوله
تناغى غزالا عند باب ابن عامر * وكحل مآقيك الحسان باثمد
وقوله وان شفائى عبرة ان سفحتها * وهل عند رسم دارس من معول
ولا دليل في هذا لان الاستفهام مراد به الانكار فهو مثله في هل جزاء الاحسان الا الاحسان فهو خبر
لا انشاء وأما الاول فلا نسلمه الا بعد الوقوف على ماقبله من الابيات والثانية أن تأتي لمحض العطف
نحو جاء زيد فعمرو وقوله تعالى والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى والثالثة أن تاتي لهما كقوله
تعالي فوكزه موسي فقضي عليه فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه وهذا هو الغالب على الفاء المتوسطة
بين الجمل المتعاطفة ومنه الفاء في هذا البيت وعطف الاسمية على الفعلية جائز عند الجمهور مطلقا بدليل
قولهم في نحو قام زيد وعمرا أكرمته ان نصب عمرو أرجح من رفعه وتعليلهم ذلك بان تناسب الجملتين
المتعاطفتين أولي من تخالفهما وقيل ممتنع مطلقا وان ارتفاع الضرس من قوله
عاضها الله غلاما بعد ما * شابت الاصداغ والضرس نقد
على اضمار فعل يفسره نقد وذهب الفارسي الى جوازه اذا كان العاطف الواو وخاصة نقله عنه تلميذه أبو
الفتح في سر الصناعة وعلى هذين المذهبين فالفاء لمحض السببية لا للعطف وللقلب أربعة معان أحدها
الفؤاد ومنه ختم الله على سمعه وقلبه وهو المراد هنا وانما سمي قلبا لتقلبه وقيل القلب
اخص من الفؤاد ومنه الحديث أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوبا وألين أفئدة الايمان يمان
والحكمة يمانية فوصف القلوب بالرقة والافئدة باللين والثاني العقل ومنه ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب والثالث خالص كل شيء ومحضه ومنه الحديث لكل شيء قلب
وقلب القرآن يس والرابع مصدر قلبه وجمع القلب قلوب واقلب عن اللحياني (قوله اليوم) فيه
مسئلتان احداهما أنه يطلق على أربعة أمور أحدها مقابل الليلة ومنه سخرها عليهم سبع ليال

الحديث القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقوله اليوم ظرف لما بعده قدم عليه لافادة الحصر فكونه متبولا انما حصل زمن فراقها لا قبله والمراد باليوم هنا مطلق الزمان كما فى قوله تعالى وآتوا حقه يوم حصاده أي زمنه ويطلق على مقابل الليل ومنه قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام وعلى مدة القتال نحو قوله تعالى ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم وعلى الدولة ومنه قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وقوله متبول بتقديم الفوقية على الموحدة من تبله الحب يتبله من باب قتل أسقمه وأضناه وضعفه وفى نسخة مبتول بتقديم الموحدة على المثناة الفوقية من البتل وهو القطع ومنه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا أى انقطع اليه انقطاعا كاملا ومنه البتول للزهراء لانقطاعها عن الدنيا بانواعها (١٠) وعلى كل فهو خبر اول وقوله متيم خبر ثان عند من أجاز تعدد الخبر وأما عند من منعه فهو خبر عن مبتدا محذوف أو صفة لمتبول عند من جوز وصف الصفة وهو بتشديد الياء المفتوحة من تيمه الحب بمعنى استعبده وأذله اذ المحب فى جناب الحبيب كالعبد اللبيب فى مقام الاطاعة فى كل ساعة ومذلل محقر مأمور منقاد اذ العبودية تستلزم ذلك وقوله أثرها بكسر الهمزة وسكون المثلثة ويقال فيه أثر بفتحتين وهو محل المشي وموضع القدم من الارض وهو ظرف لمتيم أو حال من ضميره فيتعلق بكون محذوف أى حالة كونه كائنا أثرها ولا يحسن تعليقه بمتبول ولا كونه حالا من ضميره للبعد اللفظى والمعنوي وجملة قوله لم يفد خبر ثالث ان قلنا بتعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة فيكون من قبول الاخبار بالجملة بعد الاخبار بالمفرد ويصح أن تكون صفة لمتيم ومعنى لم يفد لم يقع له فداء من أسره الذي وقع فيه اما لكونه لم يجد من يفديه وأما لكونه لم يختر الفداء بل كان سر لمحبة أحب اليه ويروي لم يشف بدل لم يفد بمعنى أنه لم يحصل له شفاء من مرضه وسقمه ويكون ذلك مرتبطا بقوله متبول لا بقوله متيم وقوله مكبول خبر رابع وهو بفتح الميم وسكون الكاف وضم الباء بعدها واو فى آخره لام بمعنى القيد يقال كبل الاسير بالتخفيف وكبله بالتشديد اذا وضع فى رجله الكبل بفتح الكاف وقد تكسر مع سكون الباء فيهما وهو القيد قيل مطلقا وقيل الضخم وقيل أعظم ما يكون من القيود أو بمعنى المسجون يقال كبله بالتخفيف اذا حبسه فى سجن أو غيره فهو محتمل لمعنيين وحاصل معنى البيت انه فارقته محبوبته فبسبب فراقها صار قلبه فى غاية الضنا والسقم والذل والاسر والقيد

زيارتنا

وثمانية أيام الثاني مطلق الزمان كقوله تعالى ومن يولهم يومئذ دبره وآتوا حقه يوم حصاده الى ربك يومئذ المساق المراد ساعة الاحتضار وتقول فلان اليوم يعمل كذا قال الشاعر * اذا جاء يوما وارثي يطلب الغنى * ومنه بيت كعب هذا ويستعمل هذا الاستعمال الساعة ومنه قوله تعالى الذين اتبعوه فى ساعة العسرة المراد به زمن غزوة تبوك وكذلك الغداة وسيأتي فى البيت بعد هذا والثالث مدة القتال نحو يوم حنين ويوم بعاث وهو يوم للاوس والخزرج وهو بضم الباء الموحدة وبالعين المهملة وبالثاء المثلثة والرابع الدولة ومنه وتلك الايام نداولها بين الناس * المسئلة الثانية انه ظرف لما بعده وهو متبول لا لمتيم لانه لم يجيء حتى استوفاه الاول ولئلا يلزم فصل العامل من معموله بالاجنبي ومن جوز تنازع العاملين المتاخرين وجعل منه بالمؤمنين رؤف رحيم جاز ذلك عنده هنا وبان التنازع يجوز فيه ما لا يجوز فى غيره من الفصل واذا قيل بذلك فيترجح أعمال الاول عند الجميع لاجماع صفتى القرب والسبق فيه ولا يجوز فيه أن يتعلق بكون محذوف على أن يكون خبرا لان الزمان انما يكون خبرا عن الاعراض دون الجواهر (وقوله متبول) خبر ويقال تبلهم الدهر أي أفناهم والحب أى أسقمهم وأضناهم ومن الاول قول الاعشى

أألن رأت رجلا أعشي أضر به * ريب الزمان ودهر مفسد تبل

أي ودهر مفن للاهل والمال ومن الثاني بيت كعب ويقال من معنى الافناء أتبلهم أيضا وعليه يروى ودهر متبل خبل (وقوله متيم) خبر ثان عند من أجاز تعدد الخبر وأما من منعه فهو عنده خبر عن هو محذوفا أو صفة لمتبول عند من جوز وصف الصفة وحجة المانع انها كالفعل وهو لا يوصف ولو صح هذا لم يصح التصغير وهو جائز بلا خلاف نعلمه ويقال تيمه الحب وتامه بمعنى استعبده وأذله ومن الثاني تيم اللات سموا بالمصدر وقول الشاعر

تامت فؤادك لو يحزنك ما صنعت * احدى نساء بني ذهل بن شيبانا

استشهد به ابن الشجرى على أن لو قد تجزم حملا على أن ولا دليل فيه لاحتمال انه سكنه تخفيفا لتوالى الحركات كقراءة أبي عمرو وما يشعركم باسكان الراء أو للضرورة كقول امرئ القيس

فاليوم أشرب غير مستحقب * أثما من الله ولا واغل

(وقوله أثرها) فيه مسئلتان * الاولى الاثر بالكسر والسكون أو بفتحتين ونظيره مما جاء على فعل وفعل قيد رمح وقاده وقيب قوس وقابه وقلت قيلا وقالا وكيح وكاح لعرض الجبل وحاؤه مهملة وقد عقد يعقوب لذلك فى كتاب الاصلاح بابا ويقال لفرند السيف أثر بفتح الهمزة وضمها كلاهما مع سكون العين قال

جلاها الصيقلون فاخلصوها * خفاء كلها يتقي باثر

أى كل يستقبلك بفرنده ويقال اتقاه يتقيه بالتشديد وتقاه يتقيه بالتخفيف كما فى البيت وكقوله

أو السجن لا يجد له هربا من الاسر ولا فكا كا من القيد أو السجن (قوله وما سعاد الخ) لما ذكر حال نفسه وما أعقبه الفراق من الضنا شرع في ذكر وصف محبوبته التي يهواها وما اشتملت عليه من المحاسن فشبهها بظبي موصوف باحسن الصفات من الغنة في الصوت وغض الطرف والكحل فلذا قال وما سعاد الخ فالبيت الاول يشير الى كمال احتياج المحب (١١) الى المحبوب والثاني يومى الى كمال استغناء المحبوب في مقام المطلوب والواو عاطفة للجملة الاسمية على الجملة الفعلية السابقة وهي بانت سعاد لا على الجملة الاسمية التى بعدها وهى فقلبي الخ لان هذه لا تناسب تلك في التسبب عن البينونة وما نافية ملغاة لا عمل لها حتى عند الحجازيين لا نتقاض النفي بالا فقد انتفى شرط عملها عندهم وهو بقاء النفي فسعاد مبتدأ وليس اسما لما لا نتقاض النفي بالا كما عملت وسعاد هي محبوبته التى تقدم ذكرها في البيت الاول فالمقام للاضمار بان يقول وما هي لكنه أقام الظاهر مقام المضمر استلذاذا بذكرها ولله در القائل حيث يقول يامن اذا ذكر اسمه في مجلس * لذ الحديث به وطاب المجلس و يعزى لسيدى على وفا رضي الله عنه

ان شئت تذكر لى الحبيب فهات

من أجل ذاك حببت للحاذات لا تحسبن اني نسيت

وانما ذكر الحبيب يضاعف اللذات وغداة ظرف زمان وهى اسم لمقابل العشي قال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي وقد يراد بها مطلق الزمان كما تقدم نظيره في اليوم وكلامه في البيت يحتملهما والعامل فيها مايفيد التشبيه في قوله الا أغن فان المعنى على التشبيه كما سيأتي والتقدير الا كظبي أغن فالمعنى هي شبيهة بالظبي الأغن في غداة البين كذا قال بعضهم لكن قال ابن هشام فان قلت الحرف الحامل للتشبيه يقدر بعد الا وما بعد الا لا يعمل فيما قبلها اذا كان فعلا مذكورا بالاجماع فما ظنك اذا كان حرفا محذوفا قلت المخلص من ذلك ان يقدر حرف التشبيه قبل الا وقبل الظرف أيضا والتقدير وما كسعاد في هذا

زيارتنا نعمان لا تنسينها * تق الله فينا والكتاب الذى تتلو

المسئلة الثانية انه اما ظرف لمتيم متعلق به واما حال من ضميره فيتعلق بكون محذوف ولا يحسن أن يكون متعلقا بمتبول ولا كونه حالا من ضميره للبعد اللفظى والمعنوى وليس بممتنع وعلى تقديره ظرفا له فيكون الوصفان قد تنازعاه كما تنازع ممطول ومعنى الغريم في قوله

قضي كل ذي دين فوفى غريمه * وعزة ممطول معنى غريمها

في قول بعضهم ولا يصح ذلك على تقديره الحالية لانهما حينئذ انما يطلبان الكون المطلق الذي تعلق به لانه الحال بالحقيقة ولم يثبت التنازع في المحذوف ولانا اذا أعملنا الاول أضمرنا في الثاني والضمير لا يعمل والحال لا يضمر لانها واجبة التنكير وجوز ابن معط وقوع التنازع في الحال في نحو زرني أزرك راغبا قال واذا أعملت الاول قلت زرني ازرك في هذه الحالة راغبا روي عندها بدل اثرها وعند اسم لمكان حاضر أو قريب فالاول نحو فلما رآه مستقرا عنده والثاني نحو ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوي وقد يكون الحضور والقرب معنويين نحو قال الذى عنده علم من الكتاب ونحو رب ابن لى عندك بيتا في الجنة وقد تفتح فاؤها وقد تضم ولا تقع عند الا منصوبة على الظرفية أو مخفوضة بمن وعنها ألغز الحريري بقوله وما اسم منصوب أبدا على الظرف لا يخفضه سوى حرف وقول العامة ذهبت الي عنده لحن (وقوله لم) هى حرف جزم لنفى المضارع وقلب زمنه ماضيا وقيل حرف جزم لنفي الماضي وقلب لفظه مضارعا (وقوله يفد) مضارع فدى الاسير اذا أعطى فداءه واستنقذه وكذلك معنى فاداه وقال قوم انما يقال فاداه بالالف اذا كان الفداء أسيرا أيضا لا مالا فان ضعفت عين فداه صار معناه قال له جعلت فداءك وجملة لم يفد اما خبر آخر ان قلنا بجواز تعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة وهو ظاهر اطلاق كثير منهم وصرح بعضهم بتجويزه في قوله تعالى فاذاهم فريقان يختصمون فاذا هى حية تسعى ولكن أبا على صرح بالمنع واما صفة المتيم كما يقول أبو على في الجملة من هاتين الآيتين واما حال امامن ضمير متيم وهو الظاهر أو من ضمير متبول وعلى هذا التجويز فيمتنع ان تكون المسئلة من التنازع لتعذر الاضمار من وجهين كون الحال واجبة التنكير وكون الجملة لا تضمر ويروى لم يجز ولم يشف (وقوله مكبول) يقال كبله كضربه وكبله مشددا ومعناهما وضع في رجله الكبل بفتح الكاف وقد تكسر وهو القيد فقيل مطلقا وقيل الضخم وقيل أعظم مايكون من الاقياد فهو مكبول ومكبل ويقال في المكبل مكلب على القلب قال طفيل

أباتا بقتلانا من القوم ضعفهم * ومالا بعد من أسير مكلب

ومعنى أباتا قتلنا ويقال أيضا كبله بالتخفيف بمعنى حبسه في سجن أو غيره وفي الحديث اذا وقعت السهمان فلا مكابلة أي فلا يحبس أحد عن حقه وقال

اذا كنت في دار يهينك أهلها * ولم تك مكبولا بها فتحول

أنشده ابن سيده على ذلك والصواب انه محتمل للمعنيين وفي هذا البيت احتراس بخلاف قوله * واذا نبابك منزل فتحول * (قال كعب رضي الله عنه)

* (وما سعاد غداة البين إذ رحلوا * الا أغن غضيض الطرف مكحول)

(قوله وما سعاد) الواو عاطفة على الفعلية لا على الاسمية وان كانت أقرب وأنسب لكون المعطوفة اسمية

الوقت الاظمي أغن ثم قال فان قلت هذا عكس المعنى المراد قلت بل هو محصل للمعنى المراد على وجه ابلغ وذلك انهم اذا بالغوا فى التشبيه عكسوه فجعلوا المشبه أصلا والمشبه به فرعا وفى ذلك من المبالغة مالا خفاء به والبين مضاف اليه وهو مصدر بان بمعنى فارق كما تقدم وأل فيه للعهد واذ ظرف لما مضى من الزمان او هو يحتمل لثلاثة أوجه الاول وهو الظاهر أن يكون بدلا من غداة البين كما فى قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضى الامر والثاني أن يكون ظرفا ثانيا لا بدلا من الظرف الاول والثالث أن يكون ظرفا للبين وجملة قوله رحلوا فى موضع خفض باضافة اذ اليها وانما أتي بضمير الجمع اما لقصد تعظيمها واما للاشارة الى أنها رحلت مع قومها وفى نسخة رحلت وهي ظاهر قوانما خص غداة البين ووقت الرحيل بالذكر مبالغة فى حسنها فان الشخص يكون فى ارث حالة بعد مفارقة الحبيب وتوديع الصديق مع ما ينضم الى ذلك من التأثر بفراق (١٢) الوطن عند الرحيل وأيضا فيه أشارة الى انها مخدرة لا ترى الا عند الرحيل لافضائه الى البروز من الخباء فعند ذلك وقع بصره عليها والا حرف ايجاب للنفي فهى اداة حصر لا عمل لها وأغن صفة لمحذوف أى الاظبي أغن وهو خبر سعاد والمعنى على التشبيه أي الا كظبي أغن وليس صفة لسعاد والا لقال غناء والاغن الذى فى صوته غنة وهي صوت لذيذ يخرج من أقصى الانف وشبه به صوت الرياح فى الاشجار الملتفة ولذلك قيل روضة غناء وقد جاء فى وصف سيدنا الحسين رضي الله تعالى عنه أنه كان فى صوته غنة حسنة وأمر الصوت عجيب فكما يقع العشق بواسطة النظر كذلك يقع بواسطة الصوت فقد قيل اسباب المحبة ثلاثة أشياء رؤية صورة أو سماع نغمة أو سماع وصف وهو انواع فمنه ما يسر ويهيج حتى يرقص ويقلق ومنه ما يبكى ومنه ما يورث الغشي ويزيل العقل ومنه ما تنوم به الصبيان وتستخرج به الحية من جحرها ويوم وتسقى الدواب بالصفير وتصغى بآذانها اذا غنى لها المكارى وتزيد الابل فى مشيها اذا حدا لها الحادى وغضيض الطرف صفة ثانية للمحذوف الذي تقدم تقديره وغضيض بمعنى مغضوض كقتيل بمعنى مقتول والطرف بسكون الراء معناه البصر والمراد به هنا العين وغض الطرف فى الاصل ترك التحديق واستيفاء النظر لقصد الكف عن التأمل حياء من الله أو من الناس ومنه قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم أى يكفوا عما لا يحل لهم النظر اليه وهو فى البيت يحتمل أمرين أحدهما كسر الجفون وفتورها والثاني الحياء والخفر وكلاهما مما يتمدح به أما الاول فلانه من صفات الحسن والجمال اذ النفوس تميل الي ذلك فى الغالب وترغب اليه ولم تزل الشعراء فى القديم والحديث تتغزل فى ذلك وأما الثاني فلانه يمدح عقلا وشرعا ومكحول صفة ثالثة لذلك المحذوف والمراد مكحول الطرف ففيه الحذف من الثاني لدلالة الاول لان

لان هذه الجملة لا تشارك تلك فى التسبب عن البينونة وسعاد مبتدأ الا اسم لما لا انتقاض النفى بالا والاصل وما هى فاناب الظاهر عن المضمر والذى سهله انهما فى جملتين مستقلتين وأنهما فى بيتين وان بينهما جملة فاصلة وان اسم المحبوب يلتذ با عادته ودونه قول الحطيئة

الا حبذا هند وأرض بها هند * وهند أتى من دونها النأي والبعد

لانهما فى جملة واحدة وبيت الكتاب وهو للجعدى

اذا الوحش ضم الوحش فى ظللاتها * سواقط من حر وقد كان اظهرا

لان الجملتين كالجملة الواحدة لان الرافع للوحش الاول فعل محذوف كما يقول جمهور البصريين فالفعل المذكور ساد مسد الفعل المحذوف حتى كانه هو ولهذا لا يجتمعان وان قدر رفع الوحش بالابتداء كما يقول أبو الحسن فالجملة واحدة كبيت الحطيئة بل دونه لانه ليس اسما يلتذ به واسهل من هذا البيت قوله

اذ المرء لم يغش الكريهة أو شكت * حبال الهوينا بالفتى أن تقطعا

لاختلاف لفظ الظاهرين فاشبها الظاهر والمضمر فى اختلاف اللفظ وانما يحسن اعادة الظاهر فى الجملة الواحدة فى مقام التعظيم نحو فاصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة التهويل نحو الحاقة ما الحاقة بخلاف قوله

ليت الغراب غداة ينعب دائبا * كان الغراب مقطع الاوداج

الا ان الذى سهل هذا قليلا تباعد ما بين الظاهرين (وقوله غداة) فيه مسائل * الاولى هى اسم لمقابل العشي قال الله تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي وقد يراد بها مطلق الزمان كما تقدم فى الساعة واليوم قال

غداة طفت علماء بكر بن وائل * عشية لاقينا جذام وحميرا

ألا ترى أنه قد أبدل منها العشية وهى فى بيت كعب محتملة لذلك * المسئلة الثانية وزنها فعلة بالتحريك ولامها واو لقولهم فى جمعها غدوات ونظيرها صلاة وصلوات وزكاة وزكوات ولانها من غدوت لقولهم غدوة وأما قولهم فلان يأتينا بالغدايا والعشايا فقال الجرجاني فى شرح التكملة وابن سيده فى شرح ابيات الجمل انها جاءت الياء فيها لتناسب عشايا والصواب ان الذى فعل الازدواج انما هو جمع غداة على غدايا فانها لا تستحق هذا الجمع بخلاف عشية فانها كقضية ووصية وأما الياء فانها تستحقها بعد أن جمعت هذا الجمع وهى مبدلة من همزة فعائل لا من لام غداة التى هى الواو وبيان ذلك ان العشايا أصلها عشائو بواو متطرفة هى لامها وتلك الواو بعد الهمزة المنقلبة عن الياء الزائدة فى عشية كما فى صحيفة وصحائف ثم قلبوا الكسرة فتحة للتخفيف كما فعلوا فى صحاري وعذارى قال امرؤ القيس

* ويوم عقرت للعذاري مطيتي * الا أنهم التزموا هذا التخفيف فى الجمع الذى اعتلت لامه وقبلها همزة لانه أثقل ثم انقلبت اللام ألفا لتحركها وانفتاح ماقبلها ثم ابدلت الهمزة ياء تخفيفا لاجتماع الاشباه اذ الهمزة تشبه الالف وقد وقعت بين الفين ثم لما جمعوا غداة على فعائل للمناسبة وكان كل شيء جمع على فعائل ولامه همزة أو ياء أو واو لم تسلم فى الواحد مستحقا لان يبدل من همزته ياء كخطايا ووصايا ومطايا فعلوا ذلك فى غدايا لان واو غداة لم تسلم فان قلت قدر الغدايا جمعا لغدوة وقد صح لامها لان الواو قد سلمت فى الواحد فكان القياس غداوى كما يقال هراوة وهراوى قلت يا أبى هذا أمران أحدهما انهما انما قالا انها جمع غداة فكيف أحمل كلامهما على ماصرحا بخلافه والثانى انه اذا دار الامر بين اسناد الحكم الى المناسبة واسناده الى أمر مقتض فى الكلمة نفسها تعين القول بالثانى وزعم ابن الاعرابى أن الغدايا لم تقل للمناسبة البتة وانما هى جمع لغدية لا لغداة واستدل على ثبوت غدية بقوله

ألا ليت حظى من زيارة أميه * غديات قيظ أو عشيات أشتيه

ولا دليل فى هذا لجواز أن يكون انما جاز غديات لمناسبة عشيات لا لانه يقال غدية * المسئلة الثالثة حكمها فى التعريف انها تعرف تارة بال كما فى قوله تعالى بالغداة والعشى وقول الحماسى

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشى

وتارة بالاضافة كما فى بيت كعب وهى فى ذلك مخالفة لغدوة فان الغالب تعريفها بالعلمية تقول جئتك يوم الجمعة غدوة وسمع الفراء أبا الجراح يقول فى غداة يوم بارد مارأيت كغدوة يريد غداة يومه وربما عرفت بال كقراءة ابن عامر بالغدوة والعشى * المسئلة الرابعة عاملها التشبيه اذ المعنى انها تشبه غداة بانت ظبيا من صفته كيت وكيت فان قلت الحرف الحامل لمعنى التشبيه مقدر بعد الا وما بعد الا لا يعمل فيما قبلها اذا كان فعلا مذكورا بالاجماع فما ظنك به اذا كان حرفا محذوفا قلت المخلص من ذلك أن يقدر حرف التشبيه قبلها وقبل الظرف أيضا داخلا على سعاد أى وما كسعاد فى هذا الوقت الا ظبى أغن فان قلت هذا عكس المعنى المراد قلت بل هو محصل للمراد على وجه أبلغ وذلك انهم اذا بالغوا فى التشبيه عكسوه فجعلوا المشبه أصلا فى ذلك المعنى والمشبه به فرعا عليه وفى ذلك من المبالغة مالا خفاء به وعلى ذلك قول ذى الرمة ورمل كأوراك العذارى قطعته * وقول رؤبة

ومهمه مغبرة أرجاؤه * كأن لون أرضه سماؤه

الاصل كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه فعكس التشبيه وحذف المضاف وقول أبى تمام يصف قلم ممدوحه لعاب الافاعى القاتلات لعابه * وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

وقلب الكلام جائز فى التشبيه وغيره وانما يكون مقبولا عند المحققين اذا تضمن اعتبارا لطيفا كما فى باب التشبيه ألا ترى انه أفاد المبالغة بجعل الفرع الذى يراد اثبات الحكم له أصلا وجعل غيره محمولا عليه وحينئذ فيبقى فى البيت مبالغة من ثلاث جهات احداها ما فى الكلام من حرفى النفى والايجاب المفيدين للحصر والثانية ما فيه من عكس التشبيه والثالثة حذف أداة التشبيه كما حذفت فى قوله تعالى والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم فى الظلمات فان قلت عكس التشبيه خلاف الاصل فلا يدعى الا بدليل قلت دليله تعذر اعماله فى الظرف الا على هذا الوجه فان قلت أفتسمى هذا الواقع فى البيت تشبيها أم استعارة قلت الذى عليه الحذاق كالجرجانى والزمخشرى والسكاكى تسميته تشبيها بليغا لا استعارة والحاصل ان الاقسام ثلاثة تشبيه متفق عليه واستعارة متفق عليها ومختلف فيه فالمتفق على أنه تشبيه ان يذكر أطراف التشبيه من المشبه والمشبه به والاداة كقولك زيد كالاسد والمتفق على انه استعارة أن يقتصر على ذكر المشبه به ولا يكون المشبه مقدرا كقولك رأيت أسدا فى الحمام والمختلف فيه ان يترك الاداة ويكون المشبه به خبرا اما المذكور مبتدأ كقوله تعالى والذين كذبوا

المكحول فى الحقيقة هو الطرف والمتبادر انه من الكحل بفتحتين وهو سواد يعلو العين من غير اكتحال وذلك من صفات الجمال لانه مما يستحسن وتميل اليه النفوس وقد جاء فى وصفه صلى الله عليه وسلم فى عينه كحل ويحتمل انه من الكحل بضم فسكون لان الاكتحال به يكسو العين سوادا لكن يظهر أنه يريد انضمام ذلك الى الكحل الخلقى لا منفردا عنه والا لكان نقصا فى الحسن وحاصل معنى البيت ان سعاد فى وقت الفراق الذى هو وقت الرحيل شبيهة بالظبى الموصوف بثلاث صفات مستحسنة الاولى الغنة فى الصوت وهو ما يستلذ بسماعها والثانية غض الطرف وهو من صفات الجمال والثالثة الكحل وهو من صفات الجمال أيضا وانما خص التشبيه بالظبى جريا على عادة العرب فى التشبيه بالظباء لمخالطتهم لها بواسطة سكناها الفلوات وبطون الاودية اذ كل أحد انما يشبه بما يألفه ويستقر فى خزانة خياله واعلم أن تشبيه الآدمى بالظباء انما هو من حيث استحسانها من جنس

بآياتنا صم وبكم فى الظلمات وكبيت كعب هذا أو لمقدر كقوله تعالى صم بكم وقول الشاعر

نجوم سماء كلما انقض كوكب ❊ بدا كوكب تأوي اليه كواكب

التقدير هم كصم وهم كنجوم اذ لا بد للخبر من مبتدا والفرق بين هذا القسم والذى قبله انك فى هذا القسم وضعت كلامك فى الظاهر لاثبات معنى الثاني للاول واذا امتنع اثباته له حقيقة كان لاثبات المشابهة فكان خليقا بان يسمى تشبيها بخلاف الذي قبله فانك لم تضع كلامك على التشبيه بل على استعارة اسم الاسد لمن رأيته (قوله البين) هو مصدر بان كما قدمناه وأل فيه لتعريف الحقيقة أو للعهد فى البين المستفاد من الفعل السابق أى وما هى غداة هذا البين ويأتي البين بمعنى الوصل كقوله

لقد فرق الواشون بيني وبينها ❊ فقرت بذاك الوصل عيني وعينها

ومنه قوله تعالى لقد تقطع بينكم فى قراءة من رفعه قيل وكذلك هو فى قراءة من فتح ولكن بنى لابهامه واضافته الى مبنى (وقوله اذ) يحتمل ثلاثة أوجه أحدها وهو الظاهر أن يكون بدلا من غداة كما أبدلت من يوم الحسرة فى قوله تعالى وانذرهم يوم الحسرة اذ قضي الامر الا أنها فى البيت بدل من المفعول فيه وفى الآية الكريمة بدل من المفعول به والثاني أن تكون ظرفا ثانيا للتشبيه لا بدلا من الظرف الاول فان قلت أنما يجوز تعدد الظرف اذا كان من نوعين كصليت يوم الجمعة امام المنبر فاما اذا كان الظرفان من نوع واحد فلا يعمل فيهما عامل واحد الا على ان يكون الثاني تابعا للاول أو يكون العامل اسم تفضيل وذلك لانه فى قوة عاملين كقولك زيد يوم الجمعة خير منه يوم الخميس لان المعنى انه يزيد خيره فى هذا اليوم على خيره فى ذلك اليوم قلت ذكر ابن عصفور ان مذهب سيبويه انه يجوز أيضا التعدد مع الاتفاق اذا كان الزمان الاول أعم من الثانى نحو لقيته يوم الجمعة غدوة وانه يجيز نصب الظرفين بلقيت لا على ان الثانى بدل بعض من كل وذلك لانه أجاز سير عليه يوم الجمعة غدوة برفع اليوم ونصب غدوة ولو كان بدلا منه لتبعه فى اعرابه واستدل بقوله والبيت للفرزدق

متى تردن يوما سفار تجدبها ❊ اديهم يرمى المستجير المغورا

فعدى ترد الى متى والى يوما لما كانت متى مشتملة على معنى اليوم لعمومها ولا يكون يوما نصبا بتجد لان سفار نصبت بترد فيلزم الفصل بين العامل ومعموله بالاجنبي والوجه الثالث من أوجه أذ ان تكون ظرفا للبين أى وما هى غداة بانت وقت رحيلهم (وقوله رحلوا) فى موضع خفض باضافة اذ لا نعلم فى ذلك خلافا والخلاف معروف فى الجملة بعد اذا كما سيأتي فى البيت بعده والفرق بينهما ان تلك مرتبطة بما بعدها ارتباط أداة الشرط بجملة الشرط فلم يلزم من عدم ادعاء الاضافة عدم الربط وأما أذ فلولا دعوي الاضافة لم يكن ربط وانما جمع ضمير الفاعل مع انه انما قدم ذكر سعاد لانها رحلت مع قومها ولا رادة تعظيمها كقوله

فان شئت حرمت النساء سواكم ❊ وما أحسن قول من قال

تحملت من نعمان عودا اراكة ❊ لهند ولكن من يبلغه هندا

خليلى عوجا بارك الله فيكما ❊ وان لم تكن هند لارضكما قصدا

وقولا لها ليس الضلال أجارها ❊ ولكننا جرنا لنلقاكم عمدا

أجارنا بالراء المهملة أي امالنا عن الطريق ومنه الجور ضد العدل لانه ميل عنه وكذلك قوله جرنا وكثير يصحفها بالزاي من الجواز (وقوله لا أغن) الا ايجاب للنفى وفى قوله أغن مسائل ❊ الاولى الاغن الذى فى صوته غنة والغنة صوت لذيذ يخرج من الانف ويشبه به صوت الرياح فى الاشجار الملتفة فيقال واد أغن وصوت الذباب فى الغياض وهو معنى قولهم روضة غناء وجمع الاغن والغناء غن كما يقال أحمر وحمراء وحمر فان قلت فكيف قال الجوهري طير أغن مع أن الطير للجماعة قلت الطير عند سيبويه اسم جمع لا جمع فيجوز أن يخبر عنه كما يخبر عن الواحد ألا ترى انهم يقولون ركب سائر ❊ المسئلة الثانية فى موقعه من

الوحوش لا من حيث أنها أحسن من الآدمى فى نفس الامر والا فالآدمى أحسن قال الله تعالى لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وقال عز وجل وصوركم فاحسن صوركم ولهذا قال الفقهاء رضى الله عنهم لو قال لزوجته ان لم تكوني أحسن من القمر فانت طالق لم تطلق وان كانت زنجية

الاعراب وهو صفة لمحذوف أي الاظبي أغن والذى دل على الحذف ان الصفة لا بد لها من موصوف ولو كان الموصوف فى المعنى هو سعاد كما تقول ما زيد الا قائم لكان يقول الا غناء بالتأنيث كما تقول ما هذه الروضة الا غناء والذى يدل على تعيين المحذوف ان أكثر ما يوصف بالغنة الظباء وهو وصف لازم لكل ظبي فصارت لغلبة الاستعمال فيهن كأنها مختصة بهن وحيث أطلق الاغن فى مقام التشبيه لا يتبادر الذهن الى غير الظبي فان قلت فما تقول فى قول جماعة من النحويين لا يحذف الموصوف الا ان كانت الصفة خاصة بجنسه نحو رأيت كاتبا وركبت صاهلا و يمتنع رأيت طويلا وأبصرت أبيض قلت التحقيق ان الشرط انما هو وجود الدليل ومن جملة الادلة اختصاص الصفة بالموصوف وأما انها شرط متعين فلا ألا ترى الى قوله تعالى وألنا له الحديد ان أعمل سابغات أى دروعا سابغات فحذف الموصوف مع أن الصفة لا تختص به ولكن تقدم ذكر الحديد أشعر به * المسئلة الثالثة اختلفوا فى الخبر المقرون بالا بعد ما على الاربعة أقوال أحدها وجوب الرفع مطلقا وهو قول الجمهور نحو وما محمد الا رسول ووجهه انها عملت لشبهها بليس فى النفى وقد انتقض بالا فزال الامر الذى عملت لاجله والثاني جواز النصب مطلقا وهو قول ابن يونس ووجهه الحمل على ليس والثالث جواز النصب بشرط كون الخبر وصفا وهو قول الفراء فيجيزون ما زيدا الا قائما و يمنع ما زيد الا أخاك الرابع جواز النصب بشرط كون الخبر مشبها به وهو قول بقية الكوفيين فيجيزون ما زيد الا زهيرا ويمنعون ما زيد الا قائما وعلى هذا فالنصب فى قوله الا أغن جائز على الاقوال الثلاثة الاخيرة (وقوله غضيض الطرف) فيه مسائل (الاولى) غض الطرف فى الاصل عبارة عن ترك التحديق واستيفاء النظر فتارة يكون ذلك لان فى الطرف كسرا وفتورا خلقيين وهو المراد هنا وتارة يكون لقصد الكف عن التأمل حياء من الله تعالى أو من الناس ومنه قوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم أي يكفوها عما لا يحل لهم النظر اليه وقول الشاعر يهجو من يفعل ذلك رياء

يغض الطرف من مكر ودهى * كأن به وليس به خشوعا

وما أحسن موقع هذه الجملة المعترضة بين خبر كأن واسمها وقد يراد به ترك التامل الذى هو أعم من النظر الحسي والمعنوى كقول الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

أحب من الاخوان كل موانى * وكل غضيض الطرف عن عثراتي

وقد يكنى به عن خفض الطرف ذلا كقول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وعن احتمال المكروه كقوله

وما كان غض الطرف منا سجية * ولكننا فى مذحج غربان

مذحج بفتح الميم واعجام الذال وكسر الحاء قبيلة وغربان بضمتين تثنية غرب على وزن جنب بمعنى غريب (المسئلة الثانية) وهو فعيل بمعنى مفعول كقتيل وجريح وذبيح وكحيل ودهين وهو كثير ومن غريب ما جاء منه قدير بمعنى مقدور اى مطبوخ فى القدور قال امرؤ القيس

فظل طهاة اللحم ما بين منضج * صفيف شواء أو قدير معجل

يقال قدرت اللحم وأقدرته مثل طبخته وأطبخته (المسئلة الثالثة) الطرف العين وهو منقول من المصدر ولهذا لا يجمع قال الله تعالى لا يرتد اليهم طرفهم وقال جرير

ان العيون التي فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا

فان كسرت الطاء فهو الكريم من الفتيان والخيل وخصه أبو زيد بمذكرها وجمعه طروف فان زدت على الطرف الالف والهمزة فقلت طرفاء فهو شجر واحده طرفة وبه سمى طرفة بن العبد الشاعر وقال سيبويه الطرفاء واحد وجمع (المسئلة الرابعة) خفض الطرف ناشيء عن نشبه ونصبه ناشيء عن

(قوله هيفاء مقبلة الخ) هذا البيت غير ثابت فى كثير من النسخ ولذلك لم يشرح عليه غالب الشراح وقد شرحه بعضهم ونحن نتكلم عليه تبعا له فنقول هيفاء خبر مبتدأ محذوف أى هى هيفاء أي ضامرة البطن دقيقة الخصر قال فى القاموس الهيف بالتحريك ضمور البطن ودقة الخاصرة يقال هيف كفرح وهاف كخاف هيفا وهيفاء امرأة وفرس هيفاء ومقبلة حال من هيفاء والمعنى انه يتصورها الناظر بهذا الوصف حالة كونها مقبلة وعجزاء خبر لمبتدأ محذوف مثل ما تقدم فى هيفاء ومعناه كبيرة العجيزة ومدبرة حال من عجزاء والمعنى أنه يبصرها الناظر بهذه الصفة حالة كونها مدبرة عنه وقيد كونها هيفاء بحالة الاقبال وكونها عجزاء بحالة الادبار مع ان كلا من الصفتين ثابت لها فى جميع الاحوال لان الناظر يرى ضمور البطن ودقة الخصر (١٦) فى حالة الاقبال أكثر ويرى عظم العجيزة فى حالة الادبار أكثر

وقوله لا يشتكى قصر منها ولا طول ببناء يشتكى للمجهول أى لا يشتكى الرائي عند رؤيتها قصرا فيها ولا يشتكو طولا فيها فلا تعاب بقصر ولا تذم بطول بل ربعة موسطة القدو حاصل معنى البيت ان سعاد كلما تنقلب من وضع الى وضع ومن حال الي حال يحكم الناظر اليها فى كل وضع بحسن طبع وفى كل حال بزين جمال فاذا أقبلت يحكم بانها هيفاء واذا ادبرت يحكم بانها عجزاء وهى متوسطة بين الطول والقصر فلا يشتكى الرائي قصرا فيها ولا طولا (قوله تجلو عوارض الخ) أي تجلو سعاد عوارض ثغر ذي ظلم وقت ابتسامها فتجلو فعل مضارع وفاعله ضمير يعود على سعاد المحبوبة والجملة مستأنفة أو خبر آخر عن سعاد عند من أجاز تعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة وذي ظلم صفة لمحذوف أي عوارض ثغر ذي ظلم واذا بمعنى وقت وهو حال عن معنى الشرطية فلا يحتاج للجواب وتجلو بمعنى تكشف يقال جلوت الخبر أى كشفته ويقال ايضا جلا الخبر نفسه فيستعمل متعديا ولازما واستدل والعوارض جمع عارض أو عارضة وانما يكون جمع فاعل على فواعل شاذا اذا كان صفة للعاقل كفارس وما هنا ليس كذلك واختلف فى معنى العوارض فقيل هى الاسنان كلها وقيل هى الضواحك خاصة وقيل الضواحك والانياب وقيل غير ذلك وذى بمعنى صاحب وظلم بفتح الظاء المعجمة وسكون اللام وجمعه ظلوم كفلس وفلوس ومعناه ماء الاسنان وبريقها وقيل رقتها وبياضها فان فسرناه بالاول فالمدح به من حيث ان ماء الاسنان من الاوصاف المستحسنة ومازالت العشاق تستعذبه وتستطيبه وتستلذ به وبريقها مما يتمدح به ويرغب اليه وقد جاء فى وصفه ﷺ براق الثنايا وان فسرناه بالثاني فالمدح به من حيث ان رقة الاسنان مما يستحسن فى الانسان ويعد من

رفعه والاصل غضيض طرفه بالرفع على النيابة عن الفاعل ثم قدر تحويل الاسناد الى ضمير الموصوف للمبالغة فى اتصافه بمعناها فانتصب الطرف على التشبيه بالمفعول به كما فى زيد حسن الوجه ثم أضيفت الصفة للتخفيف وانما لم يقدر الخفض ناشئا عن الرفع لئلا يلزم اضافة الشىء الى نفسه ولانهم يقولون مررت بامرأة حسنة الوجه ولو كان الوجه مرفوع المحل لم يجز تانيث الصفة كما لا يجوز ذلك مع رفع الوجه (وقوله مكحول) هو اسم مفعول أى على صيغته الاصلية بخلاف غضيض وضميره المستتر كضميره فى الارتفاع على نيابة عن الفاعل وفى عوده الى الظبي الاغن وليس ضميره عائدا على الطرف وان كان هو المكحول فى الحقيقة لانه اما خبر عن ضمير محذوف راجع للاغن او صفة لاغن وعليهما فلا بد من تحمله ضميره والمكحول والكحيل اما من الكحل بفتحتين وهو الذي يعلو جفون عينيه سواد من غير اكتحال واما من الكحل بالضم واما الاكحل فمن الكحل بفتحتين لا غير (تنبيه) قيل ان فعيلا ومفعولا لا يفترقان من وجهين احدهما معنوى وهو ان فعيلا أبلغ نص على ذلك بدر الدين بن مالك فانه يقال لمن جرح فى أنملته مجروح ولا يقال له جريح فعلى هذا كحيل أبلغ من مكحول والحق ان فعيلا انما يقتضي المبالغة والتكرار اذا كان للفاعل لا للمفعول يدل على ذلك قولهم قتيل والقتل لا يتفاوت والثاني لفظى وهو ان فعيلا المحول عن مفعول يستوى فيه المذكر والمؤنث فيقال طرف كحيل عين كحيل ولا يقال الاعين مكحولة بالتأنيث واما قول طفيل

ادهى احوي من الربعى حاجبه * والعين بالاثمد الحارى مكحول

فقيل انه لاجل الضرورة حمل العين على الطرف وقيل الاصل ما حاجبه مكحول والعين كذلك ثم اعترض بالجملة الثانية وحذف الخبر وروى بعد هذا البيت

هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة * لا يشتكى قصر منها ولا طول

قال ﴿تجلو عوارض ذى ظلم اذا ابتسمت * كانه منهل بالراح معلول﴾

(قوله تجلو) أى تكشف ومنه جلوت الخبر أى أوضحته وكشفته وجلا الخبر نفسه أي اتضح وانكشف يتعدى ولا يتعدى ومصدرهما الجلاء بالفتح والمد ولهذا سمي الاقرار بالشيء جلاء لانه يكشف الحق ويوضحه قال زهير

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو شهود أو جلاء

وعن عمر رضي الله عنه انه لما سمع هذا البيت قال لو أدركته لوليته القضاء لمعرفته بما تثبت به الحقوق ومثل هذا البيت فى استيفاء الاقسام قول نصيب

فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق قال ويحك ما ندري

فاستوفى ما يذكر فى جواب الاسئلة وروى الاخفش هذا البيت

فقال فريق القوم لما نشدتهم * نعم وفريق لايمن الله ما ندرى

صفة الجمال و بياضها مما يستحسن فى الانسان أيضا و تتطلع اليه النفوس و تنبعث اليه الخواطر وفيه دلالة على وصفين آخرين مما يستحسن ويرغب اليه الاول حداثة السن فان الانسان كلما طعن فى السن تغير لون اسنانه ومال عن البياض الى الصفرة أو الخضرة الثاني النظافة لان تغير الاسنان انما يصدر عن ترك تعهدها بالسواك ونحوه واذا ظرف لتجلو وجملة ابتسمت فى محل جر باضافة اذا اليها يقال ابتسم كاكتسب وتبسم كتكلم وبسم كجلس اذا ضحك ضحكا خفيفا وفى وصفها بالابتسام اشارة الى وصفين من أوصاف المدح الاول بشاشة الوجه وطلاقته اذ الشخص قد يكون فى غاية الحسن والجمال الفائق و لكنه عبوس الوجه فيؤدى به ذلك الي ذهاب بهجة حسنه و رونق جماله وأيضا طلاقة الوجه تدل على الكرم وعبوسته تدل على اللؤم كما قال بعضهم تلقى الكريم فتستدل ببشره * وترى العبوس على اللئيم دليلا الثانى الحياء والخفر فان الضحك برفع الصوت والقهقهة دليل على الخفة (١٧) وسقوط المروءة ولا يليق بذوي الجلالة وقد جاء فى وصفه ﷺ أن ضحكه كان تبسما والى ذلك يشير الفرزدق فى قصيدته التي يمدح بها زين العابدين علي ابن الحسين رضي الله عنهما بقوله

يغضى حياء ويغضى من مهابته

فلا يكلم الا حين يبتسم

فجعل التبسم غير قادح فى الحياء وجملة كأنه منهل بالراح معلول اما مستأنفة أو صفة للثغر أو حال منه والضمير يعود على الموصوف المحذوف وهو الثغر و نهل بوزن مكرم اسم مفعول من أنهله اذا سقاه النهل بفتحتين وهو المشرب الاول وقوله بالراح متعلق بمنهل فالمعنى كانه مشرب بالراح شرابا أولا ومعلول خبر ثان لكأن وفى الكلام حذف من الثاني لدلالة الاول أى معلول (٣ ـ بانت سعاد) بالراح وهو اسم مفعول من عله يعله بضم العين على القياس و بكسرها على خلافه فهو معلول أى مسقى ثانيا فان العلل بفتحتين الشرب ثانيا كما ان النهل بفتحتين الشرب أولا وأصل ذلك أن الابل اذا شربت فى أول الورد سمى ذلك نهلا فاذا ردت الى اعطانها ثم سقيت ثانيا سمى ذلك عللا وزعم الحريرى أن المعلول لا يستعمل الا بهذا المعنى وان اطلاق الناس له على الذى أصابته العلة وهم وانما يقال لذلك معل من أعله الله تعالى وكذا قال ابن مكي وغيره ولحنوا المحدثين فى قولهم حديث معلول وقالوا الصواب معل اه والصواب انه يجوز أن يقال معلول من العلة الا انه قليل وممن نقل ذلك الجوهري فى صحاحه وقطرب فى كتابه وحاصل معنى البيت ان سعاد اذا ابتسمت تكشف فى تبسمها عن اسنان ذات ماء وبريق وذات بياض أو رقة ولطيب ثغرها كانه مسقى بالراح نهلا ثم عللا أى أولا ثم ثانيا والراح لها ثلاثة معان الاول الخمر وهي المراد هنا والثانى الارتياح والثالث جمع راحة وهي الكف فان قيل كيف ساغ له أن يذكر فى قصيدته شرب الخمر بعد تحريمها مع انها أم الخبائث اجيب بانه جرى فى ذلك على عادة الشعراء من الغزل بذكر الخمر مع قرب عهده بالاسلام كما تقدم

واستدل به على ان همزة ايمن الله همزة وصل لاسقاطها فى الدرج ويقال جلوت بصرى بالكحل وسيفى بالصقل وهمى بكذا جلاء بكسر الجيم والمد وجملة تجلو مستأنفة أو خبر آخر عن سعاد عند من أجاز تعدد الخبر مختلفا بالافراد والجملة (قوله عوارض) فيه مسئلتان (أحداها) اختلف فى مفرده على قولين أحدهما انه عارضة قاله عبد اللطيف بن يوسف البغدادى فى شرح غريب الحديث والثاني انه عارض ثم اختلف هؤلاء فقيل هو جمع شاذ ذكر ذلك أبو جعفر النحاس قال فى شرح قول عنتره

وكان فارة تاجر بقسيمة * سبقت عوارضها اليك من الفم

لا يكاد فواعل يجيء جمعا لفاعل وربما جاء جمعا له كما يجي جمعا لفاعلة لأن الهاء زائدة قالوا هالك فى هوالك وعارض وعوارض انتهى بمعناه والصواب انه جمع لعارض وانه قياس أما الاول فلقول جرير

أتذكر يوم تصقل عارضيها * بفرع بشامة سقى البشام

وأما الثاني فلانه اسم وانما يكون جمع فاعل على فواعل شاذا اذا كان صفة للعاقل كهالك وفارس ورجل سابق وناكس فاما ان كان فاعل اسما كحاجب وكاهل وعارض وحائط ودانق أو صفة لمؤنث كحائض وطالق وطامث أو لغير العاقل كنجم طالع وجبل شاهق فجمعه على فواعل قياسى (المسئلة الثانية) اختلف فى معناها على ثمانية أقوال أحدها انها الاسنان كلها ذكره عبد اللطيف فى شرح الغريب واقتصر عليه الثانى انها الضواحك وهي ما بعد الانياب قاله ثابت فى خلق الانسان وقاله التبريزي وأبو البركات بن الانباري فى شرحيهما لهذه القصيدة زاد أبو البركات انها قد تطلق على الانسان كلها الثالث انها من الثنايا الى اقصي الاسنان قاله جماعة والرابع انها ما بعد الثنايا الي اقصي الاسنان قاله أبو نصر الخامس انها ما بعد الانياب الى أقصي الاسنان وممن قاله عبد اللطيف فى شرح هذه القصيدة ولم يذكر غيره السادس انها الضواحك والانياب قاله يعقوب والسابع انها الرباعيات والانياب قاله أبو عمرو الشيباني والثامن انها الضواحك والرباعيات والانياب حكاه اسحق الموصلي عن بعض الاعراب ورد من زعم ان الثنايا منها على من نفى ذلك بقول أبي مقبل

هزئت مية أن ضاحكتها * فرأت عارض عود قد ثرم

اذ الثرم لا يكون الا فى الثنايا (وقوله ذى) نعت لمحذوف أى ثغر ذى (وقوله ظلم) هو بفتح الظاء المعجمة ومعناه ماء الاسنان وبريقها وقيل رقتها وشدة بياضها وجمعه ظلوم كفلس وفلوس ويكون الظلم

مصدر ظلم يظلم وقد روى قول الحماسي

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا

بفتح الظاء المعجمة وضمها قال التبريزي في شرح الحماسة والفتح أحسن لان المفتوح مصدر والمضموم اسم اه وكلام المرزوقي يقتضي أنّ الاحسن ان يفتح الاول ويضم الثاني وانه روى كذلك (وقوله اذا) ظرف منصوب المحل وفي ناصبه وجهان أحدهما ما قبله وهو تجلو وذلك اذا قدرته خاليا من معنى الشرط مثله في قوله تعالى والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون وقوله اذا ما غضبوا هم يغفرون الا ترى أنه لو كان مضمنا معنى الشرط هنا لكان ما بعده جوابا له وكان يجب دخول الفاء فلما لم تدخل الفاء دل على انتفاء معنى الشرط ولكنه ظرف لما بعده بخلافه في البيت وأما من قال حذفت الفاء كما حذفت في قوله

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

فقوله ضعيف لان باب ذلك الشعر والثاني ما بعده وذلك على تقديره مضمنا معنى الشرط ويحتاج حينئذ الى تقدير الجواب أي اذا ابتسمت جلت وهل الناصب فعل الشرط أو فعل الجواب قولان أشهرهما الثاني واصحهما الاول اذ يلزم على قول الاكثر أن تقع معمولة لما بعد الفاء وان اذا الفجائية وما النافية في نحو قوله تعالى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن ثم اذا دعاكم دعوة من الارض اذا أنتم تخرجون وقولك اذا جئتني فاني أكرمك واذا أشبه انسان أباه فما ظلم ولانها قد ثبت عدم اضافتها في نحو قوله

استغن ما أغناك ربك بالغنى * واذا تصبك خصاصة فتجمل

الكلام على التغزل بالمرأة

فان قلت كيف يعمل المضاف اليه في المضاف قلت القائل بهذا لا يدعى أنها مضافة بل انها بمنزلة متى في قولك متى تقم اقم في انها مرتبطة بما بعدها ارتباط اداة الشرط بجملة الشرط لا ارتباط المضاف بالمضاف اليه (قوله ابتسمت) يقال ابتسم كاكتسب وتبسم كتكلم وبسم يبسم كجلس يجلس والمبسم كالمجلس اسم لمكان الابتسام وهو الثغر وجملة ابتسمت في موضع خفض ان قدرت اذا معمولة بتجلو والجواب محذوف ولا موضع لها ان قدرت اذا معمولة لها (قوله كأنه منهل) هذه الجملة اما مستأنفة واما صفة للثغر واما حال منه وعلى الثاني فان قدرت اذا شرطية كانت هي وجملتاها اعتراضا بين الصفة والموصوف للضرورة وان قدرت ظرفا لتجلو لم تكن ضرورة لان الفصل حينئذ شبيه بالفصل بمعمول عامل الموصوف نحو سبحان الله عما يصفون عالم الغيب لان المضاف اذا كان بعضا من المضاف اليه أو كبعضه كان صالحا للحذف فيكون المضاف اليه حينئذ كأنه معمول لعامل المضاف ولهذا جاز مجيء الحال من المضاف اليه في هاتين المسئلتين لاتحاد عامل الحال وعامل صاحبها في التقدير وعلى هذا صح وجه الحال هنا اذ العوارض بعض الثغر ونظيره قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا وان فسر العوارض بجميع الاسنان كما تقدم من قول بعضهم امتنع وجه الحال لان حينئذ نظير جاءني غلام هند ضاحكة اذ المضاف ليس بعضا كما في الآيتين الكريمتين ولا كبعض كما في قوله تعالى أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا ولا المضاف عاملا في الحال كما في قوله تعالى اليه مرجعكم جميعا فان قدرت تجلو عوارض فلم جاز هذا لان العوارض بعض للفم وان فسرت بجميع الاسنان وليس في الاحرف الستة ما يكون هو ومعمولاه حالا الا احرفين ان المكسورة وكأن نحو كما اخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون ونحو نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون وسبب ذلك ان أن المفتوحة مؤولة بمصدر معرفة وشرط الحال التنكير وليت ولعل طلبيتان وشرط الجملة الحالية أن تكون خبرية وأما لكن فانها مستدعية لكلام قبلها فلهذا لا تقع جملتها صفة ولا صلة ولا خبرا ولا حالا (والمنهل) بضم الميم اسم مفعول من أنهله اذا سقاه النهل بفتحتين وهو الشرب الاول (وقوله بالراح) فيه مسئلتان (احدها) ان للراح ثلاثة معان أحدها الخمر وهو المراد هنا ويقال فيها أيضا رياح بياء بعد الراء المفتوحة قال امرؤ

(قوله شجت بذي شبم الخ) لما شبه ثغرها بمنهى معلول بالراح على ما تقدم في البيت الذي قبله شرع في وصف الراح بانها مزجت بماء موصوف بست صفات فقال شجت بذي شبم الخ أي مزجت تلك الراح بماء موصوف بما ذكره من الصفات حتى كسرت سورتها وخمدت فورتها فان الخمر اذا أبقيت على اصلها من غير خلط ماء قيل لها صرفة فان خلطت بماء قيل لها ممزوجة قل المزج أو كثر فان مزجت حتى رقت و لطفت ولم تنكسر سورتها قيل لها مشعشعة من قولهم ظل شعاع اذا كان رقيقا لا كثيفا فان زيد على ذلك حتى انكسرت سورتها قيل شجت وهو مجاز لان الشج في الاصل الكسر ومنه شج رأسه وشججها للمبالغة وان زيد على ذلك حتى ذهبت قوتها قيل قتلت وهو مجاز أيضا لان القتل في الاصل ازهاق الروح وقد اختلف شرابها هل الاولى الصرفة أو الممزوجة فاختار قوم الصرفة ومنهم حسان بن ثابت في زمن الجاهلية حيث يقول ان التي ناولتني فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل كلتاهما حلت العصير فعاطني * بزجاجة أرخاهما للمفصل يقول للذي ناوله الخمرة وردها عليه ان التي ناولتني فرددتها (١٩) عليك قتلت بالمزج حتى ذهبت قوتها ثم دعا عليه بقوله قتلت لكونه قتلها بالمزج ثم طلبها غير مقتولة بل صرفة بقوله فهاتها لم تقتل ثم سوى بين الصرفة والممزوجة في الرجوع الى أصل واحد وهو العصير ثم طلب أشدها تأثيرا في السكر وارخاء المفاصل بقوله فعاطني بزجاجة ارخاهما للمفصل واختار آخرون الممزوجة لان الصرفة قد تؤدى الى زوال الشعور وذهاب الاحساس وبعضهم سوى بينهما كما يشير لذلك ابن الفارض بقوله

عليها بها صرفا وان شئت مزجها

فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم فان قيل لاى معنى اختار ذكر الممزوجة على الصرفة في كلامه حيث قال شجت أجيب بان الصرفة حارة يابسة والممزوجة حارة رطبة فالمزج ينقلها من اليبوسة الى الرطوبة فان قيل لم خص الشج بالذكر دون سائر أنواع المزج المتقدمة أجيب بان الشج أعدل حالات المزج لان الشعشعة لا تكسر سورتها لمقاربتها الصرفة في أفعالها والقتل يذهب سورتها بالكلية فتصير لا نشاط فيها والشج يذهب حد السورة ويبقى منها بقية تحصل منها النشوة ثم لما ذكر أنها مزجت بالماء وصف الماء الذي مزجت به بستة أوصاف الاول كونه ذا شبم أى صاحب برد شديد فذي بمعنى صاحب والشبم بفتحتين البرد الشديد قال في المختار الشبم بفتحتين البرد وقد شبم الماء من باب طرب فهو شبم اهـ والماء البارد مما يستطاب شربه ويستعذب ولقد كان عليه الصلاة والسلام يعجبه الماء الحلو البارد حتى قال في دعائه اللهم اجعل حبك أحب الى من الماء البارد وكان القطب الشاذلي يقول اذا شربت الماء الحلو البارد أشكر ربي من وسط قلبي وربما مزجوا الخمر بالماء الحار ولعل ذلك كان يقع لهم في البرد الشديد الذي يجمد فيه الخمر لشدته فاذا مزجت بالماء الحار لطفها ورققها بخلاف البارد فانه يزيدها جمود الثاني كونه ماخوذا من ماء محنية بفتح الميم وسكون الحاء وكسر النون وفتح الياء المخففة وهي منعطف الوادى وانما خص ماء محنية بالذكر لانه يكون

القيس * نشاوي تساقوا بالرياح المفلفل * والثاني الارتياح قال

ولقيت ما لقيت معد كلها * وفقدت راحى في الشباب وخالى

أى ارتياحي واختيالي وذكر أبو عمرو أن الاول منقول من هذا فانه قال سميت الخمر راحا لارتياح شاربها للكرم والثالث جمع راحة وهي الكف قال يصف سحابا دانيا من الارض * يكاد يمسكه من قام بالراح (المسئلة الثانية) الجار متعلق بمنهل وحذف نظيره أى الجار متعلقا بمعلول ويجوز على قول أبي على أن يقال انهما تنازعاه لانه يجيز أن يتنازع العاملان معمولا توسطهما قال في قوله

* مهما تصب فقا من بارق تشم * ان أفقا ظرف ومن زائدة وبارق مطلوب لتصب ولتشم فاعمل أحدهما وحذف معمول الآخر (قوله معلول) اسم مفعول كما ان منهلا كذلك الا ان فعله ثلاثي مجرد يقال عله يعله بالضم على القياس ويعله بالكسر اذا سقاه ثانيا وأصل ذلك ان الابل اذا شربت في أول الورد سمى ذلك نهلا فاذا ردت الي أعطانها ثم سقيت الثانية فذلك العلل وزعم الحريرى ان المعلول لا يستعمل الا بهذا المعنى وان اطلاق الناس له على الذى أصابته العلة وهم وانما يقال لذلك معل من أعله الله وكذا قال ابن مكي وغيره ولحنوا المحدثين في قولهم حديث معلول وقالوا الصواب معل أو معلل اهـ والصواب انه يجوز ان يقال عله فهو معلول من العلة الا انه قليل وممن نقل ذلك الجوهرى في صحاحه وابن القوطية في أفعاله وقطرب في كتاب فعلت وأفعلت وذكر ابن سيده في المحكم ان في كتاب أبي اسحق في العروض معلول ثم قال ولست منها على ثقة اهـ قال ويشهد لهذه اللغة قولهم عليل كما يقولون جريح وقتيل اهـ ولا دليل في ذلك لقولهم عقيد وضمير وهما بمعنى مفعل لا بمعنى مفعول ونظير هذا ان المحدثين يقولون أعضل فلان الحديث فهو معضل بالفتح ورد بان المعروف أعضل الامر فهو معضل كاشكل فهو مشكل وأجاب ابن الصلاح بانهم قالوا أمر عضيل أي مشكل وفعيل يدل على الثلاثي قال فعلى هذا يكون لنا عضل قاصرا وأعضل متعديا وقاصرا كما لو قالوا ظلم الليل وأظلم الليل وأظلم الله الليل انتهى وقد بينا ان فعيلا ياتى من غير الثلاثي ثم انه لا يكون من الثلاثي القاصر قال

﴿ شجت بذي شبم من ماء محنية * صاف بأبطح أضحى وهو مشمول ﴾

(قوله شجت) الشج الكسر والشق ومنه شج رأسه وشججها للمبالغة أنشد سيبويه

أصفى وأبردو كأن المعنى فيه ان الرياح تترا كم فيه لا نعطافه فتصفيه وتبرده الثالث كونه صافيا عما يخالطه من أجزاء الارض لان الماء ان كان صافيا لا يكدر الخمر التي مزجت به بخلاف ما اذا كان كدرا فانه يكدرها بمخالطته لها ويخرجها عن وصف الصفاء المطلوب فيها الرابع كونه بامطح وهو المسيل الواسع الذي فيه دقاق الحصي فلكونه واسعا يكون مظنة الكثرة ولكونه فيه دقاق الحصي يكون مظنة الصفاء الخامس كونه أخذ فى وقت الضحى وهو المراد بقوله أضحى وهي تامة فانها بمعنى أخذ فى وقت الضحى لانه أولى ما يستقي فيه الماء لقرب عهده من آخر الليل فيكون الماء فيه باردا بخلاف ما بعد ذلك من أوقات النهار فانها يشتد فيها حر الشمس السادس كونه مشمولا وهو المراد بقوله وهو مشمول أي والحال انه مشمول فالواو للحال والمشمول هو الذى ضربته ريح الشمال حتى برد فان ريح الشمال أشد تبريدا للماء من غيرها من الرياح خصوصا بارض الحجاز لرقتها ولطافتها ولا كذلك غيرها من الرياح بل ربما هبت بعض الرياح على الماء فسخنته وحاصل معنى البيت ان تلك الراح مزجت بماء بارد أخذ من منعطف الوادي صاف فى مسيل واسع فيه دقاق الحصي وكان أخذه منه فى وقت الضحى وقد ضربته ريح الشمال حتى برد فان أحسن المياه ما كان باردا فى طبعه وكان من ماء منعطف الوادى وكان صافيا فى لونه وكان فى مكان متسع فيه دقاق الحصي وكان ماخوذا فى وقت الضحى وكان مضروبا بريح الشمال حتى برد

فتقدم

وكنت أذل من وتد بقاع * يشجج رأسه بالفهر واجى

الفهر حجر يملأ الكف ويجوز تأنيثه والواجى مخفف من الواجىء وهو داق الوتد ويقال شجت السفينة البحر والناقة المفازة قال * تشج بي العوجاء كل تنوفة * ومضارعه يشج بالضم على القياس وبالكسر والمفعول مشجوج على القياس وشجيج كذبيح وطريح ويقال فى الخمر اذا خلط بها الماء مزجت وهو عام فى كل مزج فان أريد أن المزاج رققها قيل شعشعت وهو من قولهم ظل شعشاع اذا كان رقيقا لا كثيفا ورجل شعشاع اذا كان نحيفا فان أريد ان الماء كسر سورتها قيل شجت وهو مجاز وان أريد المبالغة فى ذلك قيل قتلت وهو مجاز أيضا قال الله تعالى ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا وقال عمرو بن كلثوم

ألا هبي بصحنك فاصبحينا * ولا تبقي خمورا لاندرينا
مشعشعة كأن الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا

ومعنى هبي قومى من نومك والصحن القدح الصغير واصبحينا بفتح الباء اى اسقينا بالغداة والاندرين بالدال المهملة موضع بالشام ويقال بالرفع اندرون وقيل انما اسم الموضع اندر ولكنه نسب اليه أهله فقال الاندريين ثم حذف ياء النسب للتخفيف كما فى قوله تعالى ولو نزلناه على بعض الاعجمين وقول الشاعر

* وما علمي بسحر البابلينا * والمعنى لا تبقيها لغيرنا وتسقينا سواها ومشعشعة حال أو بدل من خمور أو مفعول لاصبحينا ويجوز رفعها بتقدير هي والحص مهمل الحرفين مضموم الاول الورس وقيل الزعفران وسخينا اما اسم منصوب على الحال من الماء وهو قول أبي عمرو الشيباني قال كانوا يسخنون لها الماء فى الشتاء واما فعل وفاعل والجملة جواب لاذا أي انها اذا مزجت أحدثت فينا السخاء قبل أن نشربها وهذا أبلغ من قول عنترة

واذا شربت فانني مستهلك * مالى وعرضى وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندي * وكما علمت شمائلى وتكرمى

وقول عنترة أعدل وأحسن والعرض الحسب والكلم الجرح وهو هنا مجاز وتمثيل وفى البيت الثاني احتراس من اعتراض يرد على بيت عمرو اذ ظاهره انه لولا الخمر لم يكن فيهم سخاء والشمائل جمع شمال بكسر الشين وهى الخلق قال

ألم تعلمي أن الملامة نفعها * قليل وما لومى أخى من شماليا

وأحسن من بيتى عنترة قول امريء القيس

وتعرف فيه من أبيه شمائلا * ومن خاله أو من يزيد ومن حجر
سماحة ذا وبر ذا ووفاء ذا * ونائل ذا اذا صحا واذا سكر

وانما قدم هذا البيت على بيت عنترة لانه جمع هذه الاشياء فى بيت واحد وقال حسان رضى الله عنه

ان التي ناولتنى فرددتها * قتلت قتلت فهاتها لم تقتل
كلتاهما حلب العصير فعاطنى * بزجاجة أرخاهما للمفصل

ولهذا الشعر حكاية حسنة أوردها الامام أبو السعادات هبة الله بن الشجرى فى الجزء الثاني من أماليه قال اجتمع قوم على شراب فتغنى أحدهم بهذين البيتين فقال بعض الحاضرين كيف قال ان التي ناولتنى فرددتها ثم قال كلتاهما فجعلها اثنتين فلم يدر الحاضرون فحلف أحدهم بالطلاق ثلاثا ان بات ولم يسأل القاضي عبيد الله بن الحسين عن ذلك قال فسقط فى أيديهم ثم أجمعوا على قصد القاضي فيمموه يتخطون اليه الاحياء فصادفوه فى مسجد يصلى بين العشاءين فلما أحس بهم أوجز ثم أقبل عليهم فقال ما حاجتكم

فتقدم أحسنهم نسبة فقال نحن أعز الله القاضي قوم نزعنا اليك من طريق البصرة فى حاجة مهمة فيها بعض الشيء فان أذنت لنا قلنا فقال قل فذكر له البيتين والسؤال فقال أما قوله ان التى ناولتنى فانه يعنى به الخمر واما قوله قتلت فمعناه مزجت بالماء وأما قوله كلتاهما حلب العصير فانه يعنى به الخمر والماء فالخمر عصير العنب والماء عصير السحاب قال الله تعالى وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا انصرفوا اذا شئتم قال ابن الشجري ويمنع من هذا التأويل ثلاثة أشياء أحدها أن كلتا للمؤنثتين والماء مذكر والتذكير يغلب على التأنيث لقول الفرزدق * لنا قمراها والنجوم الطوالع * والثاني انه قال أرخاهما وافعل يقتضي المشاركة والماء لا ارخاء فيه للمفصل والثالث انه قال فالخمر عصير العنب وحسان يقول حلب العصير والحلب هو الخمر فيلزم على قوله اضافة الشيء الى نفسه وانما الجواب ان المراد كلتا المزوجة والصرف حلب العنب فناولنى أشدهما ارخاء وهى الصرف التى طلبها منه فى قوله فهاتها لم تقتل انتهى كلامه وههنا فوائد تتعلق بالبيتين احداها ان قوله قتلت جملة معترضة ونظيره فى الاعتراض بالدعاء الا انه دعاء بخير قوله

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعى الى ترجمان

وقوله ان سليمى والله يكلؤها * ضنت بشيء ما كان يرزؤها

وقول بعضهم ان قوله قتلت التفات مردود لان شرطة اتحاد مدلولى الضميرين كقوله تعالى حتى اذا كنتم فى الفلك وجرين بهم الثانية ان التاء من هاتها مكسورة كما ان الطاء من عاطنى كذلك لانهما أمران من هاتي يهاتي مهاتاة وعاطى يعاطى معاطاة وقول بعضهم انه اسم فعل مردود بامرين تصرفه واتصال ضمائر الرفع البارزة به نحو قل هاتوا برهانكم وقوله

اذا قلت هاتي ناولينى تمايلت * على هضيم الكشح ريا المخلخل

الثالثة ان الحلب فعل بمعنى المفعول كالقبض والخبط والعصير فعيل بمعنى مفعول كالكحيل والدهين والرابعة ان المفصل بكسر الميم وفتح الصاد اللسان لانه آلة تفصل بها الامور ومفعل من أوزان أسماء الآلات كالمفتح والمخيط والمفصل بفتح الميم وكسر الصاد مكان انفصال بعض الاعضاء من بعض لان اسم المكان من فعل يفعل على مفعل كالمجلس والمضرب والمعنيان صحيحان فى بيت حسان فيجوز قراءته بالوجهين الخامسة ان أرخى اسم تفضيل مبنى من أرخى وبناء أفعل التفضيل من أفعل مسموع عند قوم مقيس عند آخرين وفصل بعضهم فقال ان كانت همزته للنقل كاعطى فمسموع أو لغير النقل كاظلم الليل فمقيس ومن الوارد من ذلك قولهم ما أعطاه للدراهم وأولاه للمعروف وقوله تعالى ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة فانهما من أقسط اذا عدل ومن أقام قال الله تعالى وأقسطوا ان الله يحب المقسطين وأقيموا الشهادة لله * وفى محل الجملة من قوله شجت وجهان أحدهما النصب على الحال من الراح (فان قلت) كيف وقع الماضى حالا مع تجرده من الواو وقد (قلت) انما قلزم ذلك اذا كان الماضي مثبتا ولا ضمير معه كقوله

وجالدتهم حتى اتقوك بكبشهم * وقد حان من شمس النهار غروب

ويمتنعان ان كان الماضي فى المعنى شرطا نحو لاضربنه ذهب أو مكث أو وقع بعد الا نحو ما تكلم الا قال خيرا وتجب الواو وتمتنع قد اذا نفي الفعل ولم يكن ضميرا نحو جاء زيد وما طلعت الشمس وتجوز الواو وتمتنع قد اذا نفى الفعل ووجد الضمير نحو جاء زيد وما دري كيف جاء أو كان الفعل ليس نحو ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الآية وقول الراجز

اذا جرى فى كفه الرشاء * جرى القليب ليس فيه ماء

ويجوز فيما عدا ذلك أن تأتي بهما وأن تتركهما وأن تقتصر على الواو وأن تقتصر على قد فالاول كقوله تعالى وقد فصل لكم ما حرم عليكم والثاني كقوله تعالى أو جاؤكم حصرت صدورهم وهذا قرأ الحسن حصرت صدورهم ومنه هذه بضاعتنا ردت الينا ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت

لا أجد ما احملكم عليه تولوا وقول كعب رضي الله عنه شجت والثالث كقوله تعالى أنؤمن لك واتبعك الارذلون كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم والرابع كقول الشاعر

وقفت بربع الدار قد غير البلى * معارفها والساريات الهواطل

ولا تحتاج فى الوجه الثاني والوجه الثالث الى أن تضمر قد خلافا للمبرد والفاسي والفراء وأكثر المتأخرين والوجه الثاني الخفض على أنها صفة للراح لان تعريفها تعريب الجنس كما أجيز ذلك فى قوله

ولقد أمر على اللئيم يسبني * فمضيت ثمت قلت مايعنيني

وقوله بذي أي بماء ذي وفيه دليل على ماقدمناه من أن شرط حذف الموصوف فهم معناه لا كون الصفة مختصة بجنسه كما يقول ابن عصفور وغيره وقوله شبم هو بفتح الشين المعجمة والباء الموحدة البرد الشديد يقال غداة ذات شبم وقد شبم الماء وغيره وخصر بمعنى اشتد برده وخرص الرجل اشتد برده مع الجوع والفعلان بالخاء المعجمة والراء والصاد المهملتين والافعال الثلاثة على فعل بالكسر يفعل بالفتح ومصدرهن على الفعل بفتحتين ووصفهن بزنة الماضي وقال أبو الطيب المتنبي وأحر قلباه ممن قلبه شبم * وقال المعري لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر وعن أبي عمرو بن العلاء الشبم من الناس المقرور الجائع وفى ثبوت هذا عن مثل هذا الامام بعد وان كان الناقل له منه الجوهري لان فعل هذا الوصف لا يقتضي ذلك ولا يختص بالحيوان وقوله من ماء صفة ثانية لماء المحذوف أو حال منه وان كان نكرة لاختصاصه بالوصف بذي أو حال من ضمير ذي العائد منه على الموصوف وهذا أحسن لانه حمل على الاخص الاقرب ولهذا كان ضعيفا جزم الزمخشري فى مصدقا من قراءة بعضهم ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقا بانه حال من النكرة الوجه الاول أحسن الثلاثة لتوسط هذا الظرف بين صفتين وهما ذي شبم وصاف (فان قلت) قدر قوله صاف حالا وان المنقوص سكن حالة النصب للضرورة فانحذفت الياء للساكنين كقوله

ولو ان واش باليمامة داره * وداري باعلى حضر موت اهتدي ليا

وقول الفرزدق يهجو هشام بن عبد الملك بن مروان

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد * وعينا له حولاء باد عيوبها

وحينئذ فتترجح الحالية فى الظرف لمجاورة الحال (قلت) لا يحسن الحمل على خلاف الظاهر مع عدم الحاجة اليه ثم مناسبة المتقدم أولى من مناسبة المتأخر وأصل الماء موه فقبلت واوه ألفا على القياس وأبدلت هاؤه همزة على غير القياس وحصل بذلك توالي اعلالين وجمعه فى القلة أمواه بالهاء على الاصل وربما أبدلوها فيه قال

وبلدة قالصة أمواؤها * ماصحة رأد الضحى افياؤها

القالصة المرتفعة والماصحة الذاهبة ورأد الضحى ارتفاعه وجمعه على الاصل فى الكثرة مياه بالهاء لا غير وانما قلبت عينه ياء للكسرة قبلها والالف بعدها كدار وديار وانما صحت فى طوال لصحتها فى طويل وانما أعلت فى سياط مع سلامتها فى سوط لان السكون عندهم كالاعلال والنسبة الى الماء مائي بالهمز وماوي بالواو ككسائي وكساوي (قوله محنية) مفعلة من حنوت وجمعها محان وأصلها محنوة وهى عبارة عما انعطف من الوادي لان ماءها يكون أصفى وأرق وانما قلبت الواو ياء لتطرفها فى التقدير بعد كسرة وقول التبريزي لوقوعها رابعة بعد كسر فيه زيادة ما لبس بشرط وهو كونها رابعة وبرده وجوب القلب فى قوي ورضي وشجية فانها من الرضوان والقوة والشجو ونقص ماهو شرط وهو التطرف اما تقديرا كما فى شجية ومحنية أو لفظا كما فى قوي ورضي وقد اجتمع النوعان فى قوله محنية وقوله صاف اذهو من الصفو ومثله داع وغاز وكذلك حاد سواء كان اسم فاعل من حدا يحدو واسم العدد الا أن فى هذا قلبين قلب المكان وقلب الابدال وذلك لانه من الوحدة فاصله واحد ثم اخرت فاؤه فصار حادو ووزنه عالف (وقوله بابطح) صفة أو حال والابطح مسيل واسع فيه دقاق الحصى وجمعه بطاح على غير القياس وأباطح على القياس لانه قد صار اسما فالتحق بافكل وأفاكل وأحمد وأحامد قال

وكان

(قوله تنفى الرياح الخ) لما وصف الماء الذى مزجت به الراح فى البيت الذى قبله بما يرجع حاصله الى الكثرة والبرودة والصفاء على ما تقدم تقريره هناك اتبعه فى هذا البيت بما يؤكده فقال تنفى الرياح الخ ومعنى تنفي تطرد يقال نفاه أى طرده والرياح جمع ريح وهو عبارة عن هواء يتحرك لا لذاته بل بتحريك الفاعل المختار وهو الله تعالى كما قال جل وعز الله الذى يرسل الرياح وزعمت الفلاسفة أن سبب ذلك ارتفاع أجزاء دخانية لطيفة من الارض قد سخنت تسخينا شديدا فبسبب تلك السخونة ترتفع وتتصاعد حتى تصل الى القرب من الفلك ثم تتفرق فى الجوانب وبسبب ذلك التفرق يحصل الريح وهو مردود وأصول الرياح أربعة الاولى الصبا وتسمي بالقبول بفتح القاف لانها تقابل بهبوبها المشرق وتأتي من مطلع الشمس وانما سميت بالصبا لانها تصبو أى تميل الى الكعبة (٢٣) وهى التي تسميها أهل مصر الشرقية لانها تأتي من جهة المشرق والثانية الدبور سميت بذلك لان من استقبل المشرق استدبرها وأهل مصر يسمونها الغربية لان مهبها من مغرب الشمس والثالثة الشمال بفتح الشين سميت بذلك لانها عن شمال من استقبل المشرق وتعرف عند أهل مصر بالبحرية لانها يسار بها فى البحر على كل حال والعامة يعتقدون أنها سميت بذلك لانها تهب عليهم من جهة البحر والرابعة الجنوب وهى التى تسميها أهل مصر القبلية وعامتهم يعبرون عنها بالمريسي لانها تهب من بلاد المرس وهم طائفة من السودان حسان الوجوه وكل ريح جاءت من بين مهبي ريحين يقال لها النكباء لانها نكبت أي عدلت عن مهب تلك الرياح وقد نظم بعضهم ذلك بقوله

أصول الرياح أربع بالصبا * قبولا أتت من مطلع الشمس شرقيه دبور أتت من مغرب الشمس فاعلمن * كذا عند مصر سم يا صاح غربيه شمال تجي من عن شمال مشرق * يسار بها فى البحر تدعى ببحريه جنوب تسمي بالمريسي نسبة * لبلدان سودان وتسمى لقبليه وما بين ريحين تهب فسمها * بنكبا تجرى كالاصول بلا مريه ولاهل البحر الملاحين المعرفة التامة فى ذلك فهو كما قيل علم نفيس فى جنس خسيس والقذى بفتح القاف والذال المعجمة ما يسقط فى العين وفى الشراب والمراد به هنا ما يقع فى الماء مما يشوبه ويكدره وعنه جار ومجرور متعلق بالفعل قبله والضمير عائد على الابطح أو على الماء فالمعنى على الاول ان الرياح تهب على الابطح قبل وجود الماء فيه فتنسف مافيه من تراب ونحوه فلا يبقي فيه الا دقاق الحصي فلا يجد الماء فيه عند حلوله مايكدره فيبقى على صفائه والمعنى على

وكائن بالاباطح من صديق * يراني لو أصبت هو المصابا

وانما خفض أبطح بالفتحة لانه لا ينصرف للوصف المتأصل والوزن الغالب ومنهم من يصرفه اعتدادا بعارض الاسمية والوجهان فى اخوانه كاجرع وأبرق وأدهم للقيد والاجود منع الصرف فى الجميع (وقوله أضحى) اما تامة بمعنى دخل فى وقت الضحى فالجملة بعدها حال والواو الداخلة عليها واو الابتداء ويقدرها سيبويه باذ واما ناقصة بمعنى ثبوت الخبر للمخبر عنه فى هذا الوقت فالجملة بعدها خبر والواو زائدة ووجه دخولها تشبيه الجملة الخبرية بالجملة الحالية وهذا الوجه انما يجيزه أبو الحسن والكوفيون وتابعهم ابن مالك وزعم ان ذلك يكثر بشرطين كون عامل الخبر كان أو ليس وكون الخبر موجبا بالا كقوله

ماكان من بشر الا وميتته * محتومة لكن الآجال تختلف

(وقوله) ليس شيء الا وفيه اذا ما * قابلته عين اللبيب اعتبار

ويقل فى غير ذلك كقوله وكانوا أناسا ينفحون فاصبحوا * وأكثر ما يعطونك النظر الشزرا وعلى هذا قول كعب رحمه الله أضحى وهو مشمول والمشمول الذي ضربته ريح الشمال حتى برد يقال منه غدير مشمول ومنه قيل للخمر مشمولة اذا كانت باردة الطعم قال

تقول يا شيخ أما تستحى * من شربك الراح على المكبر
فقلت لو باكرت مشمولة * صفرا كلون الفرس الاشقر
رحت وفى رجليك مافيهما * وقد بدا هنك من المئزر

فى البيت الاول شاهد على انه يقال استحى يستحى كاستقى يستقي وقد قرأ يعقوب وابن محيصن ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بياء واحدة وقد رويت عن ابن كثير أيضا وهى لغة تميم والاصل بياءين فنقلت حركة العين الى الفاء فالتقى ساكنان فقيل حذفت اللام فالوزن يستفع وقيل حذفت العين فالوزن يستفل وفى البيت الثاني شاهد على قصر الممدود القياسى لاجل الضرورة وفيه رد على الفراء اذ زعم أنه لا يقصر للضرورة الا ما مأخذه السماع دون القياس وفى الثالث شاهد على جواز تسكين المرفوع الصحيح لاجل الضرورة وعلى جواز النقص فى الهن وهى أفصح فيه من التمام ويروى وقد بدا ذاك فلا شاهد فيه ويسمى الخمر أيضا شمولا قال القتبي لانها تشتمل على عقل صاحبها وقال غيره لان لها عصفة كعصفة الريح الشمال وأفضل مياه المطر باعتبار المكان ما كان بابطح بمحنية وباعتبار الزمان ما دخل فى زمن الضحى وباعتبار الصفات القائمة به ما كان صافيا شبما وباعتبار مايطرأ عليه ماهبت عليه ريح الشمال وقد اشتمل البيت على ذلك كله قال

﴿ تنفى الرياح القذي عنه وأفرطه * من صوب سارية بيض يعاليل ﴾

الثاني ان الرياح تهب على الماء وهو فى الابطح فتقذف ما على وجهه مما كان فى الابطح قبل وجود الماء فطفى على وجهه فتطرده الرياح الى شاطىء الوادي والمعنى الاول ابلغ فى الصفاء لعدم ملاقاة القذى للماء جملة هو اقرب الى مراد الناظم وعلى كل فالجملة فى المعنى تعليل لقوله صاف وتأكيد له وقوله وأفرطه أى وافرط ذلك الابطح الماء أى ملأها به ويشير بذلك لكثرة الماء وزيادته فان كثرته وزيادته تدفع عنه الاستقذار فلا تعاف النفوس شربه وقوله من صوب جار ومجرور متعلق بالفعل قبله والصوب المطر ويستعمل بمعنى القصد فيكون مصدر الصاب بمعنى قصد ويحكى أن رجلين أتيا رؤبة بن العجاج يسألانه عن قوله تعالى فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب فصادفاه فى الطريق فقال أين تصيبان فرجعا ولم يسألاه وقوله سارية أى سحابة تأتى ليلا من السري وهو السير ليلا وروى غادية بدل سارية وهى سحابة تأتي غدوة وفى كل منهما اشارة الى برودة الماء لان السحابة اذا أتت ليلا أو غدوة بقى الماء على أصله فى البرودة فاذا أخذ من صبيحة تلك الليلة كان فى غاية البرودة وهو من آكد المطلوب فيه وقوله بيض فاعل افراطه وهى جمع أبيض او بيضاء واختلف فى معناها فقيل للجبال وهو الظاهر الذي يرتد اليه المعنى وقيل للسحب ويردبان المعنى عليه ان السحب البيض التى ملأت الابطح استمدت الماء من مطر تلك السحابة وذلك يؤدي الى ان بعض السحب تستمد المطر من بعض وهو غير المراد وخلاف الواقع وأيضا للسحب البيض تكون خالية من المطر وأما الحاملة للمطر فان لونها يكون أغبر وقوله يعاليل صفة البيض ومفرده يعلول يقال ثوب يعلول اذا غذي بالصبغ مرة بعد أخرى واختلف فى معناها فقيل شديدة البياض وقيل التى ينزل وله فيها الماء مرة بعد اخرى آخذا من العلل وهو الشرب مرة بعد اخرى كما تقدم وقيل المرتفعة وهذا كله على تفسير البيض بالجبال وأما على تفسيرها بالسحب اليعاليل بالتي مرة بعد أخري أخذا من العلل كما مر وأقوي التفاسير أن البيض اليعاليل الجبال الشديدة البياض لان ماء السحاب يتحصل أولا فى الجبال ثم ينصب منها الى الاباطح وحينئذ يكون اصفى لان الجبال مع صفائها صلبة لا ينفصل منها شيء بوقوع المطر عليها قبل نزوله الى الابطح الذى هو مقره بخلاف الاباطح فانها لا تخلو عن تراب ونحوه فلو وقع عليها المطر أولا لربما أثار تربها لشدة وقعه عليها وحاصل معنى البيت ان الرياح تزيل القذي عن ذلك الابطح أو الماء الذى أخذ منه الماء الممزوج به الراح حتى لم يبق فيه ما يكدره وملأ ذلك الابطح الجبال الشديدة البياض من مطر سحابة جاءت ليلا أو غدوة فاجتمع فيه الصفاء والبرودة والكثرة

(قوله تنفي) مضارع نفاه اذا طرده ويقال أيضا نفى ينفي بمعنى انطرد ينطرد يتعدى ولا يتعدى ومن تعديه قوله تعالى أو ينفوا من الارض ومن قصوره قول القطامى بضم القاف * فاصبح جاراكم قتيلا ونافيا * أي منتفيا (وقوله الرياح) جمع ريح والياء فيهما بدل عن واو وانما قلبت فى المفرد لسكونها بعد كسرة كما فى ميزان وميقات وفى الجمع لما تقدم فى مياه وديار وسياط من مجيء الكسرة قبلها والالف بعدها واعتلالها فى المفرد أو سكونها فيه ومن ثم صحت فى أرواح لانتفاء الشرط الاول وفى كوزة جمع كوز لانتفاء الشرط الثانى وفى طوال لانتفاء الثالث وأما قوله

تبين لى أن القماءة ذلة * وأن اعزاء الرجال طيالها

فنادر ومن العرب من يقول أرياح كراهية الاشتباه بجمع روح كما قال الجميع اعياد كراهية الاشتباه بجمع عود وقول الحريرى ان الارياح فى جمع ريح لحن مردود وقول الجوهري الريح واحدة الرياح والارياح وقد يجمع على أرواح يقضي أن الارياح هو الكثير وليس كذلك وانما الكثير أرواح ومنه قول ميسون بنت بحدل بالحاء المهملة وهى زوج معاوية رضى الله عنه وهى أم ابنه يزيد

لبيت تخفق الارواح فيه * أحب الى من قصر منيف
ولبس عباءة وتقر عيني * أحب الي من لبس الشفوف

وهذا البيت شاهد على نصب المضارع بأن مضمرة لعطفه على اسم متقدم وحرف أكثرهم أوله فانشده للبس وانما هو بالواو عطفا على قولها لبيت وما بعده وقوله القذي هو بالذال المعجمة ما يسقط فى العين والشراب والواحدة قذاة ويقال قذيت العين بالكسر تقذى بالفتح اذا سقط فيها القذى وقذت بالفتح تقذي بالكسر اذا رمت القذى وأقذيتها اذا اجعلت فيها القذى وقذيتها مشددا اذا نزعت عنها القذى كما قالوا جلد البعير وقرده اذا نزع عنه جلده وقراده * وفى الجملة من قوله تنفي الرياح الذى عنه بحثان (أحدهما) بالنسبة الي الاعراب وهى باعتباره محتملة لثلاثة أوجه أحدها أن تكون خبرا ثانيا لاضحى على أن تكون ناقصة والثاني أن تكون حالا فان كانت أضحى تامة فذو الحال فاعلها أو مفعول مشمول المستتر فيه وهى على الثاني من الحال المتداخلة وعلى الاول من المترادفة وان كانت ناقصة فذو الحال ضمير مشمول أو ضمير أضحى ان قلنا الافعال الناقصة تدل على الحدث وهو الصحيح والثالث أن تكون مستأنفة (البحث الثاني) بالنسبة الى المعنى وهى باعتباره محتملة لثلاثة أوجه أيضا أحدها أن تكون تعليلا لقوله صاف والثاني أن تكون توكيدا له وتتميما والثالث أن تكون احتراسا وذلك لان الماء الصافى قد يعرض له أن يعلوه شيء من الاقذاء ويكون بحيث لو أزيل عنه لظهر صفاؤه وان لا كدورة فيه فنفى أن يكون هذا الماء من هذا القبيل (قوله وافرطه) يستعمل أفرط على وجهين متعديا بفى ومعناه الزيادة فى الشيء ومجاوزة الحد فيه ومتعديا بنفسه

وله ثلاثة معان أحدها ترك الشيء ونسيانه والثاني تقديمه وتعجيله والثالث ملؤه بفتح الميم وقوله تعالى وانهم مفرطون يقرأ بسكون الفاء مع كسر الراء على انه من المتعدي بفي أي مفرطون في المعاصي و بفتحها على انه من المتعدي بنفسه ومعناه اما متروكون فى النار منسيون أو مقدمون اليها معجلون وقول العرب غدير مفرط بسكون الفاء وفتح الراء من الثالث أي مملوء ومنه هذا البيت كما سيأتي ويقال من هذه المادة فرطت القوم بالتخفيف والفتح أفرطهم بالضم فانا فرطهم بفتحتين وفارطتهم بمعنى سبقتهم الى الماء ومنه الحديث أنا فرطكم على الحوض ولا يثنى الفرط ولا يجمع بخلاف الفارط فانه يطابق من قصد به قال القطامى

فاستعجلونا وكانوا من صحابتنا * كما تعجل فراط لوراد

ويقال فرط فى الامر بالتشديد اذا قصر فيه ومنه قوله تعالى ياحسرتا على ما فرطت فى جنب الله وقرىء وأنهم مفرطون براء مشددة مكسورة أى مقصرون فى الطاعات (قوله من صوب) للصوب أربعة معان أحدها المطر كقوله فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الربيع وديمة تهمي

وانتصاب غير على الحال من الفاعل المؤخر وفيه احتراس مما أورد على من قال

ألا يا أسلمى يادارمى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

اذ قيل أنه أراد الدعاء لها فدعا عليها بالخواب والجواب انه احترس اولا بقوم أسلمى وان زال واخواتها انما تقتضي ثبوت الخبر للاسم على جاري العادة فى مثله كقولنا مازال زيد يصلى فان معناه انه مذ تأتي منه فعل الصلاة لم يتركها فى اوقاتها لا انه مذ خلق لم تزل يصلى ليلا ونهارا لا يفتر والثاني أن يكون مصدر الصاب يصوب بمعنى نزل والثالث أن يكون مصدر الصاب بمعنى قصد كقول رجل من عبد القيس يمدح النعمان بن الحرث بن المنذر

تعاليت ان تعزى الي الانس جلة * وللانس من يعزوك فهو كذوب

فلست لانسى ولكن لملاءك * تنزل من جو السماء يصوب

أى يقصد الى الارض هذا هو الصواب فى تفسيره وهو قول أبي محمد بن السيد وأما قول الجوهرى والاعلم واللخمى والواحدي وغيرهم أن معناه ينزل فيلزم منه التكرار والاحسن أن يقال أصاب بالهمز ومنه قوله تعالي تجرى بأمره رخاء حيث أصاب أى تجري لينة سريعة حيث أراد قاله ابن عباس رضى الله عنهما ونقل الزجاج اجماع أهل اللغة والتفسير عليه قال ومنه قولهم للمجيب أصبت أى قصدت الجواب فلم تخطئه انتهى وما أدرى من أين استفيد معنى قوله لم تخطئه وانما الظاهر أنه من قولهم أصبت الشيء اذا وجدته وان الاصل أصبت الجواب وعلى التفسير ين فهذا الفعل قد هجر مفعوله كما فى قولهم بنى على امرأته أي قبة وأفاضوا من عرفات أي رواحلهم لانه مستعار من افاضة الماء وهو صبه بكثرة و نظيره فى المعنى قوله * وسالت باعناق المطي الاباطح * (ويحكى) ان رجلين قصدا رؤبة بن العجاج يسألانه عن معنى أصاب فى الآية فصادفاه فى الطريق فقال لهما أين تصيبان فرجعا ولم يسألاه والرابع أن يكون بمعنى الا واب كقول أوس بن غلباء

الاقالت أمامة يوم غول * تقطع بابن غلباء الحبال

ذريني انما خطئي وصوبي * علي وان ما أهلكت مال

أي وان الذى أهلكته مالى لا مال غيري فحذف ياء الاضافة منسية فظهر اعراب ما قبلها قاله أبو عمرو وخالفه بعضهم وقال انما أراد ان الذي أهلكته مال لا عرض والمراد فى بيت كعب المعنى الاول وهو محتمل لان يكون منقولا من المعنى الثانى أو الثالث وجزم عبد اللطيف بان الصوب فى البيت مصدر وان الاسم المخفوض باضافته فى موضع رفع على الفاعلية وليس بشيء بل هو اسم للمطر ولا عمل للاسم بعده بل هو كزيد فى غلام زيد (قوله سارية) هى السحابة تأتي ليلا وهى فى الاصل صفة ثم غلبت عليها الاسمية وفعلها سرت تسري ومصدره السرى وهو سير الليل خاصة والتاويب سير النهار خاصة والاسئاد بمهملتين مصدر أسأدت الابل اذا سارت ليلا ونهارا

(قوله أكرم بها الخ) أي ما أكرمها الخ فأكرم فعل تعجب جيء به على صورة فعل الامر ولذلك لا يرفع الظاهر وفاعله هنا الضمير المجرور بالباء الزائدة لاصلاح اللفظ على حد قوله تعالى اسمع بهم وابصر يوم يأتوننا أي ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم ثم ان قولها أكرم بها يحتمل لمعنيين الاول وهو الاقرب الى مراده ان المراد به كرم الحسب والشرف والارومة أي الاصل الثاني وهو الحق المتبادر الى افهام العامة ان المراد به خلاف البخل وهو الجود فان اريد الاول كان هو الغاية القصوى في المدح اذ العراقة في النسب مطلوبة في المرأة مرغوب فيها خصوصا عند العرب وقد وردت السنة باعتبار ذلك كما يدل له حديث تخيروا لنطفكم وقد نهى ﷺ عن المرأة الدنيئة الاصل بقوله واياكم وخضراء الدمن قالوا (٢٦) وما خضراء الدمن يا رسول الله قال المرأة الحسناء في المنبت السوء فشبه ﷺ المرأة الحسناء الدنيئة الاصل بالزرع الحسن النابت في الروث لان الدواب اذا راثت في المرعى ونبت الزرع في موضع الروث تراه حسنا مرتفعا على غيره من الزرع والحديث مصرح بضعفه لتفرد الواقدي به وان كان المعنى صحيحا وان أريد الثاني كان مفيدا للمدح أيضا الا أنه دون الاول لان الجود من صفات المدح في الرجل دون المرأة كذا قيل والحق ان الجود فخر لصاحبه مطلقا رجلا كان او امرأة وهذا كله على الرواية المشهورة وهي أكرم بها ويروى فيا لها أي فيا قوم اعجبوا لها لكونها اشتملت على حسن الصورة وبديع الجمال وهي مع ذلك مشتملة على سوء العشرة وقلة الموافاة وذلك في غاية العجب فان حسن الصورة مقرون بحسن الفعال وكرم الاخلاق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم أطلبوا الحوائج عند صباح الوجوه فالانسان كما يحتاج لحسن الصورة وكرم الاصل كذلك يحتاج الى حسن المعاشرة من الوفاء والصدق والود ولين الجانب ونحو ذلك اذ لو كان الانسان في غاية الحسن والجمال ولكنه سيء المعاشرة قليل الموافاة لمجته النفوس ونفرت عنه القلوب ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لجرير بن عبد الله وكان جميلا أنت امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وقد قال الامام فخر الدين ان حسن الصورة وان كان مرغوبا فيه لكن حسن السيرة أفضل منه اذ حسن الصورة انما يبقى أياما وحسن السيرة لا يزول اثره وحسن الصورة ربما ادى بصاحبه الى الوقوع في المهالك وحسن السيرة يوجب له الملك الا ترى أن حسن الصورة ادى بيوسف عليه السلام الى السجن وما وقع له من المحن وحسن سيرته أوجب له الجلوس على سرير الملك ويروى أيضا ويحها وهي كلمة ترحم تقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقها تأسفا

والحجازيون يقولون أسرى بالالف وقد اجتمعت اللغتان في قول حسان رضي الله عنه

حي العشية ربة الخدر * أسرت الي ولم تكن تسري

الرواية بفتح حرف المضارعة وقرئ بهما في السبع في نحو فاسر باهلك فاسر بعبادي واتفق على الحجازية في سبحان الذي أسرى بعبده ليلا وانما ذكر الليل مع اختصاص الاسراء به ليشار بتنكيره الدال على التقليل والتبعيض الى أنه قطع به عليه الصلاة والسلام مسافة أربعين ليلة في بعض ليلة ويؤيده قراءة ابن مسعود وحذيفة رضي الله عنهما من الليل وانما جاز في هذه القراءة تعدى أسرى بمن مرتين لان الاولى تبعيضية والثانية لابتداء الغاية وتأتي السارية بمعنى الاسطوانة ويروى غادية بدل سارية وهي السحابة تأتي بالغداة وهي أيضا من الصفات الغالبة عليها الاسمية وفعلها غدت تغدو (وقوله بيض) فاعل بافرطه وهو جمع أبيض أو بيضاء على ما يأتي في تفسير المراد به وعليهما فاصله فعل بضم الفاء ثم كسرت لتسلم الياء من الانقلاب واوا وقوله يعاليل صفة البيض ووزنه يفاعيل لانه من العلل وهو الشرب الثاني ومفرده يعلول قالوا ثوب يعلول اذا عل بالصبغ أي أعيد عليه مرة بعد اخرى واختلف في المراد بالبيض اليعاليل فقال أبو السمح الجبال المرتفعة والاشتقاق لا يساعده على تفسير اليعاليل بالمرتفعة وقال أبو عمرو البيض السحاب واليعاليل التي تجيء مرة بعد اخرى ولا واحد لها كالابابيل وتابعه على تفسير البيض بالسحاب التبريزي وعبد اللطيف وابن الانباري وغيرهم وهو مردود لاقتضائه ان السحابة السارية أمدت السحائب البيض التي ملأت الاباطح وليس هذا مراد المتكلم ولا هو الواقع وقيل هي الغدران وهو بعيد لانه ليس في العرف أنها توصف بالبياض ولا أنها تمد الاباطح والذي يظهر أنها الجبال المفرطة البياض وان المعنى وملأ هذا الابطح من ماء سحابة آتية بالليل ماء جبال شديدة البياض وذلك لان ماء السحاب يحصل أولا في الجبال ثم ينصب منها عند اجتماعه وكثرته الى الاباطح وفي هذا الكلام تأكيد لوصف الماء بالبرد والصفاء وجوز التبريزي أن يكون أفرطه بمعنى تركه أي ترك ماء المطر في هذا الابطح سحائب بيض قال ومن ثم سمي الغدير غديرا لان السيل غادره أي تركه يقال أفرطت القوم اذا تركتهم وراءك ومنه الحديث أنا فرطكم على الحوض وقوله تعالى وأنهم مفرطون أي مؤخرون انتهى ويلزمه ما قدمناه من أن بعض السحاب يستمد من بعض وأيضا فلم يثبت مجيء فرطه بمعنى تركه في موضع بل جاء بمعنى سبقه وكل من سبقته فقد خلفته وراءك وليس هذا مما نحن فيه وقد تقدم القول في تفسير ذلك مشبعا قال

﴿أكرم بها خلة لو أنها صدقت * موعودها أو لو أن النصح مقبول﴾

(قوله اكرم بها) أي ما أكرمها ومثله اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا أي ما أسمعهم وما أبصرهم في ذلك اليوم وقد اختلف في ذلك ونحوه على ثلاثة مذاهب أحدها أن أفعل فعل صورته صورة الامر

عليه كما فى قوله صلى الله عليه وسلم ويح عمار تقتله الفئة الباغية وقد خرج عمار مع سيدنا على كرم الله وجهه فى قتاله مع معاوية رضي الله عنه فقتلت جماعة معاوية رضي الله عنه عمارا فقال على رضي الله عنه لمعاوية قد بان بغيكم لانكم قتلتم عمارا وقد قال ﷺ تقتله الفئة الباغية فقال معاوية رضي الله عنه انما قتله من اخرجه رضى الله عنهم أجمعين والغرض هنا التأسف عليها حيث لم تتخلق بالاخلاق المناسبة لبديع منظرها وكرم حسبها بل حادث عن طريق الصدق ومالت الى الاخلاف فقطعت حبال المودة وهدمت مباني الالفة وكذلك تروي ياويلها وهى كلمة عذاب تقال لمن يستحق الهلكة كما فى قوله تعالى وهما (٢٧) يستغيثان الله ويلك آمن ان وعد الله حق وكانه لما أضجره اعراضها وأعياه صعوبة أخلاقها هفت منه هفوة فقال ياويلها لكن لم يقصد بذلك حقيقة الدعاء لان دعاء المحب على المحبوب المطلوب فيه عدم الاجابة كما قيل

ادعو عليك وقلبى

يقول يارب لالا

واذا دعى المحب على محبوبه بالويل فما عسى يدعو به المدوعلى عدوه وقوله خلة بضم الخاء وتشديد اللام كما فى السيوطى وغيره وان ضبطه بعض الشراح بكسر الخاء وهو منصوب على التميز اي من جهة كونها خلة والخلة بالضم صفاء المودة واطلقها هنا على المحبوبة التى هى سعاد مبالغة ويحتمل انه على تقدير مضاف أي ذات خلة فتكون الخلة بمعنى الصداقة كما فى قوله تعالي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة وقوله لو أنها صدقت موعودها أى أتمنى انها صدقت موعودها فلو للتمنى كما هو الاقرب لاستغنائه عن التقدير اذ لاجواب لها فهذه جملة مستأنفة لانشاء التمني غير معلق عليها ماقبلها فيكون كعب رضي الله عنه أحب صدقها موعودها وتمناه فان قيل قضية تمنى ذلك ان صدقها موعودها ممتنع وهو فى غاية الذم وذلك مناف لمدحه لها أولا أجيب بان عدم الصدق فى أمور الحب والعشق غير مذموم عندهم لانه يرجع للخفر والدلال فان المحبوب لو صدق فى كل شيء لم يكن محبوبا بل خادما ويحتمل انها شرطية وجوابها محذوف يدل عليه ماقبلها ويكون قد علق الامر على صدقها موعودها فعلى رواية اكرم بها يكون كرمها معلقا على صدقها موعودها وهذا لابلاغة فيه بخلافه على جعلها للتمنى فان كرمها ثابت فى كل حال وفيه غاية المدح وعلى رواية فيالها أو ياويحها أو ياويلها يكون التقدير لو انها صدقت موعودها

ومعناه التعجب وأصله الاول فعل ثلاثى ثم حول الى فعل ماضي مزيد فيه وهو افعل بمعنى صار ذا كذا كاغد البعير وابقل المكان أى صار اذوى غدة وبقل ثم حول هذا الي صيغة الطلب مع بقاء المعنى الخبري وضمن معنى التعجب فقبح حينئذ رفعه الظاهر لكونه على صورة فعل الامر فزيد فى فاعله الباء كما زيدت فى فاعل كفى فى نحو كفى بالله شهيدا الا ان زيادة الباء فى فاعل كفى غالبة لا لازمة بدليل قول سحيم

عميرة ودع ان تجهزت غاديا * كفى الشيب والاسلام للمرء ناهيا

وعن عمر رضي الله عنه انه قال له لو قدمت الاسلام على الشيب لاجزتك وزيادة الباء فى فاعل أفعل هذا لازمة لاصلاح اللفظ اذ صار بسببها على صورة قولك فى الامر الحقيقي امرر بزيد وهذا قول جمهور البصريين * المذهب الثاني انه محول من الثلاثى الى الامر من غير واسطة بينهما وانه أمر باعتبار الصيغة والمعنى جميعا وان المأمور المخاطب وان الفعل متحمل لضميره وان ذلك الضمير التزم استتاره فى الافراد والتذكير وفروعهما لانه كلام جرى مجرى المثل وان المتكلم بما أفعله متعجب والمتكلم بافعل به آمر غيره بالتعجب قاله الفراء من الكوفيين والزجاج من البصريين وابن خروف والزمخشري من المتأخرين * والمذهب الثالث انه أمر كما قال هؤلاء ولكن المأمور المصدر الذي دل عليه الفعل فمعنى أحسن بزيد أحسن ياحسن بزيد أي دم به والزمه وعلى هذا فلا يحتاج الي الاعتذار عن التزام الافراد والتذكير لان المأمور واحد فى جميع الصور وهذا قول ابن كيسان وتبعه ابن الطراوة ونقله أبو عبدالله الفارسي عن الزجاج ونقل القول الذي قبله عن الكوفيين وعلى المذهبين فالباء باء التعدية وهى متعلقة بالفعل قبلها والاسم بعدها فى موضع نصب واما على القول الاول فلا تتعلق بشيء كسائر الحروف الزائدة والاسم بعدها فى موضع رفع (وقوله خلة) منصوب على التميز والخلة هنا الصديقة ونظيره قول الآخر

ألا قبح الله الوشاة وقولهم * فلانة أضحت خلة لفلان

قالوا ويطلق أيضا على الصديق وأنشدوا

الا ابلغا خلتى جابراً * بان خليلك لم يقتل

تخطأت النبل احشاءه * فاخر دهراً ولم يعجل

ووجه الاستدلال انه أبدل جابرا من خلتي ولك ان تقول لعله علي حذف مضاف أى ذا خلتي كما فى قوله تعالى ولكن البر من آمن أى ولكن ذا البر والخلة على هذا نفس الصداقة مثلها فى قوله تعالي يوم لا بيع فيه ولا خلة وجمعت هذه على خلال كقلة وقلال ومنه يوم لا بيع فيه ولا خلال وقيل بل هو مصدر خالله ويرجحه أفراد ماقبله والآية التى قيل فيها ولا خلة ويروى فيالها خلة وياهذه اما حرف نداء والمنادى محذوف واما حرف تنبيه بمنزلة ألا وعليهما فاللام متعلقة بفعل محذوف والتقدير فياقوم اعجبوا لها خلة أو ألا اعجبوا لها خلة فان قلت هلا قدرت الضمير منادي دخلت عليه لام التعجب كما فى قوله

فيالك من ليل كأن نجومه * بكل مغار الفيل شدت بيذبل

والاصل ياإياك أو ياأنت ثم لما دخلت عليه لام الجر انقلب الضمير المنفصل المنصوب أو المرفوع ضميرا

لحلت خلالها أو لكان خير الها، واختلف في ان وصلتها بعد لو في مثل ذلك فقيل فاعل بفعل محذوف والتقدير هنا لو ثبت انها صدقت موعودها ونقل عن أكثر البصريين انه مبتدأ محذوف الخبر وجوبا كما يحذف كذلك بعد لولا والتقدير هنا لو صدقها موعودها موجود وقال بعضهم انه مبتدأ لا خبر له اكتفاء بجريان المسند والمسند اليه في الصورة وموعودها يحتمل ثلاثة أوجه الاول أن يراد به الشخص الموعود فيكون المعنى لو أنها صدقت الشخص (٢٨) الذي وعدته الثاني أن يراد به الشيء الموعود به فيكون المعنى لو أنها صدقت في الشيء الذي وعدته به وعلى هذين الاحتمالين فهو اسم مفعول الثالث ان يراد به الوعد فيكون مصدرا على راى ابي الحسن ان المصدر ياتي على زنة مفعول كالمعسور والميسور فان قيل ما المراد بالوعد الذي وعدته ولم تصدق فيه اجيب بانه وعد يتعلق بالوصل والمودة وحسن العشرة على انه قد تقدم ان محبته مصونة عن الخيانة بعيدة عن الريبة وقد حكي أن عزة دخلت على ام البنين بنت عمر بن عبد العزيز فقالت لها ما معنى قول كثير

قضى كل ذي دين فوفى غريمه
وعزة ممطول معنى غريمها

وما كان هذا الدين فقالت وعدته بقبلة ومطلته بها فقالت انجزيها له وعلى اثمها ففعلت وكانت ام البنين صالحة فاعتقت اربعين عبدا عند الكعبة وقالت اللهم اني أبرأ اليك مما قلته لعزة وقوله أولو ان النصح مقبول يقرأ بنقل حركة الهمزة للواو قبلها وحذف الهمزة للوزن ولما اشار الى عدم وفائها الوعد تبع ذلك بوصفها بعدم قبول النصح واو حرف عطف وهي بمعنى الواو لانه يتمنى كلا من الصدق في الوعد وقبول النصح لا أحدهما أحد على جعل لو للتمني وكرمها معلق على كل منهما الا على أحدهما فقط على جعلها شرطية وفي ان ومدخولها ما تقدم من الاقوال الثلاثة في التي قبلها والنصح بضم النون خلاف الغش وهو ارادة الخير للمنصوح والمراد نصحي اياها والمقبول خلاف المردود وكلامه محتمل لان يكون مراده النصح فيما يتعلق بخاصتها وهو نهيها عن الحالات الذميمة من الكذب واخلاف الوعد والملال الى غير ذلك مما تضمنته الابيات السابقة

متصلا مخفوضا قلت منع من ذلك ان ضمير ذا الغيبة لا ينادى والمغار بضم الميم وبالمعجمة من قولهم أغرت الحبل اذا أحكمت فتله ويذبل جبل أي كأن نجوم هذا الليل شدت بحبال محكمة الفتل الى هذا الجبل فهي لا تسري ولا تغور ويروى يا ويحها خلة ويا ويلها خلة وقد مضى في صدر هذا الكتاب شرح كلمتي ويح وويل والفرق بينهما ونزيد هنا ان الاصل ويل أمها فحذفت الهمزة لثقلها بذاتها وبالضمة وكونها بعد الضمة مع كثرة الاستعمال ثم حركت اللام بالكسرة لتناسب الكسرة بعدها والياء قبلها وهذا قول البصريين وقيل بل الاصل وي لامها بمعنى أعجب ولامها جار ومجرور ثم حذفت الالف للتخفيف ويؤيد قول البصريين قولهم ويلمها وويلمه بضم اللام (قوله لو انها صدقت موعودها) فيه أربع مسائل * المسئلة الاولى في لو وهي محتملة لوجهين أحدهما التمني مثلها في لو أن لنا كرة والثاني الشرط ويرجح الاول سلامته من دعوى حذف اذ لا يحتاج حينئذ لتقدير جواب بل سلامته من دعوى كثرة الحذف اذا قيل ان في الكلام حذف فعل الشرط أو خبر المبتدأ كما سيأتي ويرجح الثاني ان الغالب على لو كونها شرطية ثم الجواب المقدر محتمل لان يكون مدلولا عليه بالمعنى أي لو صدقت لتمت خلالها فتكون مثلها في قوله تعالى ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رؤسهم أي لرأيت أمرا عظيما ولان يكون مدلولا عليه باللفظ أي لكانت كريمة فتكون مثلها في قوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال الآية أي لكفروا به بدليل وهم يكفرون بالرحمن والنحويون يقدرون لكان هذا القرآن فتكون كالآية قبلها والذي ذكرته أولى لان الاستدلال باللفظ أظهر ويرجح التقدير الثاني في البيت بانه استدلال باللفظ وبان فيه ربطا للو بما قبلها لان دليل الجواب جواب في المعنى حتى ادعى الكوفيون انه جواب في الصناعة أيضا وانه لا تقدير وقد يقال انه يبعده أمران أحدهما ان فيه استدلالا بالانشاء على الخبر والثاني ان الكرم ان كان المراد به الشرف مثله في اني ألقي الي كتاب كريم فلا يحسن بحال المحب تعليق كرم محبوبته على شرط ولا سيما شرط معلوم الانتفاء وهو شرط لو وان كان المراد به ما يقابل البخل لم يكن أكرم بها مناسبا لمقام النسيب بل لمقام الاستعطاء وقد يجاب عن الاول بامرين أحدهما منع كون التعجب انشاء وانما هو خبر وانما امتنع وصل الموصول بما أفعله لابهامه وبافعل به كذلك مع انه على صيغة الانشاء لا لانهما انشاء الثاني ان المراد من الدليل كونه ملوحا بالمعنى المراد وان لم يصلح لان يسد مسد المحذوف ألا ترى الى قول الحماسي

اذن لقام بنصري معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

اذ المراد ان لان ذو لوثة خشنوا فاستدل بالمفرد على الجملة ومثله مررت بمحسن اذا سئل أي اذا سئل أحسن واللوثة بالفتح القوة وعن الثاني ان المراد به ضد البخل وهو أعم من الكرم بالمال والوصال ولو قال قائل لو وفت لي لكانت أكرم الناس أو لكانت في وجود حاتم لم يمتنع ذلك وقد شرحت معنى لو الشرطية في مقدمة قواعد الاعراب شرحا شافيا فاغنى ذلك عن ذكره هنا * المسئلة الثانية اختلف في أن وصلتها بعد لو في مثل هذا البيت وقوله تعالى ولو انهم صبروا ولو أنهم آمنوا على ثلاثة مذاهب أحدها أنها فاعل بفعل محذوف تقديره ثبت والدال عليه ان فانها تعطى معنى الثبوت وهذا قول الكوفيين والزجاج والزمخشري ويبعده أن الفعل لم يحذف بعد لو وغيرها من أدوات الشرط الا مفسرا بفعل بعده نحو قوله تعالى وان

أحد من المشركين استجارك اذا السماء انشقت واذا الارض مدت قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي وقولهم لو ذات سوار لطمتني ولا يستثنى من ذلك الا كان بعدان ولو نحو قوله عليه الصلاة والسلام التمس ولو خاتما من حديد وقولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف والفعل المقرون بلا بعد ان كقوله

فطلقها فلست لها بكفء * والا يعل مفرقك الحسام

أي وان لا تطلقها والثاني انه مبتدأ محذوف الخبر وجوبا كما يحذف بعد لولا كذلك نقله ابن هشام عن أكثر البصريين والثالث أنه مبتدأ لا خبر له أصلا اكتفاء بجريان المسند والمسند اليه في الذكر مع الطول نقله ابن عصفور عن البصريين وزعم أنه لا يحفظ عنهم غيره والرابع انه يجوز هذا ويجوز كونه فاعلا قاله المبرد * المسئلة الثالثة ذكر الزمخشري ان خبر أن الواقعة بعد لو انما يكون فعلا ورده ابن الحاجب بقوله تعالى ولو أن ما في الارض من شجرة أقلام وقال الصواب تقييد الوجوب بما اذا كان الخبر مشتقا ورد ابن مالك على ابن الحاجب بانه قد جاء اسما مع كونه مشتقا كقوله

لو أن حيا مدرك الفلاح * أدركه ملاعب الرماح

وقد يجاب بانه ضرورة كقوله * لا تكثرن اني عسيت صائما * والفلاح البقاء والمراد بملاعب الرماح ملاعب الاسنة وهو علم على شخص معروف ولما اضطر الشاعر غيره وهذا الجواب ليس بشيء لان ذلك واقع في كتاب الله تعالى قال الله تعالى وان يأت الاحزاب يودوا لو أنهم بادون في الاعراب ولو استحضر هذه الآية ابن مالك لم يعدل عنها الى الاستشهاد بالشعر ولو استحضرها الزمخشري وابن الحاجب لم يقولا ما قالاه وقد اشتمل بيت كعب رحمه الله على الاخبار بالفعل في قوله صدقت وبالاسم في قوله مقبول * المسئلة الرابعة يحتمل قوله موعودها ثلاثة أوجه أحدها أن يكون اسم مفعول على ظاهره ويكون المراد به الشخص الموعود والثاني أن يكون كذلك ويكون المراد به الشيء الموعود به والثالث أن يكون مصدرا على رأى أبي الحسن في ان المصدر يأتي على زنة مفعول كالمعسور والميسور في قولهم دعه من معسوره الى ميسوره أي من عسره الى يسره وحمل عليه قوله تعالى بايكم المفتون أي بايكم الفتنة وقيل بل المفتون اسم مفعول وايكم مبتدأ والباء فيه زائدة والمعنى أيكم الشخص المفتون فان قدرته اسما للشخص فانتصابه على المفعولية على وجه الكلام وحقيقته وان قدرته اسما للموعود به احتمل أن يكون مفعولا به على المجاز وكأنها وعدت ذلك الشيء ان تفي به وان يكون على اسقاط في توسعا كما في قولهم في المثل صدقني سن بكره ويحتاج حينئذ الى تقدير مفعول حقيقي أي لو صدقتني في الذي وعدت به وان قدرته مصدرا كان على التوسع أي في وعدها (قوله او لو ان النصح مقبول) فيه أربع مسائل أحدها انه قد يتمسك به من يري أن أو تأتي بمعنى الواو ويدعى أنه ليس مراده أن يقع أحد الامرين بل أن يقعا جميعا وهذا قول أبي الحسن والجرمي وجماعة من الكوفيين وجعلوا منه قوله تعالى الى مائة ألف أو يزيدون وقول الشاعر

وقد زعمت ليلى باني فاجر * لنفسي تقاها أو عليها فجورها

واستدل ابن مالك بقول الآخر

جاء الخلافة أو كانت له قدرا * كما أتى ربه موسى على قدر

ولعل الاستدلال ببيت كعب أظهر لان أو في الآية الكريمة محتملة للابهام والشك مصروفا الى المخاطبين أي لو رأيتموهم لشككتم في عدتهم فقلتم مائة ألف أو يزيدون وللاضراب عند من أثبته لا وكل ذلك مقول في الآية وأما البيت الاول فمعناه لنفسي تقاها ان كنت متقيا أو عليها فجورها ان كنت فاجرا فاو فيه لاحد الشيئين وليست بمعنى الواو وأما البيت الثاني فالذي وقفت عليه في انشاده في كتب الشعر والادب اذ كانت فلعل الذال تصحفت بالواو وهو تصحيف قريب * المسئلة الثانية زعم الخليل أنه لا يجوز الجمع بين نحو بسوء وبسي في قافيتين وان جاز جمع يعود ويعيد واحتج باختلاف

والللاحقة معه انه وصفها في صدر القصيدة بالجلالة والجمال والخفر وهي لا يليق بصاحبها مماطلة ذميم الخلال لانه قل ما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة وان يكون مراده النصح فيما يتعلق به ويرجع نفعه في الحقيقة اليه وهو ترك الهجر والمطل والوفاء بما وعدته به من الوصل ووجه كون ذلك نصحا لها ان المرء يجازى بفعله والمظلوم منصورا فربما رماها الدهر الى من يوقعها في حبالة الحب فيأخذ منها بثاره كما قيل

قلت لمحبوبي وقد مر بي
محبوبه كالقمر الساري
هذا الذي يأخذ لي طرفه
من طرفك الوسنان بالثار

واذا وصلته أبقت عليه روحه ففازت باجره كما قيل

فديت من ترحم عاشقها
وراحم العشاق مأجور

بل ربما حمله الحب على تمحيض النصح من جانبها لحصول الاجر طامع اعراضه عن حال نفسه في الوصل كما قيل

وما طلبي للوصل حرصا على اللقا
ولكنه أجر اليك أسوقه

وحاصل معنى البيت انها كريمة من جهة كونها صديقة ولو انها صدقت في الوعد وقبلت النصح لكانت على أتم الخلال واكمل الاحوال

الروي اذا خف الهمزان يصيران واوا وياء وخالفه أبو الحسن محتجا بان الشاعر اذا بنى القصيدة على التحقيق أمن الاختلاف واستدل أبو الفتح لابي الحسن بقول الحماسي

لكل أناس مقبر بفنائهم * وهم ينقصون والقبور تزيد
وما ان يزال رسم دار قد أخلقت * وعهد لميت بالفناء جديد

وذلك أن الشاعر بناه على تخفيف همز اخلقت ولولا ذلك لانكسر الوزن واذا جاز بناء الشعر على التخفيف فبناؤه على التحقيق أولى لانه الاصل وبيت كعب نظير بيت الحماسي وأغرب من الاحتياط الذى ذكره الخليل رحمه الله فى القوافى ماقاله أبو محمد بن الخشاب رحمه الله من أنه لايجوز أن تكون القوافى المقيدة لو اطلقت لاختلف اعرابها واعترض على أبي القاسم الحريرى فى قوله فى المقامة التاسعة والعشرين

ياصارفا عنى المود * ة والزمان له صروف
ومعنفى فى نصح من * جاورت تعنيف العسوف
لا تلحنى فيما أتيـ * ـت فانني بهم عروف
ولقد نزلت بهم فلم * أرهم يراعون الضيوف
وبلوتهم فوجدتهم * لما سبكتهم زيوف

ألا ترى انها اذا أطلقت ظهر الاول والثالث مرفوعين والرابع والخامس منصوبين والثاني مجرورا وكذا باقى القصيدة واعلم ان أشعارهم ناطقة بالغاء هذا الذي اعتبره ابن الخشاب بل قالوا فى الاسجاع مع أنها أوسع مجالا من القوافى ان مبناها على سكون الاعجاز كقولهم ما أبعد مافات وما أقرب ماهو آت فانهما لو حركا لاختلفا ومن مجىء ذلك فى الشعر قول امرىء القيس

اذا ذقت فاها قلت طعم مدامة * معتقة مما تجيء به التجر
(ثم قال) اذا قامتا يضوع المسك منهما * برائحة مثل اللطيمة والقطر

قوله طعم يروى مرفوعا بتقدير هذا طعم ومنصوبا بتقدير ذقت والتجر جمع تجار ككتب وكتاب وتجار جمع تجر كصحاب وصحب والتجر اسم جمع تاجر عند سيبويه وجمع له عند أبى الحسن فالتجر بضمتين عنده هو جمع جمع الجمع عنده وعند سيبويه جمع جمع اسم الجمع واللطيمة العير التي تحمل المسك والقطر العود * المسئلة الثالثة الالف واللام فى النصح خلف عن الضمير والاصل أو لو أن نصحها على اضافة المصدر الى المفعول ومنه قوله تعالي رب اني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا أى واشتعل رأسي شيبا وقوله تعالى فان الجنة هى المأوي أى مأواه وقول العرب مررت بالرجل الحسن الوجه برفع الوجه أي وجهه سواء قدر فاعلا كما يقول الجمهور أو بدل بعض من ضمير مستتر فى الوصف كما يقول أبو على ذكره فى قوله تعالى جنات عدن مفتحة لهم الابواب وهو تكلف خلاف الظاهر وليس بمتأت فى مثل مررت بالرجل الكريم الاب ولا مخلص من دعوي تقدير الضمير أو كون أل نائبة عنه لان الصفة كما تفتقر الى ضمير يربطها بالموصوف كذلك بدل البعض يفتقر الى ضمير يربطه بالمبدل منه ونيابة أل عن الضمير قال بها الكوفيون وبعض البصريين وهذا ظاهر مذهب سيبويه لقوله فى ضرب زيد البطن والظهر فيمن رفع أن المعنى ظهره وبطنه ولم يقل الظهر منه والبطن منه كما يقول أكثر البصريين ومن حجتهم قول طرفة بن العبد

رحيب قطاب الجيب منها دقيقة * بجس الندامى بضة المتجرد

فجمع بين أل والضمير فدل على أنها ليست عوضا عنه والجواب ان أل هنا لمجرد التعريف مثلها فى الرجل لا للتعريف والتعويض مثلها فى فان الجنة هى المأوى كما ان الهاء فى وجهة لمجرد التأنيث مثلها فى مسلمة لا للتأنيث والتعويض مثلها فى عدة وأيضا فقد يجتمع العوض والمعوض منه فى الضرورة كقوله * أقول يا اللهم يا اللهما * وقوله هما نفثا فى فى من فمويهما * والرحيب الواسع والقطاب مجتمع الجيب ومنه قطب بين عينيه اذا جمع وجاؤني قاطبة أي جميعا يقولون ان عنقها واسع بدليل اتساع مجتمع جيبها والبضة البيضاء الرخصة والمتجرد بفتح الراء الجسد (تنبيه) نيابة أل عن الضمير فى نحو حسن الوجه

(قوله لكنها خلة الخ) لما أشار فى البيت الذي تقدم الي اتصافها بصفتين وهما عدم صدق الوعد وعدم قبول النصح أشار فى هذا البيت الى أنها اشتملت على أربع خصال مستلزمة لما فى البيت الذى قبله وزيادة فلكن هنا لتأكيد مفهوم ما قبلها مع زيادة عليه والضمير فى لكنها يعود على المحبوبة التى هى سعاد وخلة بمعنى صديقة وخليلة كما تقدم وقد حرف تحقيق مع الماضي كما هنا وقوله سيط بكسر السين المهملة أو الشين المعجمة معناه خلط يقال ساطه اذا خلطه بغيره حتى صار شيأ واحدا ومنه قيل للآلة التى يضرب بها سوط لانها تسوط اللحم بالدم أي تخلطه به ومن دمها جار ومجرور متعلق بسيط ومن بمعنى الباء أو فى فالمعنى قد خلط بدمها أو فيه هذه الخلال الاربع وهذا كناية عن كونها صارت لها خلقا طبيعيا لا تنفك عنه والدم أحد الاخلاط الاربعة التى بها قوام البدن وهي الدم والبلغم والصفراء والسوداء وقوله فجع نائب فاعل سيط والفجع بفتح الفاء وسكون الجيم وبالعين المهملة الاصابة بالمكروه لانه مصدر فجعه اذا أصابه بمكروه وهو محتمل لامور منها الهجر وما يتبعه من مقاساة الالآم ومكابدة الاهوال ومعالجة الاسقام فالهجر يذيب القلوب ويشيب الرؤس ولله در القائل

ألا فاعجبوا من فعلها بحبيبها * ولا تعجبوا من لمتي ومشيبها
فان هجرتني شيبتني بهجرها * وان واصلتني شيبتني بطيبها

ومنها ما يلقاه منها من الحيف والاساءة وما أحسن قول القائل وأكثر أفعال الغوانى اساءة وأكثر ما تلقى الامانى كواذبا وقد قيل من العناية أن تحب ويحبك من تحب ومن الشقاوة أن تحب ولا يحبك من تحب ومنها ما يناله من العذاب كاللوم والتوبيخ كما قال ابن بسام

لقد صبرت على المكروه أسمعه * من معشر فيك لولا أنت ما نطقوا
وفيك داريت قوما مالاخلاق لهم * لولاك ما كنت أدرى أنهم خلقوا

وقوله وولع عطف على فجع والواقع بسكون اللام والولعان بفتحها الكذب ففى القاموس ولع كوضع ولعا وولعانا بفتح اللام كذب اه وهو محتمل لامور منها الكذب فى اخفاء محبته واظهار كراهته وتقاصيها عن وصله كما قال بعضهم من منصفى من فتاة قد علقت بها * أضحت يمازجها وصل وهجران تبدي صدودا وتخفى تحته شغفا * فالنفس راضية والطرف غضبان ومنها كذبها فى دعوى العوائق عن الوصل واقامة الحجج المانعة منه كما قال بعضهم تقيم معاذيرا وتزعم صدقها * وتطمع آمالى بها قالين وتحلف لو تستطاع جادت بوصلها * وليس لمخضوب البنان يمين وقوله واخلاف عطف على فجع ايضا والاخلاف بكسر الهمزة وسكون الخاء وبالفاء فى آخره خلاف الوفاء والمراد هنا اخلاف الوعد بدليل قوله فى البيت الذي قبل هذا والأنها صدقت موعودها فتعده وتمنيه وتمطله ولا تفيه وقوله وتبديل عطف على فجع مثل ما قبله وهو تبديل شيء بغيره والمراد به هنا تبديل خليل بخليل فلا تبقى على خليل بل تصاحب هذا مرة وهذا أخرى لملالها من الصحبة فكلما خالت خليلا ملته وانتقلت عنه

من حيث هو ضمير لا من حيث هو مضاف اليه وربما توهم من كلامهم الثاني وقد استحسن ذلك الزمخشري حتى جوز نيابتها عن المضاف اليه الظاهر فقال فى قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها ان الاصل أسماء المسميات ولا أعلم أحدا قال بهذا قبله والمشهور فى الآية الكريمة قولان أحدهما ان الاصل مسميات الاسماء ثم حذف المضاف وعاد الضمير من ثم عرضهم عليه كما عاد على المضاف المحذوف قوله تعالى أو كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج الاصل أو كذى ظلمات يغشاه الثاني أن الاسماء أريد بها المسميات فلا حذف البتة * المسئلة الرابعة انه أخبر عن اسم أن بعد لو بالمفرد وقد مضى ذلك مشروحا قال

﴿ لكنها خلة قد سيط من دمها * فجع وولع واخلاف وتبديل ﴾

(قوله لكنها خلة البيت) موقع لكن وما بعدها مما قبلها كموقعها فى قولك لو كان عالما لاكرمته لكنه ليس بعالم ولا صالح فى ان ما بعدها توكيد لمفهوم ما قبلها وزيادة عليه (وقوله قد سيط الى آخره) جملة فى موضع الرفع صفة لخلة ولولا هي لم تحصل الفائدة ونظيرها الجملة التى بعد قوم فى قوله تعالى بل أنتم قوم تجهلون بل أنتم قوم عادون وعلم بذلك ان الفائدة كما تحصل من الخبر كذلك تحصل من صفته وهذا يشكل على أبي على فى مسئلة وذلك انه حكى عن أبي الحسن رحمه الله انه امتنع من اجازة أحق الناس بمال أبيه ابنه لانه ليس فى الخبر الا ما فى المبتدا ثم قال فان قلت أحق الناس بمال أبيه ابنه البار به أو النافع له او نحو ذلك كانت المسئلة على فسادها أيضا لان الخبر نفسه غير مفيد ولا ينفعه مجىء الصفة من بعده لان وضع الخبر على تناول الفائدة منه لا من غيره حكى ذلك عنه عبد المنعم الاسكندرى فى كتاب التحفة ونظير تصحيح الصفة للخبرية تصحيحها للابتدائية فى قوله تعالى ولعبد مؤمن خير من مشرك وتصحيحها لدخول الفاء فى الخبر فى قوله تعالى قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ومن هنا اجاز يونس فى الندبة وازيد الطويلاه تنزيلا للصفة والموصوف منزلة الشيء الواحد ويشهد له قول بعض العرب واجمجمتى الشاميتيناه واذا جاز للحال أن تحصل به الفائدة المقصودة من الكلام كما فى قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين فما للذين كفروا قبلك مهطعين اذ السؤال انما هو فى المعنى عن الحال فجواز ذلك فى الصفة أجدر وعلى مسئلة الحال يتخرج قول الحسن البصرى كأنك بالدنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل وذلك بان تقدر الظرف خبرا والجملة المنفية حالا ويؤيده انها رويت مقرونة بالواو فانتفى أن تكون خبرا وعلى ذلك قولهم كأنك بالشمس وقد طلعت وقول الحريري كأني بك تنحط * الى القبر وتضغط وقد أسلمك الرهط * الى أضيق من سم

أى كأنى بك منحطا وأما قول المطرزى ان الأصل كأني أبصرك ثم حذف الفعل ففيه حذف فعل وزيادة حرف (وقوله قد سيط) من ساط الماء وغيره يسوطه سوطا اذا خلطه بغيره وضربهما حتى اختلطا ومنه قيل للآلة التى يضرب بها سوط لانه يسوط اللحم بالدم ويجوز أن يقرأ قد شيط بالشين المعجمة لانه يقال شاطه بمعنى ساطه وقد روي بيت المتلمس بالوجهين وهو

أحارث انا لو تشاط دماؤنا * تزايلن حتى لا يمس دم دما

قوله تزايلن البيت جار على ما تزعمه العرب من أن دم المتباغضين لا يختلط ولهذا قال

فلو انا على حجر ذبحنا * جرى الدميان بالخبر اليقين

ولما لحظوه بين المتباغضين من تباعد قلوبهما وتزايل دمائهما سموهما خصمين لان كل واحد منهما فى خصم والخصم بالضم الجانب والناحية وقال الزمخشرى أتاني آت فى النوم فقال مما اشتق اسم العدو فقلت من العدوة لان كلا من المتعاديين فى عدوة واشتقه غيره من عدا يعدو لان كلا منهما يعدو على الآخر والعدوة شط الوادي وأولها مثلث ويقال أيضا عدية بقلب الواو ياء للكسرة ولم يعتد بالدال لسكونها ونظيره صبية وقد قرئ بالاوجه الاربعة ويجوز فى أول سيط وشيط ونحوهما من فعل المفعول الثلاثي المعل العين اخلاص الكسر وهو لغة قريش ومن جاورهم واشمام الكسر الضم وهو لغة كثير من قيس وأكثر بنى اسد واخلاص الضم وهو لغة بعض تميم وجميع فقعس ودبير وهما من فصحاء بنى أسد ونظير بيت المتلمس فى روايته بالسين والشين بيت ابن دريد

أرمق العيش على برض فان * رمت ارتشافا رمت صعب المنتسا

فمن رواه بالمهملة فهو من قولهم نسأ الله فى اجلك أى أخر والالف على هذا مبدلة عن الهمز والمعنى أعطى من العيش ما يسد رمقي أي بقية نفسى فان قصدت مص الشيء رمت المستبعد الصعب وفيه تقدم الصفة واضافتها الى الموصوف كقولهم أخلاق ثياب ومن رواه بالمعجمة فمعناه استقصاء الشرب بالمشافر وبيت عمرو بن أذينة

لقد علمت وما الاشراف من خلقى * ان الذي هو رزق سوف يأتينى

وهو بالمعجمة أظهر ومعناه التطلع الى الشيء وبعده

أسعى اليه فيعييني تطلبه * ولو قعدت أتاني لا يعنيني

ولهذا الشعر حكاية حسنة وهى ان قائله وفد على هشام بن عبد الملك فى جماعة من الشعراء فقال له ألست القائل وانشده البيتين قال نعم قال فما بالك قد جئت من الحجاز الي الشام فى طلب الرزق فقال له لقد وعظت يا أمير المؤمنين واذكرتني ما انسانيه الدهر ثم خرج من فوره فركب راحلته وتيمم الحجاز ومكث هشام يومه مشتغلا عنه فلما جاء الليل ودخل الى فراشه ذكره فقال رجل من قريش قال حكمة فرددته ثم هو شاعر ولا آمن لسانه فلما أصبح جهز مولى له الى الحجاز وأعطاه مائتي دينار فلم يدركه حتى دخل بيته فلما دفعها اليه قال له أبلغ أمير المؤمنين السلام وقل له كيف رأيت البيتين سعيت فاكديت ورجعت الى بيتى فاتاني رزقى ومن ذلك قول الآخر

أعلمه الرماية كل يوم * فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافى * فلما قال قافيه هجاني

الرواية الجيدة استد بالمهملة من السداد وهو الصواب ومن أعجمها ذهب به الي معنى الاشتداد والقوة ومن ذلك قولهم سمت العاطس وشمته فمن أهملها فمعناه دعا له بالبقاء على سمته ومن أعجمها فمعناه دعا له بان يسلب عنه شامتوه أى أن لا يصيبه شيء فيشمت به وقد فسر تابغير ما ذكرنا وليس بمناسب ولذلك قولهم الشطرنج يروى بالمهملة لانه يجعل أسطرا وبالمعجمة لان اللاعبين يقتسمان القطع شطرين والشطر المنصف قال عنترة ابن شداد العبسى

اني امرؤ من خير عبس منصبا * شطري وأحمى سائرى بالمنصل

الى آخر كما أشار اليه العباس ابن الاحنف بقوله

ياقوم لم أهجركم لملالة منى * ولا لمقال واش حاسد

لكنني جربتكم فوجدتكم * لا تصبرون على طعام واحد

ثم انه يحتمل أن يكون ذلك حقيقة ويحتمل ان يكون خيالا منه قد خيلته الغيرة فى نفسه من شدة الحب كما قال القائل

واني لارجو أن تدوم لعهدها * ولكن سوء الظن من شدة الحب

وحاصل معنى البيت أن هذه المحبوبة التى ابتلى بحبها قد امتزج بدمها وصار طبعا لها لا تنفك عنه لاصابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد والملال على ما تقدم بيانه

وذلك لان أباه عربي وأمه أمة فشطره من جهة أبيه يفاخر به الناس وشطره من جهة أمه يحامي عنه بالمنصل وهو السيف وفي البيت استعمال سائر بمعنى الباقي لا بمعنى الجميع ولا أعلم أحدا من أئمة اللغة ذكر أنها بمعنى الجميع الا صاحب الصحاح وهو وهم (وقوله من دمها) أي في دمها كقوله تعالى أروني ماذا خلقوا من الارض اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة واختلف في وزن دم فقال سيبويه وأصحابه فعل بالاسكان واحتجوا بأمرين أحدهما جمعه على دماء ودمي كما جمع نحو ظبي ودلو على ذلك ولو كان مثل عصا وقفا لم يجمع عليهما والثاني أن الحركة زيادة فلا تدعى الا بدليل وقال المبرد فعل بالتحريك بدليلين أحدهما أن فعله دمي يدمي كفرح يفرح فاصل الدم دمى كفرح قال أبو بكر وليس قوله بشيء لان كلامنا في الدم الذي هو جوهر لا في الدم الذي هو حدث والثاني انهم لما رجعوا اليه لامه قلبوها ألفا كقوله

غفلت ثم أتت تطلبه * فاذا هي بعظام ودما

ولو كانت العين ساكنة لصحت اللام كما في ظبي وغزو قال ابو الفتح والجواب عن هذا بان المراد أما المصدر على حذف مضاف أي دمى دما واما الجوهر ولكنه رد اللام وأبقى العين متحركة كما كانت قبل الرد قلت ويؤيد الثاني قوله

قد أقسموا لا يمنحونك نفعهم * حتى تمد اليهم كف اليدا

واليد فعل بالاسكان عند المبرد وغيره من البصريين بل ذكر الجوهري أنه متفق عليه وليس كذلك بل قال الكوفيون أنها فعل بالتحريك واختاره ابن طاهر فان قلت فكيف قال الآخر * ان مع اليوم أخاه غدوا * قلت يجب أن يدعى أنه نطق بالكلمة على أصلها ولم يقدر أنه رد اللام بعد حذفها وانما وجب هذا التقدير للجمع بين الادلة (قوله فجع) هو مصدر فجعه اذا أصابه بمكروه والفجيعة ما أوجع من المصائب (قوله وولع) هو مصدر ولع بالفتح اذا كذب وانما قالوا ولع وألع على المجاز الاسنادي كما قالوا عجب عاجب وجمع الوالع ولعة ككاذب وكذبة والولعان بالتحريك بمعنى الولع بالاسكان قال * وهن من الاخلاف والولعان * أي من أهل الاخلاف أو قدر انهن خلقن من هذين الوصفين على المبالغة في وصفهن بهما ومثله خلق الانسان من عجل ويؤيده ان بعده فلا تستعجلون وقيل العجل الطين بلغة حمير وأنشد

* والنخل تنبت بين الماء والعجل * وليس يثبت عند علماء اللغة (قوله واخلاف وتبديل) مصدرا خلف وبدل ومعنى البيت ان هذه المرأة قد خلط بدمها الافجاع بالمكروه والكذب في الخبر والاخلاف في الوعد وتبديل خليل بآخر وصار ذلك سجية لها لا طمع في زواله عنها قال

﴿ فما تدوم على حال تكون بها * كما تلون في أثوابها الغول ﴾

(قوله فما تدوم) الفاء للسببية أي فلما جبلت عليه من الاخلاف والتبديل لا تدوم على حال وتدوم تامة لا ناقصة لان المتقدمة عليها نافية لا ظرفية ولانها بلفظ المضارع والناقصة جامدة على لفظ الماضي على الصحيح (وقوله على حال) متعلق بتدوم أو حال والحال ما الانسان عليه من خير أو شر وتأنيثها كما جاء في البيت أكثر من تذكيرها والتذكير لغة الحجازيين والجمع أحوال كمال وأموال وربما قالوا حولة حكاه اللحياني وقد يقال حالة قال الفرزدق

على حالة لو أن في القوم حاتما * على جوده لضن بالماء حاتم

هذا المشهور في رواية هذا البيت ورواه المبرد في الكامل على ساعة وحاتم في البيت مخفوض بدلا من الهاء

(قوله فما تدوم على حال الخ) أي فبسبب ما جبلت عليه من الاخلاف والتبديل لا تستمر على حال بل تتغير من حال الى حال فتارة تصل وتارة تقطع وتارة ترضى وتارة تغضب وتارة تود وتارة تجفو وتارة ترغب في خليل وتارة ترغب عنه فظهر من ذلك ان الفاء للسببية وما نافية وتدوم تامة وفاعلها ضمير يعود على خلة وعلى حال متعلق بتدوم والحال ما عليه الانسان من (٣٣) خير أو شر وتذكر وتؤنث وتذكير لفظها أفصح من تأنيثه وتأنيث وصفها أو ضميرها افصح من تذكيره وقد جرى الناظم على الافصح فيها حيث قال على حال ولم يقل على حالة وقال تكون بها ولم يقل تكون به وجملة تكون بها في محل جر صفة لحال والضمير المستتر في تكون عائد على الخلة فقد جرت الصفة على غير من هي له فكان عليه ابراز الضمير أي تكون هي متلبسة بها فالباء للملابسة ويحتمل أن تكون بمعنى على اي تكون عليها وقوله كما تلون في أثوابها الغول صفة مصدر محذوف دل عليه ما قبله اذ الذي لا يدوم على حال يكون متلونا فكأنه قال انها تتلون تلونا كما تتلون في أثوابها الغول فالكاف مع مدخولها صفة لذلك المصدر المحذوف وما مصدرية وتلون فعل مضارع فاصله تتلون حذفت احدى تاءيه بالتخفيف وفي أثوابها جار ومجرور حال من الغول مقدمة عليه والغول فاعل للفعل قبله والتقدير كما تتلون الغول حال كونها في أثوابها فالهاء من أثوابها عائدة على الغول لكونه وان كان متاخرا لفظا

(٥ ـ بانت سعاد) متقدما رتبة واعلم ان العرب تزعم أن الغول ترى في الفلاة بالوان شتى فتأخذ جانبا عن الطريق فيتبعها من راها ظنا أنها على طريق فيضل عن الطريق فيهلك وربما قالوا انها تعترضهم في الطرقات فتحيرهم وقد اختلفوا هل لها وجود حقيقة أو هي من خرافات العرب فذهب قوم الى الاول محتجين بقوله ﷺ اذا تغولت الغيلان بادروا بالاذان وفي حديث أبي أيوب كان لي تمر

في سهوة فكانت الغول
تجيء فتاخذها وعليه فهي
نوع من الشياطين سميت
بذلك لاغتيالها الشخص
وكل شيء اغتال الانسان
فهو غول وذهب آخرون
الى الثاني محتجين بقوله
صلى الله عليه وسلم كما ثبت في صحيح
مسلم لاطيرة ولا نوء ولا غول
فنفى صلى الله عليه وسلم
الغول كما نفى الطيرة ووقوع
المطر بنوء الكواكب فهي
من الامور المستحيلة التي
هي على غير مسميات كما شار
لذلك بعض الشعراء بقوله
الجود والغول والعنقاء
ثالثها
أسماء أشياء لم تخلق ولم
تكن لكن نظر في الجود
بان كثيرا من الناس اتصفوا
به حتى كان سجيتهم
والصواب أن يقول والخل
بدل الجود والمراد الخل
الوفي كما قال بعضهم
لما اختبرت بني الزمان فلم
أجد
خلا وفيا للشدائد أصطفي
أيقنت أن المستحيل ثلاثة
الغول والعنقاء والخل الوفي
وحاصل معنى البيت ان
المحبوبة لاتدوم على حال
تكون عليها بل تتغير من
حال الى حال فتتلون بالوان
شتى وترى في صور مختلفة
كما تتلون وتتشكل الغول
في أثوابها بالوان وأشكال
كثيرة

من جوده ولم يجعل الجوهري الحال والحالة بمعنى بل جعلهما من باب تمرة وتمر وهو غريب رفد يقال في الحالة آلة بالهمزة مكان الحاء قال الراجز

قد أركب الآلة بعد الآلة ❊ وأترك العاجز بالجداله

ورواه بعضهم قد أركب الحالة بعد الحالة والجدالة بالفتح الارض يقال طعنه فجدله أي رماه الى الارض (وقوله تكون بها) في موضع خفض صفة لحال رابطها الضمير المجرور ويحتمل قوله تكون التام والنقصان فالظرف متعلق بها أو بالاستقرار ويجوز على وجه التمام كون الظرف حالا فيتعلق بالاستقرار كما في وجه النقصان والباء للالصاق مثلها في قولك بزيد داء أو بمعنى على مثلها في قوله تعالى ومن أهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار الآية أو بمعنى في مثلها في قوله تعالى حتى توارت بالحجاب ويحتمل باء بالحجاب السببية (وقوله كما) الكاف وما حرفان جار ومصدري خلافا لابن مضاء في زعمه ان الكاف اسم أبدا لانها بمعنى مثل وللاخفش في أجازته كونها اسما وان لم يدخل عليها عامل من عوامل الاسماء وله ولابن السراج في اسمية ما المصدرية وترد كما في العربية على خمسة أوجه أحدها ماذكرنا من كون الكاف جارة وما مصدرية وهي وصلتها في موضع جر الثاني أن تكون الكاف جارة وما موصولا اسميا وقد أجيز ذلك في قوله تعالى قالوا ياموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فقيل التقدير كالذي هو آلهة لهم الثالث أن تكون الكاف جارة وما زائدة غير لازمة كقوله

وننصر مولانا ونعلم أنه ❊ كما الناس مجروم عليه وجارم

الرابع أن تكون كذلك الا ان زيادة مالازمة وذلك في نحو قولهم هذا حق كما أنك ههنا قال سيبويه رحمه الله زعم الخليل ان مالغو الا انها لاتحذف كراهة ان يجيء لفظها كلفظ كأن الخامس ان تكون ما كافة للكاف عن عمل الجر كقوله

أخ ماجد لم يخزني يوم مشهد ❊ كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

وقد خرج عليه الآية الزمخشري وغيره ومن جوز وصل ما المصدرية بالجمل الاسمية ادعى ذلك هنا وأبطل هذا القسم (وقوله تلون) أصله تتلون فحذفت التاء الثانية للتخفيف وقال هشام الكوفي المحذوف الاولى وهو بعيد لان حرف المضارعة حرف معنى ولان الثقل انما حصل بالثانية قيل ولان الثانية قد ثبت لها التغيير في مثل تذكرون بالادغام ويرده ان الاولى ثبت فيها ذلك أيضا كما في قراءة البزي ولا تيمموا وقوله تلون في أثوابها الغول صفة لما وما وصلتها في موضع جر بالكاف والكاف ومجرورها في موضع نصب نعت لمصدر محذوف دل عليه ماقبله لان الذي لايدوم على حالة متلون فكأنه قال تتلون تلونا كما تتلون الغول وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس كتشبيه العلم بالنور والهاء من أثوابها عائدة على متأخر لفظا متقدم رتبة ونية معا كالهاء من قوله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى ويستفاد من قوله تلون وقوله في أثوابها تأنيث الغول كما استفيد من قوله بها تأنيث الحال والغول بالضم كل شيء اغتال الانسان فاهلكه والمراد هنا الواحدة من السعالي وهي اناث الشياطين سميت بذلك لانها فيما زعموا تغتالهم أو لانها تتلون كل وقت من قولهم تغولت على البلاد اذا اختلفت وللعرب أمور تزعمها لاحقيقة لها منها أن الغول تتراءى لهم في الفلوات وتتلون لهم وتضلهم عن الطريق ومنها الهديل زعموا أنه فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فصاده بعض الجوارح وأن جميع الحمام يبكيه الى يوم القيامة قال

يذكرنيك حنين العجول ❊ وصوت الحمامة تدعو هديلا

العجول بالفتح الفاقدة لولدها من الابل ❊ ومنها الصفر زعموا أنه حية في جوف الانسان تعض عند الجوع شراسيفه وهي أطراف الاضلاع التي تشرف على البطن قال أعشى باهلة

لايتأرى لما في القدر يرقبه ❊ ولا يعض على شرسوفه الصفر

يقال

(قوله ولا تمسك الخ) لما وصفها في البيت السابع بالاصابة بالمكروه والكذب واخلاف الوعد وتبديل خليل بآخر ثم وصفها في البيت الثامن بعدم المداومة على حال واحد والتلون بالوان مختلفة وصفها في هذا البيت بعدم التمسك على العهد فقال ولا تمسك الخ وهو معطوف على قوله فما تدوم الخ فالواو عاطفة ولا نافية وتمسك بفتح التاء والميم والسين المشددة وأصله تتمسك حذفت احدي التاءين وهو مضارع تمسك أو بضم التاء وفتح الميم وكسر السين المشددة وهو مضارع تمسك ومسك وأمسك واستمسك بمعنى واحد وبالعهد متعلق بالفعل قبله وفي نسخة بالوعد وفي بعض النسخ بالقول والذي صفة لما قبله وجملة زعمت (٣٥) صلة الذي والعائد محذوف وزعمت اما بمعنى تكفلت فيكون مصدره الزعم بفتح الزاي بمعنى الكفالة قال تعالى وأنا به زعيم أي كفيل وأما بمعنى قالت فيكون مصدره الزعم مثلث الزاي وهو قول يدعيه المدعى يحتمل الحق والباطل وغلب استعماله في الباطل ومنه قوله تعالى زعم الذين كفروا ان لن يبعثوا ومن استعماله في الحق قول أبي طالب يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم ودعوتني وزعمت انك ناصح ولقد صدقت وكنت ثم أمينا وقول كثير عزة وقد زعمت أني تغيرت بعدها ومن ذا الذي ياعز لا يتغير فان عجز البيتين يدل على استعماله في المستقبل وقوله الا كما تمسك الماء الغرابيل أي الا تمسكا كما تمسك الغرابيل الماء فشبهة تمسكها بالعهد بامساك الغرابيل للماء مبالغة في النقص والنكث وعدم الوفاء بالعهد لان الماء بمجرد وضعه في الغربال الذي تغربل به الحنطة ونحوها يخرج منه ففيه تشبيه معدوم بمعدوم في صفة العدم وهذا الاستثناء نظير الغاية في قوله تعالى حتى يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتي يبيض القار فالمقصود منه توكيد انتفاء تمسكها بالعهد لا لايجاب النفي صورة ولتأكيده معنى والكاف حرف جر وما حرف مصدري فيؤول الفعل بعدها بمصدر والكاف ومدخولها نعت لمصدر محذوف ولا يخفى ان الماء مفعول مقدم والغرابيل فاعل مؤخر وحاصل معنى البيت ان هذه المحبوبة لا تتمسك بالعهد الذي تكفلت الوفاء به أو الذي قالت انها تفي به الا تمسكا كامساك الغرابيل للماء في العدم فان قيل كيف ساغ له أن يصف محبوبته بهذه الصفات مع انه لا يليق أن يصف الشخص بها عدوه فضلا عن حبيبه وأجيب بجوابين أحدهما ان وصفه لها بهذه الصفات راجع الى ما يتعلق باحوال المحبة من الوصل والهجر وما شاكلهما وحينئذ فلا يكون قادحا في الموصوف بها فشأن

يقال تأرى بالمكان اذا أقام به أي لا يحبس نفسه لادراك طعام القدر ليأكله * ومنها الهامة زعموا انها طائر يخرج من رأس المقتول فيصيح اسقوني فاني عطشان الى ان يؤخذ بثاره قال

يا عمرو ان لا تدع شتمي ومنقصتي * أضربك حتي تقول الهامة اسقوني

* ومنها النوء وهو أن يسقط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين من المغرب مع طلوع الفجر ويطلع في تلك الساعة آخر يقابله من المشرق فيأتي المطر وأمور أخر من الخرافات لا حقيقة لشيء منها وفي الحديث لا عدوى ولا هامة ولا نوء ولا صفر وفي حديث آخر لا طيرة ولا نوء ولا غول رواها مسلم وقال بعض الشعراء

الجود والغول والعنقاء ثالثة * أسماء أشياء لم تخلق ولم تكن

ويجمع الغول على غيلان وعلى أغوال قال

أيقتلني والمشرفي مضاجعي * ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وليس بذي رمح فيطعنني به * وليس بذي سيف وليس بنبال

قوله والمشرفي مضاجعي حال من المفعول وقوله وليس بذي رمح حال من الفاعل والواو واو الحال اذ لا يعطف حال على أخري مخالفة لها في صاحبها فلا يقال لقيته مصعدا او منحدرا او رابط كل من الجملتين بصاحبها الواو والضمير والمشرفي بفتح الميم السيف منسوب الي المشارف قرى من أرض العرب يجود فيها طبع السيوف والزرق النصال وصفها بالزرقة لخضرتها وصقالتها واستوفى في البيت الثاني ذكر المشهور من آلات القتل والمعنى ليس من الفرسان فيطعنني أو يقتلني بالسيف ولا من الرماة فيرميني والغول بالفتح ما يغتال الشيء فيذهب به ومنه قولهم الغضب غول الحلم والحرب غول النفوس وقوله تعالى لا فيها غول أي ليس فيها ما يغتال عقولهم فيذهب بها قال ابو عبيدة وانشد

وما زالت الكأس تغتالنا * وتذهب بالاول الاول

وقال الجوهري المعنى أنه ليس فيها غائلة الصداع واستدل بقوله تعالى لا يصدعون عنها ولا ينزفون وقوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون وقال البخاري في صحيحه في تفسير الآية الكريمة الغول وجع البطن اه وهو غريب وأما النيل فيأتي تفسيره عند ذكره ان شاء الله تعالى في القصيدة قال

﴿ ولا تمسك بالوعد الذي زعمت * الا كما يمسك الماء الغرابيل ﴾

(قوله ولا تمسك) عطف على فما تدوم وتمسك أما بضم التاء وكسر السين المشددة مضارع مسك بالتشديد وأما بفتحها مضارع تمسك والاصل تتمسك حذفت احدي التاءين يقال مسك بالشيء وتمسك به وأمسك واستمسك بمعنى وقرىء ولا تمسكوا بعصم الكوافر بضم التاء وفتح الميم وتمسكوا بضم التاء وسكون الميم وقريء في غير السبع بفتحها وقال تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى قيل في التشديد معنى التكثير وهذا وهم وانما يفيد التشديد معنى التكثير اذا لم يكن الفعل موضوعا عليه كما في

المحبوب الهجر والاعراض والتعنت ولا يكون مؤثرا في محبته ولا قادحا في ودادته ثانيهما أن يكون وصفه لها بتلك الصفات لتنفير الغير عنها فاراد أن يبين انها لا تفي بوعد ولا تقف عند عهد لتقل الرغبات في طلبها وتنفر النفوس عن حبها واعلم ان هذه الاوصاف تقع من المحبوب على أربعة أنواع (الاول) أن يكون عن تيه ودلال وعلاجه بالتذلل كما أشار اليه بعضهم بقوله تذلل لمن تهوي فليس الهوى سهل * اذا رضي المحبوب صح لك الوصل (الثاني) أن يكون عن ملال وضجر وعلاجه بتحمل المشقة (٣٦) والامساك عن المحبوب فمتى أحس منه بالملال أمسك عنه الي أن يتحقق منه ذهاب الملال (الثالث) أن يكون ذلك ناشئا عن ذنب صدر من المحب وعلاجه بالتوبة من ذلك الذنب حتى لو رماه محبوبه بذنب لا حقيقة له أظهر له التوبة منه (الرابع) أن تكون عن بغض من المحبوب له وهذا هو الداء العضال الذي يعسر علاجه فلا حيلة للمحب الا التحمل والصبر والمغالطة والخداع لعله ان يخدع أو يرق وبعضهم ياخذ المحبوب بالقهر ان لم يسمح بالوصل كما أشار اليه بعضهم بقوله اذا لم يكن وصل الي الحب مسعف *

وأمسيت تحت الضير في العشق والضنك

ولم استطع صبرا على الذل والهوي

فبالعز تم الوصل أولى من الترك ولم يرتض ذلك الصلاح الصفدي ولذلك قال

تمسك بذل فهو أليق بالهوي

لتنظم مع أهل المحبة في سلك

متى لاق بالعشاق عز وسطوة

كانك من ذل المحبة في شك

(قوله فلا يغرنك الخ) اي اذا كانت المحبوبة متصفة بما ذكرته من الصفات فلا يغرنك الخ فالفاء واقعة في جواب شرط مقدر فتكون للسببية بدون عطف لان ما قبلها اخبار وما بعدها انشاء وعطف احدها على الآخر ممنوع على الصحيح ولا ناهية ويغرنك فعل مضارع مبني على الفتح لمباشرة نون التوكيد الخفيفة وتوكيد الفعل بعد لا جائز باتفاق ان كانت ناهية كما هنا دون ما اذا كانت نافية فلا يجوز الا في الشعر عند الجمهور كقوله تالله لا يحمدن المرء مجتنبا * فعل الكرام وان فاق الوري حسبا والخطاب في قوله فلا يغرنك يحتمل ان يكون لنفسه فيكون المصنف قد جرد من نفسه شخصا ووجه الخطاب اليه فيكون

حدث وخبر ولم يكن لافادة تعدية القاصر الي المفعول كما في فرصة ولا المتعدي لواحد الى المتعدى لاثنين كعلمته الحساب ومثال ذلك قتلت وكسرت وحولت وطوفت (وقوله زعمت) أما بمعنى تكفلت ومصدره الزعم بالفتح والزعامة والتقدير الذى زعمت به كما قال تعالى وأنا به زعيم وقوله

تقول هلكنا ان هلكت وانما * على الله أرزاق العباد كما زعم

وأما بمعنى قالت ومصدره الزعم مثلث الفاء وهو قول يدعيه المدعى يحتمل للحق والباطل وغلب استعماله فى الباطل ومنه زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا فقالوا هذا لله بزعمهم ومن استعماله فى الحق قول أبي طالب يخاطب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

ودعوتنى وزعمت أنك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم أمينا

وقول كثير وقد زعمت أني تغيرت بعدها * ومن ذا الذى ياعز لا يتغير

تغير جسمى والخليقة كالتى * عهدت ولم يخبر بسرك مخبر

وقول سيبويه وزعم الخليل وانما يقول سيبويه ذلك اذا كان الخليل قد خولف فى ذلك القول وكان الراجح قوله والتقدير على هذا الوجه زعمت أنها تفي أو الذي زعمت الوفاء به وا قاما والاول أولى لان صاحب العين ذكر أن الغالب وقوع زعم على أن وصلتها وان وقوعه على الاسمين خاص بالشعر كقوله زعمتنى شيخا ولست بشيخ * انما الشيخ من يدب دبيبا

وقال تعالي أين شركائى الذي كنتم تزعمون أى أنهم شركائى وهذا أولى من أن يكون التقدير تزعمونهم شركاء لما ذكرنا ولانه قد جاء فى مكان آخر وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء (وقوله كما) الكاف جارة وما مصدرية وهى وصلتها فى موضع جر والجار والمجرور أما حال من ضمير مصدر تمسك أي وما تمسك الا مشبها لهذا الامساك وما نعت لمصدر محذوف أى الا تمسكا كهذا الامساك وهذا الاستثناء نظير الغاية فى قوله تعالى حتى يلج الجمل فى سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وحتى يؤب القارظان وهما رجلان من عنزة خرجا يجنيان القرظ فلم يرجعا وقد كثر وصفهم النساء بالاخلاف ومنه قول ابن السراج النحوى

ميزت بين جمالها وفعالها * فاذا الملاحة بالخيانة لا تفى

حلفت لنا أن لا تخون عهودنا * فكانها حلفت لنا أن لا تفى

وقول آخر وان حلفت لا ينقض النأى عهدها * فليس لمخضوب البنان يمين

وقول المعرى كل أنثى وان بدا لها منها * آية الحب حبها خيتعور

أي باطل مضمحل وهو بالخاء المعجمة والعين المهملة بينهما مثناة من تحت ثم مثناة من فوق قال

﴿ فلا يغرنك ما منت وما وعدت * ان الاماني والاحلام تضليل ﴾

الفاء لمحض السببية كالواقعة فى جواب الشرط لان ما قبلها خبر وما بعدها طلب وعطف أحدها على الآخر ممتنع على الصحيح ومثله زيد كاذب فلا تغتر بقوله ولا ناهية فالفعل بعدها فى موضع جزم ولكنه مبنى لنون التوكيد المباشرة وقيل لا تشترط المباشرة فنحو لتبلون مبنى أيضا وقيل الجميع معرب تقديرا والمختار الاول ونون التوكيد الخفيفة بمنزلة اعادة الفعل ثانيا والشديدة بمنزلة اعادته ثانيا وثالثا قاله الخليل وليست

فى كلامه التفات من التكلم الي الخطاب لانه صدر الكلام بالتكلم حيث قال فقلبي اليوم متبول ثم التفت الى الخطاب لنفسه بقوله فلا يغرنك الخ ويحتمل أن يكون لغيره ممن يصلح للخطاب وعليه فلا التفات وقوله مامنت أى مامنتك اياه بمعنى حملتك على تمنيه فمنت من التمنية وهى أن تحمل غيرك على أن يتمنى منك شيأ أو بمعنى كذبت عليك فيه فانه يقال مناه بكذا يمنيه اذا كذب عليه فيه وما يحتمل أن تكون اسما موصولا بمعنى الذى وأن تكون نكرة موصوفة بمعنى شيء وعلى كل فهى فى محل رفع على الفاعلية وجملة منت لامحل لها على الاول لانها صلة وفى محل رفع على الثانى لانها صفة ويحتمل أن تكون مصدرية فتكون هى وصلتها فى تأويل مصدر هو الفاعل أي تمنيتها اياك الوصل ولا تقدر المفعول حينئذ ضميرا بان تقول اياه لان الضمير لا يعود الا على الاسماء وما المصدرية من الحروف وقوله وما وعدت أي ماوعدتك اياه أو وعدها اياك الوصل فتجرى فيها الاوجه الثلاثة السابقة وهى أن تكون اسما موصولا أو نكرة موصوفة أو مصدرية والوعد هنا مستعمل فى الخير لا غير كما يقتضيه المقام وقد يستعمل فى الشر ان كان هناك قرينة كما فى قوله تعالى وان يك صادقا يصبكم بعض الذى يعدكم فان لم تكن قرينة فالوعد للخير والايعاد للشر قال الشاعر واني وان أوعدته او وعدته * لمخلف ايعادى ومنجز موعدى ثم علل الناظم المصراع الاول وهو قوله فلا يغرنك مامنت وما وعدت بالمصراع الثاني وهو قوله ان الاماني والاحلام تضليل فالاماني راجعة لقوله مامنت والاحلام راجعة لقوله وما وعدت فيكون من قبيل اللف (٣٧) والنشر المرتب فالاول للاول والثاني للثاني كذا قال السيوطي وتبعه غيره وهذا يقتضي ان قوله وما وعدت معناه ماوعدت به فى النوم حتي تكون الاحلام راجعة اليه والظاهر ان المراد ماوعدت به فى اليقظة أو مايعم مافى الحالتين ويمكن توجيه رجوع الاحلام لما وعدت بشموله لما فى النوم والاظهر انضم الاحلام الي الاماني لمناسبتها لها فى عدم التحقق واشار الى تعليل قوله وما وعدت بالبيت بعد هذا وهو قوله

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

وما مواعيدها الا الاباطل

كما أفاده شيخنا ومقتضي التعليل فتح همزة ان على تقدير اللام وهو جائز لغة لكن الرواية بالكسر على انه تعليل مستأنف فهو تعليل فى المعنى ومثله قوله تعالى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا والاماني بتشديد الياء جمع امنية كالاضاحي جمع أضحية وتخفيف الياء جائز يقال تمنيت الشيء اى اشتهى حصوله ومنه قوله تعالى أم للانسان ما تمنى والاحلام جمع حلم بضمتين وهو مايراه النائم وفعله حلم بفتحات وقد غلبت الرؤيا على ما يراه فى الخير والحلم على ما يراه فى الشر ومنه قوله ﷺ الرؤيا من الله والحلم من الشيطان وقوله تعالى أضغاث احلام كما قاله السيوطي والتضليل تفعيل من الضلال وهو على تقدير مضاف والاصل ذوات تضليل أو جعلت نفس التضليل مبالغة على حد قولهم رجل عدل وقولهم انما هى اقبال وادبار أو انها مضلة بكسر اللام لكن الاسناد اليها مجاز عقلي لانها سبب التضليل اما الاماني فلانها تخايل فاسدة وضياع زمان فى غير فائدة قال على بن عبيد الاماني تخايل الجهل وقال أفلاطون الاماني حلم المتيقظ وقال رجل لابن سيرين رأيت كاني أسبح فى غير ماء وأطير فى غير هواء فقال انت رجل تكثر الاماني لكن العاشق ربما استراح اليها وعلل نفسه بالركون اليها ولله در الحاجري حيث يقول

اماني سعدى حسان كانما * سقتنا بها سعدي على ظمأ بردا
مني ان تكن حقا يكن احسن المنا * والا فقد عشنا بها زمنا رغدا

واما الحلم بالمحبوب وزيارة طيفه فى المنام فانه الخال الخائل والوصال الذي ليس تحته طائل ولله در القائل وزارني طيف من اهوى على حذر * من الوشاة وداعى الصبح قد هتفا فكدت أوقظ من حولي به فرحا * وكاد يهتك ستر الحب بي شغفا

الخفيفة مخففة من الشديدة خلافا للكوفيين وتوكيد الفعل بعد لا جائز فى النثر باتفاق ان كانت ناهية نحو ولا تحسبن الله غافلا وقول كعب فلا يغرنك وخاص بالشعر عند الجمهور ان كانت نافية كقوله

تالله لا يحمدن المرء مجتنبا * فعل الكرام وان فاق الورى حسبا

وأجازه ابن جنى وابن مالك وغيرهما فى النثر تمسكا بظاهر قوله تعالى ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة والكاف مفعول قدم وجوبا لانه ضمير لو تأخر لزم انفصاله ومثله أكرمني زيد والخطاب اما لغير معين مثل ولو ترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم على أحد الوجهين واما لنفسه على طريقة التجريد ومثله قولك يانفس وقول امرىء ابن عابس لا امرىء القيس بن حجر خلافا لمن غلط

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلى ولم ترقد

والاثمد بفتح الهمزة وضم الميم اسم موضع (وقوله مامنت) يحتمل ما أوجها أحدها * ان تكون موصولا اسميا بمعنى الذي فموضعها رفع على الفاعلية وقول بعض المعربين فى مثل ذلك انها وصلتها فى موضع رفع مردود بظهور الاعراب فى نفس الموصول فى نحو جاء اللذان قاما وليقم أيهم هو أفضل وقول بنى عقيل أو هذيل جاء اللذون قاموا وقول بنى هذيل جاء اللاؤن فعلوا قال

هم اللاؤون فكوا الغل عنى * بمرو الشاهجان وهم جناحى

الثاني ان تكون نكرة موصوفة بمعنى شيء فتكون أيضا فى موضع رفع على الفاعلية * الثالث ان تكون مصدرية بمنزلة أن وأن فتكون هى وصلتها فى موضع رفع ولا يكون الموضع لها وحدها لانها حرف على

الصحيح ووزن منت فعت وأصله منيت على وزن فعلت فتحركت الياء وانفتح ماقبلها فقلبت ألفا فالتقى ساكنان فحذفت وهو متعد لاثنين قال

فانعق بضنك ياجرير فانما * منتك نفسك فى الخلاء ضلالا

وهما محذوفان فى البيت والتقدير اذا جعلت ما اسما منتكه أو منتك اياه واذا جعلت حرفا ما منتك الوصل أى فلا يغرنك تمنيتها اياك الوصل ولم يقدر الثاني حينئذ ضميرا لان الضمير لا يعود الا على الاسماء ولهذا استدل على اسمية مهما وما التعجبية وأل الموصل بعود الضمير عليهن فى قوله تعالي مهما تأتنا به وقولك ما أحسن زيدا وجاءني الضارب ومن زعم حرفية أل قدر مرجع الضمير موصوفا محذوفا فان قلت كيف جوزت تقدير المفعول الثاني على الوجهين الاولين ضميرا منفصلا مع أنهم نصوا على امتناع حذف العائد المنفصل نحو جاء الذي اياه أكرمت أو ما أكرمت الا اياه فقلت انما امتنع فى نحو ما أوردته لان حذفه فى المثال الثاني مستلزم لحذف الا فيوهم نفي الفعل عن المذكور وانما المراد نفيه عما عداه وأما المثال الاول فان فصل الضمير فيه يفيد الاختصاص عند البياني والاهتمام عند النحوي فاذا حذف فانما يتبادر الذهن الي تقديره مؤخرا على الاصل فيفوت الغرض الذي فصل لاجله وأما الضمير فى البيت فانه يستوى معناه متصلا ومنفصلا فلا يفوت بتقديره متصلا غرض وبهذا يجاب عن السؤال يورد فى نحو قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون وتقديره انه ان قدر ومما رزقناهموه لزم اتصال الضميرين المتحدي الرتبة وذلك قليل فى ضمير الغيبة ممتنع فى غيرهما ولا يحسن حمل التنزيل على القليل وان قدر رزقناهم اياه لزم حذف العائد المنفصل والجواب بالثاني وأن العائد المنفصل لا يمتنع حذفه على الاطلاق (وقوله وما وعدت) لك فى ما هذه الاوجه الثلاثة ووعد أيضا يتعدى لاثنين نحو وعدكم الله مغانم كثيرة أفمن وعدناه وعدا حسنا فالتقدير أيضا ما وعدتكه أو ما وعدتك اياه أو ما وعدتك الوصل والوعد هنا للخير لان الموضع لا يحتمل غيره وعكسه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم واذا لم تكن قرينة فالوعد للخير والايعاد للشر قال

واني وان أوعدته أو وعدته * لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

(وقوله ان الاماني) الرواية بكسر الهمزة من ان على انه تعليل مستأنف ومثله فى تعليل النهى ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا وفى تعليل الامر وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين اخلع نعليك انك بالوادي المقدس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم وفى تعليل الخبر انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم وفتح أن فيهن على اضمار لام العلة جائز لغة وقد جاءت الرواية بالوجهين فى آية الطور وجوزوهما فى قول الملبي لبيك ان الحمد والنعمة لك والكسر أرجح لان الكلام حينئذ جملتان لا جملة واحدة وتكثير الجمل فى مقام الثناء والتعظيم مطلوب ولان اطلاق الثناء أولى من تقييده وانما يلزم التقييد على الكسر اذا قدر استئنافا بيانيا أعني أن يقدر جوابا لسؤال مقدر أما اذا قدر استئنافا نحويا فلا والاماني جمع أمنية كالاثافي جمع أثفية ومثله الاضاحي والاواقي وتخفيف يائهن جائز وأصل أمنية أمنوية أفعولة كأكذوبة وأعجوبة قلبوا وأدغموا ثم أبدلوا الضمة كسرة (وقوله والاحلام) هو جمع حلم بضمتين وهو مايراه النائم وفعله حلم بالفتح بوزن رأى وأما الحلم بالكسر فهو الصفح وكرم الخلق وفعله حلم بالضم مثل كرم لانه سجية وأما الحلم بالفتح فهو فساد الجلد ونتنه وفعله حلم بالكسر لانه وزن يغلب فى العاهات الظاهرة كمرض وسقم والباطنة كحمق وزعن قال عمرو بن العاص يخاطب معاوية رضى الله عنه وقد كتب الى أمير المؤمنين على رضي الله عنهم أجمعين

فانك والكتاب الى على * كدابغة وقد حلم الاديم

قوله والاحلام عطف على اسم ان ويجوز رفعه فان قلت انما يجيز ذلك الكسائي وقد خالفه تلميذه الفراء فاشترط خفاء اعراب الاسم نحو انك وزيد ذاهبان وخالفهما جميع البصريين فمنعوا ذلك مطلقا قلت

ثم انتبهت وآمالى تخيلى نيل المنى فاستحالت غبطتى أسفا

وبعض المحبين يأنس بالخيال ويتسلى به كما قال البحترى

اذا ما الكرا أهدى الى خياله شفى علة التبريح أو نقع الصد

بل بالغ التهامى حتى فضله على اليقظة حيث قال

الطيف أحسن وصلا ان لذته تخلو عن الأثم والتنغيص والندم

وحاصل معنى البيت لا تغتر بما حملتك على تمنية منه أو بما كذبت عليك فيه من الوصل وما وعدتك به من ترك الهجر فان الامانى التى يتمناها الانسان والاحلام التي يراها فى منامه سبب فى الضلال وضياع الزمان بلا فائدة فمن تعلق بذلك فقد أتعب نفسه وشتت خاطره

(قوله كانت مواعيد عرقوب الخ) أي صارت مواعيد عرقوب لها مثلا لشهرة اتصافها بالاخلاف فكانت بمعنى صارت كما فى قوله تعالى وبست الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة أى فصارت وصرتم ومواعيد جمع ميعاد كموازين جمع ميزان وعرقوب بضم العين واسكان الراء وضم القاف وبعدها واو وفى آخره باء موحدة وهو علم منقول من عرقوب الرجل وهو ما انحنى فوق عقبها أو من عرقوم الوادي وهو منعطفة واختلف فى نسبه فقيل هو عرقوب بن معد بن زهير وقيل عرقوب بن صخر وقد اشتهر هذا الشخص عند العرب باخلاف الوعد وكان من أمره انه وعد أخاه بيثرب تمر نخلة وقال له ائتنى اذا أطلع النخل فلما أطلع قال ائتنى اذا أبلح فلما أبلح قال ائتنى اذا أزهى فلما أزهى قال ائتنى اذا أرطب فلما أرطب قال ائتنى اذا صار تمرا فلما صار تمرا أجزه من الليل ولم يعطه شيا فضربوا به المثل فى خلف الوعد فقالوا أخلف من عرقوب وتداوله العرب فى شعرهم حتى قال علقمة الاشجعي وعدت وكان الخلف منك سجية * مواعيد عرقوب أخاه بيثرب قال التبريزي والناس يروون البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وانما هو بالمثناة الفوقية والراء المفتوحة موضع بقرب مدينة رسول الله ﷺ قاله أبو عبيدة والكلبي وقد خولفا فى ذلك قال ابن دريد اختلفوا فى عرقوب فقيل من الاوس فيصح على هذا أن يكون البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وقيل من العماليق فيكون بالمثناة وبالراء المفتوحه (٣٩) لان العماليق كانت من اليمامة الى وبار ويترب هناك قال وكانت العماليق أيضا فى المدينة اه وقال ابن دحية سميت المدينة يثرب باسم من نزلها من العماليق وهو يثرب بن عبيد ولا تسمى الآن يثرب لانه من مادة التثريب وأما قوله تعالى يا أهل يثرب فحكاية عمن قاله من المنافقين وقوله لها أى للمحبوبة وهو متعلق بكان على القول بان لها دلالة على الحدث وهو الصحيح أو هو حال مقدم من مثلا لانه كان صفة له فلما قدم عليه صار حالا على حد قوله * لمية موحشا طلل * أو هو خبر لكان ومثلا حال توقفت عليها فائدة الخبر كما فى قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين والمثل هو الذى حاكيت به شيا آخر ويطلق على المثل بكسر الميم وسكون المثلثة يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه وعلى القول السائر وعلى النعت ومنه قوله تعالى ولله المثل الاعلى وقوله عز وجل ذلك مثلهم فى التوراة وقوله وما مواعيدها الا الاباطيل أي وما مواعيد سعاد الاباطلة لا حقيقة لها وهذا تأكيد لاخلافها الوعد فلم يكتف بضرب مواعيد عرقوب لها مثلا بل بعد ذلك جعل مواعيدها باطلة لا حقيقة لها فكانت أسوأ حالا فى المطل والاخلاف وهذا على رواية وما مواعيدها الا الاباطيل وهى الرواية المشهورة ويروى وما مواعيده الا الاباطيل أى وما مواعيد عرقوب الاباطلة لا حقيقة لها وغرضه بذلك على هذه الرواية بيان صفة مواعيد عرقوب التى ضربها مثلا لها فبين أنها باطلة لا حقيقة لها فتكون مواعيدها كذلك والاباطيل جمع باطل على غير قياس وهو ضد الحق وقد جرى الناظم رضي الله عنه فى قصيدته على مذهب بعض المحبين من مناقشة المحبوب فى المطل واخلاف الوعد وعدم الموافقة كما قال بعضهم مخاطب محبوبه وأنت الذي أخلفتني ما وعدتني * وأشمت بى من كان فيك يلوم وذهب بعض المحبين الى استعذاب المطل والتسلى به عن الوصل كما قال شرف الدين بن الفارض عدينى بوصل وامطلى بنجازه * فعندي اذا صح الهوى حسن المطل حتى ان بعض المحبين يعد الوعد والامانى سبب الحياة ولولا ذلك لمات كما قال المغيف لولا مواعيد آمال أعيش بها * لمت يا أهل هذا الحى من زمن وكأن ذلك

هذا موضع يكثر فيه الوهم وانما الخلاف حيث يتعين كون الخبر للاسمين جميعا نحو انك وزيد ذاهبان واما نحو ان زيدا وعمرو فى الدار فجائز اتفاقا ومنه قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون وبيت كعب اذا رفع الاحلام اذ التضليل مصدر فيصح الاخبار به عن الواحد وما فوقه وانما الخلاف فى تخريج ذلك فقال الكوفيون معطوف على محل الاسم وقال البصريون هو اما مبتدأ حذف خبره والجملة معترضة بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ خبره ما بعده وحذف خبر ان لدلالة خبر المبتدأ عليه ويشهد للاول قوله

فمن يك أمسى بالمدينة رحله * فانى وقيار بها لغريب

وقيار اسم لفرسه بدليل اللام لا تدخل فى خبر المبتدأ ويشهد للثاني قوله

خليلى هل طب فانى وأنتما * وان لم تبوحا بالهوى دنفان

بدليل انه لا يخبر عن الواحد بالمثنى ومنه قراءة بعضهم ان الله وملائكته يصلون على النبي برفع ملائكته أى ان الله يصلى وملائكته يصلون اذ لا يخبر عن الواحد بالجمع وقد يخرج على الوجه الاول على ان يقدر الجمع للتعظيم مثله فى قال رب ارجعون (وقوله تضليل) تفعيل من الضلال أي تضييع وابطال ومنه ألم يجعل كيدهم فى تضليل ولهذا قيل لامرىء القيس ابن حجر الملك الضليل لانه ضلل ملك أبيه أى ضيعه والاصل ذوات تضليل ومثله هم درجات عند الله أى هم ذوو درجات عند الله أو جعلت نفس التضليل مبالغة كقول الآخر يذكر ظبية فقدت ولدها

ترتع ما رتعت حتى اذا ادكرت * فانما هى اقبال وادبار

فجعلها نفس الاقبال والادبار لكثرة وقوعهما منها قال

﴿ كانت مواعيد عرقوب لها مثلا * وما مواعيدها الا الاباطيل ﴾

لكان الناقصة معنيان أحدهما للدلالة على ثبوت خبرها لاسمها فى الزمن الماضي نحو كان زيد فقيرا

والثانى الدلالة على تحول اسمها من وصف الى آخر نحو وبثت الجبال بسا فكانت هباء منبثا وكنتم أزواجا ثلاثة أى فصارت وصرتم ومنه كانت فى البيت أى صارت مواعيد عرقوب مثلا لها بين الناس لشهرة اتصافها بالاخلاف ومواعيد جمع ميعاد كموازين فى جمع ميزان لاجمع موعود لان المعنى ليس عليه ولان مفعولا صفة كمضروب ومقتول لا يكسر واما نحو مشائيم وملاعين فشاذ فان قلت انما يجوز أن يكون جمعا لموعود بمعنى الوعد قلت مجىء المصدر على مفعول اما معدوم أو نادر وجمع المصدر غير قياسى وعرقوب بضم أوله كعصفور وليس فى العربية فعلول بالفتح الاصعفوق وخرنوب فى لغيه وهو علم منقـول من عرقوب الرجل وهو ما انحنى فوق عقبها وعرقوب الوادي وهو منعطفة وهو رجل من العمالقة وهو عرقوب بن معبد ابن زهير احد بنى عبد شمس بن ثعلبة أو عرقوب بن صخر على خلاف فى ذلك وكان من خبره أنه وعد أخاله ثمر نخلة وقال ائتنى اذا أطلع النخل فلما أطلع قال اذا أبلح فلما أبلح قال اذا أزهى فلما أزهى قال اذا أرطب فلما أرطب قال اذا صار تمرا جده من الليل ولم يعطه شيأ فضربوا به المثل فى الاخلاف فقالوا أخلف من عرقوب وقال علقمة الاشجعى

وعدت وكان الخلف منك سجية * مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

قال التبريزي والناس يروون يثرب فى هذا البيت بالثاء المثلثة والراء المكسورة وانما هو بالمثناة وبالراء المهملة المفتوحة موضع بقرب مدينة الرسول ﷺ قاله ابن الـكلبي قلت وقاله أيضا أبو عبيدة وقد خولفا فى ذلك قال ابن دريد اختلفوا فى عرقوب فقيل هو من الاوس فيصح على هذا أن يكون بالمثلثة وبالمكسورة وقيل من العماليق فيكون بالمثناة وبالمفتوحة لان العماليق كانت منازلهم من اليمامة الى وبار ويترب هناك قال وكانت العماليق أيضا فى المدينة اهـ وقال الحافظ أبو الخطاب بن دحية سميت المدينة يثرب باسم الذي بناها من العماليق وهو يثرب بن عبيد وبنو عبيد هم الذين سكنوا الجحفة فاجحفت بهم السيول فسميت الجحفة ولا يجوز الان ان تسمى المدينة يثرب لقول النبى ﷺ يقولون يثرب وهى المدينة وكأنه كره هذا الاسم لانه من مادة التثريب وأما قوله تعالى يا أهل يثرب فحكاية عمن قاله من المنافقين اهـ ومن الغريب قول بعضهم ان عرقوبا جبل مظلل بالسحاب وانه لا يمطر أبدا فالاضافة فى مواعيد عرقوب الى المفعول كأنه وعد بالمطر ولم يمطر أو الى الفاعل على المجاز كأنه وعد الناظر اليه أن يمطر ولم يوف بذلك وعلى ما سبق فهو فاعل لا غير (قوله لها) تحتمل اللام ثلاثة أوجه أحدها أن تتعلق بكان على القول بان لها دلالة على الحدث وهو الصحيح وقد استدل على صحة التعليق بها بقوله تعالى أكان للناس عجبا أن أوحينا اذ لا تتعلق اللام بعجبا ولا باوحينا لامتناع تقدم معمول المصدر عليه وتقدم معمول الصلة على الموصول ولان المعنى ليس على الثاني واذا بطل تعلقها بهما تعين تعلقها بكان وفيه نظر لان المصدر هنا ليس فى تقدير فعل وحرف مصدرى اذ ليس فيه معنى الحدوث بل هو مثله فى قولك لزيد معرفة بالنحو وذكاء فى الطب ولا يقدح ذلك فى عمله فى الظرف وان قدح فى عمله فى الفاعل والمفعول الصريح لان الظرف يعمل فيه رائحة الفعل وهذا الموضع قد وهم فيه كثير حتى أنهم احتاجوا الى تقدير عامل للظرف فى قوله تعالى لا يبغون عنها حولا وقول الحماسي

وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان

والثاني ان يكون حالا من مثلا على أنه كان صفة له ثم قدم عليه على حد قوله * لمية موحشا طلل * الثالث ان يكون خبر الكان ومثلا حال توقفت عليها فائدة الخبر كما فى قوله تعالى فما لهم عن التذكرة معرضين وعليهما فتعلقها بمحذوف (قوله مثلا) المثل كل شيء حاكيت به شيأ ومن ثم قالوا للصور المنقوشة تماثيل وهى جمع تمثال ويطلق على ثلاثة أمور أحدها المثل بكسر الميم وسكون الثاء وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كما يقال شبه وشبه وشبيه الثانى القول السائر الممثل مضربه بمورده وقد صنف العلماء

تختلف باختلاف رتب المحبين فى المحبة

في هذا كتبا الثالث النعت نحو ولله المثل الاعلى ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الانجيل كزرع الآية
مثل الجنة التي وعد المتقون مثلهم كمثل الذى استوقد نارا (قوله وما مواعيدها) الضمير للمرأة ويروى
مواعيده أي مواعيد عرقوب وقوله أباطيل جمع باطل ضد الحق وهو جمع على غير قياس واحدة
ونظيره حديث وأحاديث وعروض وأعاريض قال

﴿ أرجو وآمل أن تدنو مودتها * وما أخال لدينا منك تنويل ﴾

للرجاء معنيان أحدهما التأويل وهو المراد هنا ويستعمل فى الايجاب والنفى وقد اجتمعا فى قوله تعالى
وترجون من الله ما لا يرجون والثاني الخوف وذكر الفراء أنه مختص بالنفى نحو ما لكم لا ترجون لله
وقارا أى ما لكم لا تخافون لله عظمة وقول أبي ذؤيب الهذلى يصف شخصا يشتار عسلا وهو لا يبالى
بلسع النحل

اذا لسعته النحل لم يرج لسعها * وحالفها فى بيت نوب عواسل

حالفها بالحاء المهملة أي خالطها والنوب النحل وهى جمع نائب كفاره وفره سميت نوبا لسوادها
وروي وخالفها بالخاء المعجمة وقيل لا يختص بالنفى بدليل وارجو اليوم الآخر وجوز ابن الخباز
فى قول ابن معطي يقول راجي ربه الغفور كونه بمعنى الآمل أو الخائف والظاهر الاول لقرينة ذكر
الغفور وأما الآية فتحتمل ثلاثة أوجه أحدها أن يراد وافعلوا ما ترجون به حسن العاقبة فاقيم
المسبب مقام السبب الثاني أن يكونوا أمروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من الايمان كما يؤمر
الكافر بالشرعيات على ارادة هذا الشرط الثالث أن يكون الرجاء بمعنى الخوف (وقوله وآمل) الامل
هو الرجاء قيل وانما عطف عليه لانه يكون فى الممكن والمستحيل والرجاء يخص الممكن قلت
وانما هذا الفرق بين التمنى والرجاء وانما المصحح للعطف اختلاف اللفظ نحو فما وهنوا
لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وقوله

* أقوي وأقفر بعد أم الهيثم * ومثله فى الاسماء انما أشكو بثي وحزني الي الله أولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة لا ترى فيها عوجا ولا أمتا وقوله * وألفى قولها كذبا ومينا * ولا يعطف هذا
النوع الا بالواو قال ابن مالك وقد انيبت أو عنها فى اللفظ فى قوله تعالي ومن يكسب خطيئة أو
اثما وفيه نظر لامكان ان يراد بالخطيئة ما وقع خطأ وبالاثم ما وقع عمدا فان قلت هلا قدرت الجملة
حالا من فاعل أرجو ليسلم من مخالفة الاصل فى العطف قلت ان سلمت من ذلك وقعت فى مخالفة
أصلين اذ الاصل فى الحال ان تكون مبينة لا مؤكدة والاصل فى المضارع المثبت الحالي من
قد اذا وقع حالا أن لا يقترن بالواو نحو ولا تمنن تستكثر ونحو ونذرهم فى طغيانهم يعمهون
وقوله هنا وآمل وقوله فيما سيأتي

* وقال كل خليل كنت آمله * وقوله * والعفو عند رسول الله مأمول * دليل على انه كما يقال
أمله بالتشديد فهو مؤمل كذلك يقال أمله بالتخفيف فهو مأمول وقد مثل فى مدينة السلام عن
مسائل من جملتها هذه فكتب أبو نزار الملقب بملك النحاة انه لا يجوز أن يقال مأمول الا أن
يسمعه الثقة أمل بالتخفيف وكتب الامام أبو منصور الجواليقي انه لا ريب فى جواز ذلك وان الائمة
ردوه كالخليل وغيره ثم أنشد بيت كعب والعفو عند رسول الله مأمول * وقول بعض المعمرين

المرء يأمل أن يعيـ * ـش وطول عيش قد يضره

وكتب الامام أبو السعادات ابن الشجرى بالجواز أيضا وتعرض لابي نزار ونسبه الى الجهل ثم قال
وقوله انه لا يجوز ان يقال مأمول الا ان يسمعه الثقة أمل قول من لم يعلم انهم قالوا فقير مع أنهم لم يقولوا
فقر وانما يقولون افتقر اتراه يمنع فقيرا لكون الثقة لم يسمعه فقر مع ان القرآن قد ورد به فى قوله تعالى
اني لما أنزلت الى من خير فقير وليت شعري ما الذى سمع هذا الرجل من اللغة حتى انكر او يفوته هذا
الحرف بل ينبغى له اذا أمعن النظر فى كتب اللغة فلم يجده ثم سمع * والعفو عند رسول الله مأمول *

(قوله أرجو وآمل الخ) لما وصفها بالاوصاف القطيعة والجفاء من أول البيت السابع وهو قوله أكرم بها خلة الخ البيت الحادى عشر وهو
قوله فلا يغرنك ما منت الخ على ما تقدم بيانه فى مواضعه أخذته دهشة المحبة فذهل عما هى عليه من ذلك فتعلق بالرجاء وجنح
الي الامل فقال أرجو وآمل الخ اذ لا يليق بالشخص أن يقطع رجاءه من مطلوبه وأن ييأس من محبوبه فقد قيل من طلب شيأ ناله أو كاد وربما كان غير المرجو أقرب الى الحصول من المرجو قال الحسين بن على رضي الله عنهما كن لما لا ترجوه أرجى منك لما ترجوه فان موسي عليه السلام ذهب الى الطور يقتبس نارا فلم يظفر بها ورجع نبيا مرسلا ولله در القائل

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما * يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

ويحتمل أن يكون الرجاء والامل وقعا منه على سبيل تعليل النفس ومراوحتها كيلا يغلب عليها اليأس كما قيل

أعلل باللقا قلبي لعلى * أروح بالاماني الهم عنى
وأعلم ان وصلك لا يرجى * ولكن لا أقل من التمنى

ثم ان جعل قوله فى البيت الحادي عشر فلا يغرنك خطابا لنفسه كان هناك التفات من الخطاب الى التكلم كما أن هناك التفاتا من التكلم الى الخطاب ويكون قد رجع الى الحالة الاولي التى هى التكلم وان

 جعل قوله فى البيت المذكور فلا يغرنك خطابا لغيره فلا التفات هنا كما لا التفات هناك والرجاء بالمد غلبة الظن بحصول
الشيء تقول رجوت الشيء أرجوه اذا غلب على ظنك حصوله ويطلق الرجاء على الخوف ومنه قوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا

أى لا تخافون لله عظمة والامل هو الرجاء يقال أملت الشيء آمله بمد الهمزة وضم الميم واللام اذا رجوته فالعطف فى قوله وآمل من قبيل عطف الرديف والمصحح للعطف اختلاف اللفظين كما فى قوله تعالى فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا خلافا لمن جعله من عطف العام على الخاص معللا له بان الامل يكون فى الممكن والمستحيل والرجاء يخص الممكن ورد بان الفرق المذكور انما هو بين التمنى والرجاء لا بين الامل والرجاء وقوله ان تدنو مودتها أى تقرب محبة سعاد فتدنو بمعنى تقرب والمودة خلاف العداوة وهى المحبة والضمير لسعاد وقد تنازع قوله ان تدنو الفعلان قبله فاعمل الثاني وأضمر فى الاول ضميره ثم حذف ولا يحسن أن يقال اعمل الاول وأضمر فى الثاني ثم حذف لان ذلك شاذ لوجوب أن يضمر (٤٢) فى الثانى جميع ما يحتاج اليه ولا يرد قوله بعكاظ يعشي الناظر بهن اذا هم لحوا شعاعه والاصل لحوه ثم حذف الضمير لانه ضرورة وسكنت الواو من تدنو اما لكونه أهمل ان المصدرية حملا على ما اختها كما فى قراءة بعضهم لمن أراد أن يتم الرضاعة برفع يتم ويمكن أن يكون الاصل يتمون بواو الجمع حملا على معنى من ثم حذفت النون للناصب وأما لكونه أجري الفتحة مجري الضمة فى تقديرها على الواو للضرورة قال المبرد وهو من أحسن الضرورات بل قد جاء اسكان الواو فى النثر كقراءة بعض السلف أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح باسكان الواو وقوله وما أخال لدينا منك تنويل أى وما أظن عندنا من جهتك عطاء نوال وايصال وصال فاخال بكسر الهمزة على الافصح بمعنى اظن وهما سيان فى العمل وسائر الاحكام ويجوز أن تكون اخال هنا معملة أو ملغاة أو معلقة أما الاعمال فجزم به بدر الدين بن مالك وعليه فجملة لدينا منك تنويل فى محل نصب لانها مفعول ثان والمفعول الاول ضمير الشان والتقدير وما اخاله أى الحال والشان وبحث فيه بان وخلت ضمير الشان خارج عن القياس فلا ينبغى الحمل عليه مع امكان غيره وأما الالغاء فلان النفى لما تقدمها أزال عنها التصدر المحض فسهل الغاؤها وعليه تكون تلك الجملة لا محل لها لالغاء العامل واما التعليق فعلى ان الاصل للدينا فعلق الفعل باللام ثم حذفت وبقى التعليق وعليه تكون تلك الجملة المذكورة فى محل نصب لانها سدت مسد المفعولين ولدى بمعنى عند وقلبت الفه ياء لاضافته للضمير وتكون للقرب الحسي كما فى قوله تعالى وألفيا سيدها لدى الباب أى عند الباب والمعنوى كما فى قولك لديه فقه وأدب ومنك بكسر الكاف بمعنى من جهتك وفيه بعد قوله مدتها التفات من الغيبة الى الخطاب فان كان فى قوله أرجو وآمل التفات عن الخطاب فى قوله فلا يغرنك الى التكلم كان فى البيت التفاتان والتنوين العطاء والمراد به هنا الوصل ولك فى ارتفاعه وجهان أحدهما أن يكون مبتدأ أخبر عنه

أن يسلم لكعب ويذعن صاغرا انتهى ملخصا ومن الغريب أن هاذين الامامين لم يستدلا على مجيء أمل بالبيتين المذكورين فى هذه القصيدة بل تكلف ابن الجواليقي وأنشد قول شاعر آخر وقول ابن الشجرى أنه لم يسمع فقر اعتمد فيه على كلام سيبويه والاكثرين وذكر ابن مالك ان جماعة من أئمة اللغة نقلوا مجيء فقر وفقر بالضم والكسر وان قولهم فى التعجب ما أفقره مبنى على ذلك وليس بشاذ كما زعموا وفى قوله أرجو وآمل التفات عن الخطاب فى قوله فلا يغرنك الى التكلم الذى بدأ فى قوله فقلبي اليوم متبول وان كان الخطاب فى قوله فلا يغرنك لغيره فلا التفات فى واحد منهما (قوله ان تدنو) تنازعه الفعلان فاعمل الثانى وحذف مفعول الاول ولا يحسن أن يقال اعمل الاول وحذف معمول الثاني على حد قوله

بعكاظ يعشي الناظر * ن اذا هم لحوا شعاعه

الاصل لحوه لان ذلك ضرورة فلا تخرج عليه ما وجدت عنه مندوحة (وقوله ان تدنو) بالاسكان محتمل لوجهين أحدهما أن يكون أهمل ان المصدرية حملا على ما المصدرية كما قال

اذا كان أمر الناس عند عجوزهم * فلا بد أن يلقون كل تبور

وكقراءة مجاهد لمن أراد أن يتم الرضاعة كذا قالوا ويمكن أن يخرج على أنها عاملة وذلك بأن يكون الاصل يتمون بواو الجماعة حملا على معنى من مثل ومنهم من يستمعون ثم حذفت النون للناصب والواو للساكنين والوجه الثاني أنه أجري الفتحة على الواو مجري الضمة للضرورة قال المبرد وهو من أحسن الضرورات وقد جاء ذلك فى أخف من الواو وهى الياء كقول الاعشي

فآليت لا أرثي لها من كلالة * ولا من حفا حتى تلاقى محمدا

ﷺ ويحتمل أن يكون أصله تلاقين على انه التفت من الغيبة الى الخطاب ويشهد له انه خاطبها فى البيت بعده بقوله

متى ما تناخي عند باب ابن هشام * تراحي وتلقي من فواضله ندى

ولكنه يبعده ان الالتفات لا يوجد فى جملة واحدة الا نادرا كقراءة الحسن اياك يعبد بل قد جاء اسكان الواو فى النثر كقراءة بعض السلف أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح بل قد جاء اسكان الياء فى النثر فى الاسم مع ان الياء أخف من الواو والاسم أخف من الفعل كقراءة جعفر بن محمد من أوسط ما تطعمون أهاليكم وقرىء أيضا وانى خفت الموالى من ورائى فاذكروا اسم الله عليها صوافى بياء ساكنة جمع صافية أي خوالص لله (قوله اخال) بمعنى أظن وهما سيان فى نصب المفعولين وجواز سد أن وأن وصلتهما مسدهما وجواز الالغاء للتوسط والتاخر واتحاد الفاعل والمفعول ضميرين متصلين لمسمى واحد والاعتراض فيهما بين حرف ومطلوبه ووجوب التعليق لاعتراض ما له صدر الكلام وحذف المفعولين اختصار الدليل واقتصار الافادة تجدد الفعل وحدوثه مثال نصبها المفعولين قوله

وخلت بيوتي في يفاع ممنع * نخال به راعى الحمولة طائرا

اليفاع مارتفع من الارض والحمولة بالفتح الابل وغيرها مما يحمل عليه ومثال ماذكر مسدها قول الهذلي

فغبرت بعدهم بعيش ناصب * واخال انى لاحق مستتبع

وقول ابن دريد

ماخلت ان الدهر يثنيني على * ضراء لا يرضي بها ضب الكدى

الضراء بالضاد المهملة الصخرة الصماء الملساء والكدى جمع كدية وهى الارض الصلبة والضباب مولعة بها ومثال الالغاء قوله

أبا لاراجيز يا ابن اللؤم توعدني * وفى الاراجيز خلت اللؤم والخور

كذا رواه النحويون وزعم الجاحظ ان الصواب والفشل وان القصيدة لامية والصواب انهما قصيدتان ومثال الاتحاد والاعتراض المذكورين قوله

ماخلتني زلت بعدكم ضمنا * أشكو اليكم حموة الالم

الضمن كالزمن وزنا ومعنى والحموة بضم المهملة وتشديد الواو السورة ومن الاعتراض قوله * وما أدرى وسوف اخال أدرى * البيت ومثال التعليق قوله * واخال اني لاحق مستتبع * فيمن رواه بكسر الهمزة من اني ووجهه ان الاصل اني للاحق فعلق باللام ثم حذف لفظها وبقي حكمها ومثال حذف المفعولين أن يقال أزيد قائم فتقول خلت وفى المثل من يسمع يخل أى من يسمع خبرا يحدث له ظن وكسر همزة اخال فصيح استعمالا شاذ قياسا وفتحها لغة أسد وهو بالعكس وحكم حرف المضارعة فى غير هذا الحرف ان يضم باجماع ان كان الماضى رباعيا نحو أدحرج وأكرم وتفتح فى لغة الحجازيين فيما نقص أوزاد كيضرب وينطلق ويستخرج وأما غيرهم فيكسر غير الياء فى ثلاث مسائل (أحدها) فى يفعل بالفتح مضارع فعل بالكسر كعلمت تعلم بخلاف تذهب فان ماضيه مفتوح ويثق فان المضارع مكسور ومن قال تحسب بالفتح كسر ومن كسر فتح وقرىء ولا تركنوا وقال الشاعر

قلت لبواب لديه دارها * تيذن فاني حموها وجارها

أى لتأذن أمر الفاعل المخاطب باللام وحذفها وبقي عملها وكسر أول المضارع وسمعت بدويا يقول فى المسعى انك تعلم مالا نعلم بكسر التاء والنون (الثانية) أن يكون الماضي مبدوأ بهمزة الوصل نحو ينطلق ويستخرج وقرىء يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وإياك نستعين وأما من كسر فى نعبد فكأنه ناسب بين كسر النونين (الثالثة) ان يكون مبدوأ بتاء المطاوعة أو شبهها نحو تتذكر وتتكلم وكأنهم جعلوا هذا الكسر عوضا عن كسر أول الماضي فى نحو نستعين وثانيه فى نحو نعلم وأما نحو تتكلم فكأنهم حملوا تفعل على انفعل لانهما للمطاوعة نحو كسرته بالتشديد فتكسر وكسرته بالتخفيف فانكسر وانما لم يجيزوا كسر الياء لثقل الكسرة عليها ولكنهم جوزوه اذ تلاها واو ليتوصلوا به الى قلبها ياء نحو وجل ييجل (قوله لدينا) قيل لدى لغة فى لدن والصحيح انهما مرادفة لعند وهو قول سيبويه فتكون للقرب الحسى نحو اذ القلوب لدي الحناجر ألفياسيدها لدي الباب والمعنوى نحو قولك لديه فقه وأدب وتقلب ألفها ياء مع الضمير فى لغة الجمهور (قولك منك) بعد قوله مودتها فيه التفات من الغيبة الى الخطاب كقوله تعالى اياك نعبد فان كان قوله أرجو وآمل التفاتا عن الخطاب فى قوله فلا يغرنك ففي البيت التفاتان (قوله تنويل) لك فى ارتفاعه وجهان (أحدهما) ان يكون فاعلا اما بالظرف الاول أو الثاني أما على قول الاخفش والكوفيين انه لا يشترط فى اعمال الظرف الاعتماد فلا اشكال وأما على قول الجمهور ان ذلك شرط فعلى ان تكون اخال معترضة بين النافى والظرفين فان قلت هل يجوز ان يكون الظرفان تنازعاه فان أعملت الاول أضمرت فى الثاني اتفاقا وأن اعملت الثاني أضمرت فى الاول عند البصريين وحذفت معموله عند الكسائي واعملت فيه الاثنين عند الفراء كما تقول فى قام وقعد زيد قلت شرط صحة التنازع ان يكون بين العاملين ارتباط فلا يجوز نحو قام قعد زيد بغير عطف وهذا بمنزلته فان قلت فما الدليل على جواز مازعمته من صحة الاعتراض بين النافى والمنفى قلت قول الشاعر

ولا اراها تزال ظالمة * تحدث لى قرحة وتنكؤها

باحد الظرفين وساغ الابتداء به وان كان نكرة لتقدم النفي عليه وتقدم خبره الظرف وثانيهما ان يكون فاعلا باحد الظرفين على ماذهب اليه الاخفش والكوفيون من انه لا يشترط فى أعمال الظرف الاعتماد فان قيل كيف ساغ له نفي حصول المودة بقوله وما اخال لدينا منك تنويل بعد رجائه وتأميله بقوله أرجو وآمل ان تدنو مودتها أجيب بان نفى حصول التنويل من حيث بعدها كما أشار اليه فى البيت الذى يليه وأجاب ابن هشام بان المودة والتنويل شيآن لاشيء واحد ولا يمتنع ان توده بقلبها وتمنعه من نوالها على أنه قد تقدم انه انما قال أرجو وآمل أن تدنو مودتها لكونه أخذته دهشة المحبة فذهل عما هى عليه من الاوصاف فيحتمل انه رجع اليه عقله فتذكر أوصافها المخالفة للمودة فقال وما اخال لدينا منك تنويل وهذا يسميه أهل البديع بالرجوع لانه رجع الى كلامه السابق بالنقص كما فى قول القائل

أليس قليلا نظرة ان نظرتها
ولكن قليل ليس منك قليل

فانه أولا استقل النظرة ثم تذكر أن ذلك ذهول منه حيث عد النظرة من محبوبه قليلا فقال ولكن قليل ليس

وقد ثبت الاعتراض بين الحرف ومصحوبه في كلمتي خلت واخال اقسيهما فالاول كما تقدم من قول الشاعر * ماخلتني زلت بعدكم ضمنا * والثاني كقول زهير

وما أدري وسوف اخال أدري * أقوم آل حصن أم نساء
فان تكن النساء مخبآت * فحق لكل محصنة هداء

وفي البيت الاول دليل على أن القوم مختص بالرجال ونظيره قوله تعالى لا يسخر قوم من قوم ثم قال تعالى ولا نساء من نساء وكثير من الناس يرفع النساء في البيت توهما منهم أنه الاسم ومخبآت الخبر وانما الاسم ضمير آل حصن والنساء خبر ومخبآت حال أي فان تكن آل حصن النساء مخبآت فحق لهن أن يهدين الى أزواجهن كسائر المتزوجات والوجه الثاني أن يكون مبتدأ مخبرا عنه بالظرف الاول أو الثاني أو كليهما وساغ الابتداء به حينئذ لتقدم النفي ولتقدم خبره ظرفا فاذا قدر الظرفان خبرين قدر لكل منهما متعلق يخصه واذا قدر الخبر الاول فالظرف الثاني اما متعلق به أو بمتعلقه المحذوف على الخلاف المشهور في أن العمل للظروف أو للاستقرار واما حال فيتعلق بمحذوف وفي صاحب الحال وجهان أحدهما انه الضمير المستتر في الظرف الاول لان الصحيح أن الظرف يتحمل ضميرا منتقلا اليه من الاستقرار المحذوف ولهذا أكد في قوله كثير

فان يك جثماني بارض سواكم * فان فؤادي عندك الدهر أجمع

وزعم ابن خروف أنه لا يتحمله الا بشرط التأخر عن المبتدا وزعم آخرون أنه لا يتحمله مطلقا تقدم أو تأخر والصحيح الاول ومن ثم قال ابن جني في قول الشاعر

الا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

الناس يتلقون هذا البيت على أنه من تقديم المعطوف على المعطوف عليه وليس بلازم لجواز أن يكون العطف على ضمير الرحمة المستتر في عليك على حد قول بعضهم مررت برجل سواء والعدم ولا يرد عليه أن يقال تخلص من وجه ضعيف الى آخر ضعيف لان غرضه أن البيت محتمل فلا دليل عليه ولان العطف على الضمير المرفوع أسهل من تقديم المعطوف فانه لا يقع الا في الشعر نعم من زعم أن الظرف لا يحمل ضميرا مطلقا أو لا يتحمله مع التقدم لزم عنده أن يكون البيت من تقديم المعطوف والوجه الثاني من وجهي صاحب الحال أنه نفس التنويل على أن الظرف كان في الاصل صفة له فلما تقدمه صار حالا منه وعامله على هذا الوجه أيضا الاستقرار المقدر لا الابتداء العامل في تنويل لان الحال انما يعمل فيها الفعل وشبهه أو معناه وانما جوزنا هذا الوجه بناء على صحة اختلاف عاملي الحال وصاحبها وهو قول سيبويه ولهذا قال في قوله تعالى وان هذه أمتكم أمة واحدة أن أمة حال من أمتكم مع أن أمتكم معمول لان والحال معمولة للتنبيه أو للاشارة وفي قول الشاعر * لمية موحشا طلل * ان موحشا حال من الطلل مع أنه لا يجيز ارتفاع طلل على الفاعلية لعدم اعتماد الظرف واذا قدر الخبر الظرف الثاني كان الظرف الاول متعلقا به وجاز تقديمه عليه للاتساع في الظرف ونظيره قولهم أ كل يوم لك ثوب بتقدم الظرف على الجملة باسرها ولا يجوز ذلك في الحال لا تقول جالسا زيد في الدار ونقل جماعة الاجماع على ذلك وان الخلاف انما هو في التوسط بين الظرف المؤخر وبين المخبر عنه فمنعه الجمهور لضعف العامل وأجازه الاخفش ومتابعوه تمسكا بقراءة الحسن والسموات مطويات بيمينه وقراءة آخر ما في بطون هذه الانعام خالصة بنصب مطويات بالكسر وخالصة بالفتح وقيل الاجماع في المسئلة كقول الاخفش في فداء لك أبي ان فداء حال وكقول ابن برهان في هنالك الولاية لله الحق ان هنالك حال فان قلت اخبرني عن اخال في البيت أمعملة أم ملغاة أم معلقة قلت كل ذلك جائز اما الالغاء فعلى ان النافي لما تقدم ما ازال عنها التصدر المحض فسهل الغاؤها كما سهل الغاء ظننت تقدم متى واني في متى ظننت زيد منطلق وقول الحماسي

كذاك ادبت حتى صار من خلقي * اني رأيت ملاك الشيمة الادب

منك قليل وحاصل معنى البيت اني مع اتصافها بالجفاء واختلاف الوعد وعدم الوفاء بالعهد لا أقطع الرجاء من مودتها ولا أيأس من وصلها بل أرجو وآمل ان تقرب مودتها وان كان في ذلك بعد

اوعلى

(قوله امست سعاد الخ) لما ذكر ما حملته عليه المحبة من الرجاء والامل بقوله ارجو وآمل أن تدنو مودتها اتبعه بذكر ان محبوبته صارت الى ارض بعيدة لا يوصل اليها الا النفائس من الابل القوية السريعة السير فقال امست سعاد الخ أي سارت سعاد بارض بعيدة فامست بمعنى صارت كما هو الظاهر ويحتمل أنه بمعنى دخلت فى وقت المساء فتكون تامة (٤٥) والمعنى دخلت فى وقت المساء بارض بعيدة ويكون هذا مقابلا للغداة فى قوله

* وما سعاد غداة البين اذ رحلوا *

فكأنه قال رحلت غدوة وأمست بارض بعيدة وهذا اشارة لسرعة سيرها لانها سارت فى اليوم مسافة طويلة والمقصود بالحقيقة الاخبار ببعد محبوبته مع أن بعد الاحباب عذاب واذا كان المحب مع قرب الدار لا يشتفى غليله ولا يشفى عليله فكيف يصبر على البعاد أو يلذ له طيب الرقاد ولله در القائل

وقد زعموا أن المحب اذا دنا
يمل وان النأي يشفى من الصد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
على أن قرب الدار خير من البعد

وكيف يطيق البعد من يقول

وكدت وهو ضجيعى أن أقول له
من شدة الحب قد ابعدت فاقترب

أو من يقول

ومن عجب اني احن اليهم
وأسأل عنهم من رأي وهم معى
وتطلبهم عينى وهم فى سوادها
ويشتاقهم قلبي وهم بين اضلعي

والمراد بسعاد محبوبته المحدث عنها اولا وانما اعاد ذكرها بالاسم الظاهر لانه قصد استئناف نوع آخر من الكلام وهو وصف ارض سعاد بالبعد وذكر اوصاف ما يوصل اليها وقوله بارض اي فى ارض فالباء بمعنى فى كما فى قوله تعالى وما كنت بجانب الغربي اي فى جانبه وقد بالغ فى بعدها حيث وصف الارض التى امست بها سعاد بقوله لا يبلغها الا العتاق النجيبات المراسيل اى لا يبلغني تلك الارض الا الابل الموصوفة بثلاث صفات محمودة فى الابل ووجه المبالغة فى البعد انه اختار الابل دون غيرها لان لها قوة على طول السير مع

أو على تقدير النافى داخلا على الجملة الاسمية وتقدير ا خال معترضة بينهما كما تقدم واما التعليق فعلى أن الاصل للدنيا فعلق الفعل باللام ثم حذفت وبقي التعليق كما تقدم فى قول الهذلى واخال اني لاحق فيمن كسر الهمزة وأما الاعمال فجزم به ابن مالك بدر الدين وليس كذلك لما بينا ولما تبين ووجهه أن يكون مفعولها الاول ضمير الشأن محذوفا والاصل وما اخاله ومن حذف ضمير الشأن ان من أشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون وحكاية الخليل أن بك زيد مأخوذ أي انه كذا قالوا وليس بمتعين فى حكاية الخليل بل يجوز أن يكون التقدير انك وهو أولى لان ضمير الشان خارج عن القياس لعوده على المتأخر ولتفسيره بالجملة فلا ينبغى الحمل عليه مع امكان غيره ولهذا كان الاولى فى الضمير المنصوب بان من قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله أن يقدر عائدا على الشيطان لا ضمير الشان خلافا الزمخشري ومما يؤيد ذلك قراءة بعضهم وقبيله بالنصب وضمير الشان لا يتبع بتابع والاصل توافق القراءتين * واعلم أن البيت مشتمل على أربع جمل الاولى أرجو وفاعله ولا محل لها لانها مستأنفة والثانية آمل وفاعله ولا محل لها لانها معطوفة على ما لا محل له وقد مضي أنه لا يحسن تقديرها حالية والثالثة اخال وفاعله وهى مستأنفة أيضا لا حالية لان المضارع المنفى بما كالمضارع المثبت فى وجوب تجرده من واو الحال كقوله

عهدتك ما تصبو وفيك شبيبة * فمالك بعد الشيب صبا متيما

الرابعة لدينا منك تنويل ولا محل لها ان قدرت اخال ملغاة لانها حينئذ مستأنفة ومحلها النصب ان قدرت معملة أو معلقة لانها مفعول ثان على الاول وفى موضع المفعولين على الثاني قال ابن النحاس المتأخر أقمت زمنا أقول القياس يقتضى جواز العطف على محل الجملة المعلق عنها العامل بالنصب ثم رأيت ذلك منصوصا عليه انتهى بمعناه وهذه مسئلة ظاهرة من قول النحويين ان المعلق غير عامل فى اللفظ وهو عامل فى المحل كلهم يقول ذلك وصرحوا ايضا بجواز العطف بالنصب وجاء السماع به كقول كثير

وما كنت ادرى قبل عزة ما البكا * ولا موجعات القلب حتى تولت

فعطف موجعات بالنصب على محل ما البكا فان قلت كيف جاز ان ينفى ظن حصول التنويل بعد ما أثبت رجاء دنو المودة قلت المودة والتنويل شيآن لا شيء واحد فلا يمتنع ان توده بقلبها وتمنعه من نوالها على انهما لو كانا شيأ واحدا لا يضر ذلك فان للشعراء طريقة مألوفة يعود احدهم على ما قرره بالنقض ايذانا بالدهش والحيرة ويسمى ذلك فى علم البديع رجوعا ومنه قوله

قف بالديار التى لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

وقوله

فانك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

واما قوله

وقد زعموا ان المحب اذا دنا * يمل وان النأي يشفى من الصد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد
على ان قرب الدار ليس بنافع * اذا كان من تهواه ليس بذى ود

فليس من ذلك خلافا لمن وهم وانما هو من باب التخصيص والتقييد وذلك ان صدر البيت الثانى لما اقتضى انه لا خير للمحب فى قرب الدار استدركه بما ذكر فى عجزه ولما اقتضى هذا العجز ان قرب الدار نافع بكل حال استدركه بما ذكر فى البيت الثالث قال

﴿ امست سعاد بارض ما يبلغها * الا العتاق النجيبات المراسيل ﴾

(قوله أمست) يحتمل أمسي وجهين أحدهما أن تكون لتقييد ثبوت الخبر للاسم بزمن المساء وذلك على تفسير غداة البين بالغدوة والمعنى انها ارتحلت غدوة وأمست بارض بعيدة والثاني ان تكون بمعنى صارت كقوله

أمست خلاء وأمسي أهلها ارتحلوا * أخنى عليها الذى أخنى على لبد

ومعنى أخنى أفسد لان الخنى الفساد والقبح والنقصان ولبد آخر نسور نمان بن عاد لانه أعطى عمر سبعة أنسر لان النسر يعمر طويلا وقوله سعاد اسم ظاهر اقيم مقام المضمر وذكره فى هذا البيت بعد ذكر ضميرها فى البيت قبله أحسن منه فى قوله أول القصيدة متيم اثرها ثم قال وماسعاد وذلك لانه هنا قصد استئناف نوع آخر من الكلام وهو وصف أرض سعاد بالبعد وذكر ما يتصل بذلك من وصف الناقة وقوله بارض الباء ظرفية مثلها فى وما كنت بجانب الغربي وقوله يبلغها يحتمل وجهين أحدهما ان يكون منقولا بالتضعيف من بلغ فيتعدى حينئذ الى مفعولين كعرفته المسئلة والاصل ما يبلغنيها ثم حذف المفعول الاول والوجه الثاني ان يكون بمعنى يبلغها فيكون متعديا الى واحد وقد جاء فعل وفعل بمعنى القاصر والمتعدى فالاول كمشي ومشي قال ودوية قفر تمشي نعامها * كمشي النصاري فى حفاف الارندج الارندج واليرندج جلد أسود وهو معرب والثاني كقولك زلته وزيلته بمعنى فرقته ومنه فزيلنا بينهم أي فرقنا بينهم وقطعنا الوصل التى كانت بينهم فى الدنيا فان قلت لم جزمت بانه فعل مع انه يحتمل لفيعل كبيطر وقد أجاز أبو البقاء وغيره الوجهين قلت الصواب ما ذكرته لقولهم فى مصدره التزييل ولو كان فيعل لقالوا زيلة كبيطرة والضمير المتصل بيبلغ عائدا الى الارض لانها مؤنثة بدليل ان الارض لله يورثها من يشاء وقولهم فى تصغيرها أريضة ولا يكون عائدا الى سعاد لان الجملة صفة لارض فلا بد لها من ضمير يربطها بها ولا تكون مستانفة لان الجار والمجرور حينئذ لا يصلح خبرا اذ جميع الناس كائنون بارض ومن هنا امتنع الاخبار بالزمان عن الجثة فى نحو قولك زيد فى يوم وصح اذا وصف الزمان بصفة مفيدة كقولك زيد فى يوم طيب والعتاق فاعل لفظا وبدل من الفاعل تقديرا اذلا بد من تقدير المستثنى منه أى ما يبلغها شيء وكذا كل استثناء مفرغ والاكثر مراعاة المحذوف ولهذا كثر ما جاء في الاهند وندر ما جاء في الاهند والنجيبات جمع نجيبة وهى الكريمة من الخيل ويروى النجيبات بالياء المشددة اي السريعات والعتيق من الابل والخيل وغيرهما الكريم الاصيل وعلى هذا فالعتيق والعتاق كالكريم والكرام وزنا ومعنى وفى الصحاح فرس عتيق أي رائع اه وعلى هذا فهو من قولهم وجه عتيق أى حسن كانه عتق من جميع العيوب قيل ولهذا لقب أبو بكر الصديق رضي الله عنه عتيقا لحسن وجهه وقيل لقوله عليه الصلاة والسلام أبو بكر عتيق الله من النار رواه الترمذي وفيه فمن يومئذ سمي عتيقا وقيل لانه لم يكن فى نسبه شيء يعاب به قاله مصعب بن الزبير وهذا هو المعنى الاول الذي قدمناه فى تفسير العتيق من الابل والخيل وغيرهما واسم أبي بكر رضي الله عنه عبد الله بن عثمان رضي الله عنهما والمراسيل جمع مرسال مفعال من قولهم ناقة مرسلة اذا كانت سريعة وضع اليدين فى السير ونظيره جمع مطعان ومطعام ومجزاع على مفاعيل قال * مطاعين فى الهيجا مطاعيم فى القرى * وقال كعب فى هذه القصيدة

لا يفرحون اذا مالت رماحهم * قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا

وانما تمتنع الصفة المبدوءة بالميم من التكسير فى مسئلتين أحدهما ان تكون على وزن مفعول كمضروب وشذ نحو ملاعين ومشائيم والثاني ان تكون الميم مضمومة كمكرم ومنطلق ويستثنى من هذه مفعل ومفعل المختصين بالمؤنث كمرضع ومكعب فيجوز تكسيرهما قال الله تعالى وحرمنا عليه المراضع من قبل وقال أبو ذئيب

وان حديثا منك لو تبذلينه * جنى النحل فى البان عوذ مطافل
مطافيل أبكار حديث نتاجها * يشاب بماء مثل ماء المفاصل

العوذ بذال معجمة جمع عائذ كحائل وحول والعائذ القريبة العهد بالنتاج من الظباء والابل والخيل ويجمع أيضا على عوذان مثل راع ورعيان وحائر وحوران فاذا تجاوزت عشرة أيام من يوم نتاجها أو خمسة عشر

الاسراع لان لها طاقة على حمل الاثقال وناهيك فى الاخبار عن تبليغها المسافة البعيدة قوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس والخيل وان كانت أسرع سيرا منها لكن فى المسافة القصيرة وقد افاد هو انه لا يبلغها كل نوع من الابل بل لا يبلغها الا الابل الموصوفة بانها العتاق النجيبات المراسيل وهذه الصفات ترجع اليها الاوصاف المحمودة فى الابل ومعنى يبلغها يوصلنى اليها وهو بالتضعيف من بلغ بالتضعيف ايضا فيتعدي المفعولين والاصل لا يبلغنيها ثم حذف المفعول الاول ومعنى العتاق بكسر العين التى هى جمع عتيق الكرام الاصول سميت بذلك لانها عتقت من العيوب والمراد ما كان منها منسوبا الى نتاج فحل كريم كالعزيزية والشدقمية والجزيلية نسبة الى عزيز وشدقم والجزيل وهى فحول كريمة ومعنى النجيبات التى هى جمع نجيبة القوية الخفيفة وقيل النفيسة الفاضلة فى نوعها وقيل الكرام الاصول فيكون على هذا توكيدا لقوله العتاق ويروى النجيات بتشديد الياء من غير باء موحدة ومعناها السريعات وعلى هذه الرواية يكون قوله

المراسيل بفتح الميم جمع مرسال بكسرها توكيد الان معناه المسريعات من قولهم ناقة رسلة بفتح الراء وسكون السين اذا كانت سريعة رفع اليدين في السير وحاصل معنى البيت ان محبوبته التي هي سعاد صارت بارض بعيدة ودخلت في المساء بارض بعيدة لا يوصله اليها الا الابل الكرام الاصول القوية السريعة لبعد مسافة ما بيني وبينها (قوله ولن يبلغها الخ) هذا البيت زيادة تاكيد في بعد المسافة لانه ذكر فيه أنه لا يبلغه تلك الارض الا الناقة الشديدة التي لا تكل بالتعب ولا يضعف سيرها بالاعياء ويلوح بذلك لناقته وقد أطلب في مدحها وأمعن في وصفها في تسعة عشر بيتا فوصفها في هذا البيت بوصفين من أوصاف الابل الحميدة فقال ولن يبلغها الخ وفي بعض النسخ ولا يبلغها الخ وفي نسخة وما يبلغها الخ وعلى كل فهو معطوف على قوله لا يبلغها الا العتاق الخ فكل منهما صفة للارض وحينئذ فالضمير عائد الى الارض لا الى سعاد لانه لا بد من أن تشتمل الصفة على ضمير يعود على الموصوف فان قيل لو جعلنا الواو للاستئناف صح رجوع الضمير الى سعاد أجيب بان في جعلها للاستئناف خروجا عن أصلين احدهما نحوي وهو ان الاصل (٤٧) في الواو العطف لا الاستئناف بياني وهو أن تناسب الضمائر أولى من تنافرها وقوله الا عذافرة أي الا ناقة عذافرة فهي صفة لموصوف محذوف والعذافرة بضم العين وفتح الذال وبعدها الف وبفتح الفاء والراء الناقة الصلبة العظيمة ويقال للجمل عذافر اذا كان كذلك وقوله فيها وفي نسخة لها اي في قوله تلك الناقة او لتلك الناقة وقوله على الاين أى مع الاين فعلى بمعنى مع كما في قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم والاين الاعياء والتعب قال أبو زيد وابن فارس ولا يبنى منه فعل وقد خولفا وقوله ارقال مبتدا خبره الجار والمجرور قبله أو فاعل بالظرف لانه اعتمد على موصوف والارقال بكسر الهمزة واسكان الراء المهملة وقاف بعدها الف ولام ضرب من السير سريع قال الجوهري هو نوع من الخبب وقال ابن الاثير هو فوق الخبب وقوله وتبغيل معطوف على ارقال والتبغيل بفتح التاء واسكان الباء وكسر الغين بعدها ياء ساكنة ثم لام ضرب من السير سريع أيضا فوق الخبب ودون الارقال فلو ترق في المصنف لقال تبغيل وارقال لان الارقال أقوى من التبغيل وانما لم يصنع كذلك لضرورة النظم كانه شبيه بمشي البغال فلذلك سمي تبغيلا واعلم ان سير الابل في الاسراع على مراتب فاولها العنق بفتح العين والنون في آخره قاف وهو الذي يتحرك فيه عنق البعير وفي سائر مراتبه للناس اختلاف كبير والذي ذكره ابن أصبغ الازدي في أرجوزته ان اعلاه التشعر بفتح التاء المثناة فوق والشين المعجمة وضم العين المهملة المشددة وبعدها راء مهملة وهو غاية الطاقة في السير والارقال دونه في الرتبة والتبغيل فوق العنق ودون الارقال فيكون سير تلك الناقة مع الاعياء والتعب دائرا بين الارقال والتبغيل فاذا اشتدبها التعب والاعياء يكون غاية ما ينتهي اليه سيرها في قلة السرعة التبغيل واذا خف تعبها ترقت الي الارقال واما مع النشاط فيكون سيرها التشعر ولا تسير عنقا أصلا لقوتها على السير السريع جدا فاذا كان سيرها مع الاعياء والتعب على هذين الضربين السريعين من السير فما ظنك بها اذا كانت في حال نشاطها وحاصل

فهي معطفل وسميت بذلك لان معها طفلها وجمعها مطافل والمطافيل بالياء اشباع كقوله
* نفي الدراهيم تنقاد الصياريف * الشاهد في الصياريف فانه جمع صيرف وأما الدراهيم فانه جمع درهام لغة في درهم قال

لو كان عندي مائتا درهام * لابتعت دارا في بني حزام

والمفاصل قال الاصمعي منفصل الجبل من الرملة يكون بينهما رضراض وحصى صغار فان ماء ذلك يكون صافيا ذا بريق قال

﴿ولن يبلغها الا عذافرة * لها على الاين أرقال وتبغيل﴾

لك في يبلغها الوجهان السابقان وضميرها كضميرها في رجوعه الى أرض لا الى سعاد لان يبلغها هذه معطوفة على تلك فهي مثلها في أنها صفة لارض فلا بد من تحملها ضميرها فان قلت قدر الواو للاستئناف وقد صح رجوع الضمير لسعاد قلت في هذا التقدير خروج عن أصلين نحوي وبياني أما النحوي فلان الاصل في الواو العطف لا الاستئناف وأما البياني فلان تناسب الضمائر أولى من تنافرها ولهذا قال الزمخشري في قوله تعالى ان اقذفيه في التابوت فاقذفيه في اليم فليلقه اليم بالساحل يأخذه عدو لي وعدو له الضمائر كلها لموسى لما يؤدي اليه رجوع بعضها اليه وبعضها الي التابوت من تنافر النظم فان قلت المقذوف في البحر والملقى الى الساحل هو التابوت قلت ماضرك لو قلت هو موسى في جوف التابوت حتى لا يتنافر النظم اه فان قلت هلا اكتفى من الجملتين بضمير واحد لتوسط الواو بينهما ومن شأنها ان تجمع بين الشيئين وتصيرهما كالشيء الواحد قلت انما تفعل الواو ذلك بين المفردات لا بين الجمل ألا ترى انه يجوز أن يقال هذان ضارب زيد وتاركه ويمتنع هذان يضرب زيد ويتركه فان قلت فلم قال هشام بن معاذ النحوي الكوفي وهو من أئمتهم ان المسوغ للنصب في نحو زيدا قام وعمرا أكرمته ان الواو للجمع مع أنها بين جملتين كما ترى قلت هي مقالة تفرد بها وقد ردت عليه بما ذكرنا فان قلت فلم ساغ للجميع تقدير الجملتين كالجملة الواحدة مع الفاء حتى اجازوا الذي يطير فيغضب زيد الذباب قلت لانها للسببية فما قبلها وما بعدها بمنزلة جملتي الشرط والجزاء وهما في حكم الجملة الواحدة ألا ترى انه يجوز زيدان قام فغضب عمرو ونحو زيدان سافر غضب عمرو وأقام (قوله عذافرة) مهمل الاول مضمومه معجم الثاني وهو الناقة الصلبة العظيمة ويقال للجمل اذا كان كذلك عذافر وجمعهما عذافر بفتح أوله والفه كالف مساجد وليست بالتي كانت في المفرد بل تلك محذوفة

معنى البيت أنه لا يبلغ تلك الارض الا ناقة موصوفة بصفتين محمودتين في الابل الاولى كونها عظيمة صلبة وهو المعنى بالعذافرة الثاني
كونها لا تضعف بكثرة السير وهو المعنى بقوله لها على الاين ارقال وتبغيل فاذا كانت عظيمة صلبة سريعة السير مع الاعياء ومع عدمه
بالاولى بلغ بها راكبها الى المدى البعيد في الزمن القصير (قوله من كل نضاخة الذفرى الخ) لما وصف الناقة بوصفين في البيت الذي قبل هذا
وهما كونها عظيمة صلبة وكونها لا تضعف بكثرة السير وصفها في هذا البيت بوصفين وهما كونها كثيرة عرق الذفري وكونها عارفة بالطريق
لطامس الاعلام الذاهب الآثار فقال من كل نضاخة الذفري الخ والجار والمجرور خبر لمبتدا محذوف تقديره هي أي الناقة المذكورة أو حال
من العذافرة ومن تعيضية أو مبينة للجنس قال ابن هشام الاول أوضح لان المعنى عليه ان تلك الناقة بعض أفراد ذلك الجنس والثاني
أحسن لان المعنى عليه ان تلك الناقة جميع هذا الجنس على سبيل المبالغة ويحتمل وجها ثالثا وهو ان تكون لابتداء الغاية والمعنى عليه
ان تلك الناقة ابتداء خلقها واتخاذها من هذا الجنس فيكون قصده ان يصفها بكرم الاصل ويؤيد هذا الثالث ان ابتداء الغاية هو المعنى
الغالب على من ونضاخة الذفري صفة لموصوف محذوف أي ناقة نضاخة الذفري واضافة نضاخة للذفري من اضافة الصيفة
لمعمولها بعد تحويل الاسناد والاصل نضاخة ذفراها ثم حول الاسناد عن الذفرى الى ضمير الناقة وانتصب على التشبيه بالمفعول به ثم
أضيفت الصفة الى معمولها والنضاخة بفتح النون وتشديد الضاد وبعدها الف وخاء ثم تاء التانيث الكثيرة السيلان يقال عين نضاخة
اذا كانت كثيرة الماء وكانت فوارة ومنه قوله تعالى فيهما عينان نضاختان اى فوارتان وفيه مبالغتان من جهتي الزنة والمادة أما الزنة فلانها
محولة من فاعل الى فعال للتكثير والمبالغة واما المادة فلان النضخ بالخاء المعجمة (٤٨) أعلى من النضح بالحاء المهملة لان الاول الرش الكثير

> وقد اجتمع في هذا التكثير ما افترق في نحو كتب وفلك من التغيير اللفظي والتقديري (قوله على)
> هي ومجرورها حال فتتعلق بمحذوف وهي بمعنى مع مثلها في قوله تعالى الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
> اسمعيل واسحق وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (قوله الاين) هو الاعياء والتعب قال أبو زيد
> ولا يبنى منه فعل وكذا قال ابن فارس وقد خولفا (قوله ارقال) مبتدأ أو فاعل بالظرف لانه قد اعتمد
> على موصوف وهو مصدر ارقل البعير وأرقلت الناقة والارقال نوع من الخبب ويقال ناقة مرقل بغير
> تاء فاذا كثروا قالوا مرقال ومفعال من أفعل قليل مثل معطاء ومهداء ومعوان (قوله وتبغيل)
> هو مشي فيه اختلاف بين العنق والهملجة وكانه مشبه بسير البغال لشدته وهذا البيت تأكيد
> لما قبله في افادة بعد المسافة ومعناه ان هذه الارض لا يبلغها الا ناقة عظيمة صلبة سريعة العدو من
> صفتها انها اذا اعيت وكلت من السير سارت مع ذلك التعب هذين النوعين من السير فما ظنك
> بها اذا لم تكل به قال
>
> ﴿ من كل نضاخة الذفرى اذا عرقت * عرضتها طامس الاعلام مجهول ﴾

والثاني القليل ولهذا قال
حذاق أهل الاشتقاق ان
الواضع يضع الحرف القوي
للمعنى القوى والحرف
الضعيف للمعنى الضعيف
وذلك كوضعه القصم بالقاف
الذي هو حرف شديد لكسر
الشيء حتى أبين والقصم بالفاء
الذي هو حرف رخو لكسر
الشيء من غير ان يبان و
الذفرى بكسر الذال المعجمة
وسكون الفاء وفتح الراء
المهملة وفي آخره ألف التأنيث
فهي بزنة ذكرى وهي النقرة التي خلف اذن الناقة وهي أول ما يعرق منها واشتقاقها من الذفر بفتحتين وهي الرائحة الظاهرة طيبة (قوله
كانت كرائحة المسك أو غير طيبة كرائحة النتن ومن الاولى قولهم مسك اذفر ومن الثاني قولهم رجل ذفر أي له خبث ريح واما الدفر بالدال
المهملة وسكون الفاء فهو النتن خاصة ثم ان الذفرى مفرد قائم مقام المثنى فأل فيها للجنس الصادق بالمتعدد اذ الناقة لها ذفريان لا ذفرى واحدة
نظيره قوله الا ان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجاري دمعها لجمود وفي كلامهم عكسه وهو كون المثنى قائما مقام المفرد كقول بشر على كل
ذي ميعة سابح * يقطع ذو ابهريه الحزاما وانما له أبهر واحد وأجاز الفراء أن يكون من هذا قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان وقوله اذا
عرقت أي وقت ان عرقت بكسر الراء من باب طرب وهو ظرف لنضاخة ولا جواب لاذا ان جعلت مجردة عن معنى الشرط وان قدر
فيها ذلك فعاملها شرطها والجواب محذوف والتقدير اذا عرقت فهي نضاخة الذفرى أو الجواب مذكور وهو الجملة الاسمية بعدها
وتكون الفاء حذفت للضرورة كما في قوله من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان وكأنه يصفها بشدة جهد نفسها في
السير حتى يسيل من ذفريها فان العرق لا يكون الا مع اشتداد في السير واهتمام به وناهيك ما وصف به ذفريها من النضخ الذي هو في غاية
الكثرة على ما تقدم تفسيره وقوله عرضتها طامس الاعلام مجهول أي همتها سلوك طريق مندرس العلامات مجهول المسالك فعرضتها
بضم العين وسكون الراء وفتح الضاد بمعنى همتها ومنه قول حسان رضي الله عنه وقال الله قد أعددت جندا * هم الانصار عرضتها
اللقاء وذكر التبريزي وجهين في معنى عرضتها في البيت أحدهما أنه من قولهم بعير عرضة للسفر أي قوي عليه والثاني ما يعرض ويمنع
من الشيء ومنه قوله تعالي ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أي لا تجعلوا الحلف بالله معترضا مانعا لكم ولا مساغ لواحد من هذين المعنيين
هنا وانما المعنى ما ذكرناه كما قاله ابن هشام ومعنى طامس الاعلام مندرس العلامات وهو صفة لموصوف محذوف مع تقدير مضاف
أي سلوك طريق طامس الاعلام كما أشرنا اليه في الحل وطامس اسم فاعل من طمس الطريق اذا درس وانمحت اعلامه والاعلام
بمعنى العلامات جمع علم بمعنى العلامة ومجهول صفة طامس مؤكدة لان كل طامس مجهول ولهذا لم نجعله خبرا لان الخبر لا يكون مؤكدا

(قوله من كل) قال عبد اللطيف بن يوسف من تبعيضية أو مبينة للجنس أي التي هي كل ناقة نضاخة اه
والاول واضح وأما الثاني فقد يظهر أنه أحسن وأبلغ لانه جعلها جميع هذا الجنس كما قالوا أطعمنا
شاة كل شاة قال وان الذى حانت بفلج دماؤهم * هم القوم كل القوم يا أم خالد
ولكن التحقيق أنه لا يجوز لانه لا بد أن يتقدم المبينة شيء لا يدرى جنسه فتكون من ومجرورها بيانا له
كما في قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان والذي تقدم هنا معلوم الجنس وهى الناقة العذافرة ثم
قوله في تفسيرها أي التي هي كل ناقة نضاخة مشكل لان المفسر عذافرة وهى نكرة والنكرة لا تفسر
بالمعرفة وانما كان الصواب أن يقال هى نضاخة ليكون المفسر جملة كما قالوا في يحلون فيها من أساور من
ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس ان المعنى من أساور هى ذهب وثيابا خضرا هى سندس والذي
غره أنهم يمثلون لمن الجنسية غالبا بقوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ويقولون التقدير الذى
هو الاوثان وانما قدروه كذلك لان المفسر معرفة فقدروا تفسيره معرفة لان المبينة دائما تقدر كذلك
وتحتمل من وجها ثالثا أظهر مما ذكروه وأن تكون لابتداء الغاية أي عذافرة ابتداء خلقها وايجادها
من كل ناقة نضاخة يصفها بكرم الاصل وابتداء الغاية هو المعنى الغالب على من حتى زعم
المبرد وابن السراج والاخفش الصغير والسهيلي ان سائر ما ذكر لها من المعاني يرجع اليه وعلى
الاوجه الثلاثة فيحتمل الظرف ثلاثة أوجه أحدها أن يكون رفعا بالتبعية على أنها صفة لعذافرة
والثاني أن يكون رفعا بمباشرة العامل على انها خبر لهى محذوفة والثالث أن يكون نصبا على الحال من
عذافرة لانها قد اختصت بالوصف (قوله نضاخة) صفة لمحذوف أي من كل ناقة نضاخة وفيه مبالغتان
من جهة الزنة والمادة أما الزنة فلانها محولة من فاعل الى فعال للتكثير والمبالغة وأما المادة فلان النضخ
بالخاء المعجمة أكثر من النضح بالمهملة ولهذا قالوا النضح بالمهملة الرش وقالوا في قوله تعالي نضاختان
معناه فوارتان بالماء هذا هو المعروف وعليه حذاق أهل الاشتقاق وان الواضع يضع الحرف
القوي للمعنى القوي والضعف للضعف وذلك كوضعه القصم بالقاف الذى هو حرف شديد الكسر
الشيء حتى يبين والفصم بالفاء الذي هو حرف رخو لكسر الشيء من غير أن يبين وعلى هذا تاول الامام
أبو يعقوب السكاكي قول عباد بن سليمان ان بين الحروف والمعاني تناسبا طبيعيا لما رأي ان حمله على
ظاهره موقع فى فساد ظاهر وذلك بادلة منها ان اللفظ يوضع للمتضادين كالجون للابيض والاسود
ومن المحال مناسبة شيء بطبيعته للشيء وضده وبنوا من النضخ بالمعجمة فعلا على فعل يفعل كسلخ
يسلخ وذلك لاجل حرف الحلق هذا هو المعروف وهو قول أبي زيد وقال الاصمعي لم يبن من هذه
المادة فعل وأما النضح بالمهملة فلا خلاف فى بناء الفعل منه وهو فعل بالفتح يفعل بالكسر على القياس
وفى حديث المقداد توضأ وانضح فرجك وهذا فى الحلقي نظير نحت ينحت لان حرف الحلق يبيح
توافق الماضي والمضارع فى الفتح ولا يوجبه (وقوله الذفرى) بالمعجمة وهى النقرة التى خلف اذن
الناقة والبعير وهو أول ما يعرق منهما واشتقاقها من الذفر بفتحتين وهو الرائحة الظاهرة طيبة كانت
أو غيرها ومن الاول قولهم مسك اذفر ومن الثاني رجل ذفر أي له خبث ريح وأما الدفر باهمال الدال
واسكان الفاء فهو النتن خاصة ومنه قولهم دفرا له أى نتنا وللمرأة اذا سبت يادفار وقول عمر وادفراه
وقولهم فى كنية الدنيا وكنية الداهية أم دفر وأكثر العرب يقدر الف الذفرى للتأنيث كالف الذكرى
فيقول هذه ذفرى أسيلة غير منونة وبعضهم يقدرها للالحاق بدرهم فينونها الا ان سمى بها ونظير
الذفرى الدفلى بدال مهملة اسم لنبت مر ينون ولا ينون وجمعها ذفريات كملقيات وذفار كجوار
وصحار وذفاري كصحاري وعذارى وليست الف الجمع بالف المفرد لان تلك للتأنيث أو للالحاق
وهذه منقلبة عن ياء ومحل الذفرى فى البيت نصب على التشبيه بالمفعول به وهذا النصب ناشئ عن رفع
على الفاعلية والاصل نضاخة ذفراها ثم حول الاسناد عن الذفرى الي ضمير الناقة وانتصبت الذفرى
على التشبيه بالمفعول به لانها سببية للموصوف وأنيبت أل عن الضمير ولو كانت الاضافة عن رفع كما زعم

وقصده بذلك وصفها بمعرفة
الطريق الطامس الاعلام
لكثرة اسفارها وسلوكها
المفازات وهذا وصف
شريف من أوصاف الابل
فربما ضل الراكب عن
الطريق لنوم أو غيره
فيهلك فاذا كانت ناقته لها
دراية بمعرفة الطريق نجت
به من تلك المفازة وقد حكى
أبو على بن سينا انه كان فى
ركب فضلوا عن الطريق
فى مفازة عظيمة كادوا
يهلكون فيها فعمدوا الي
بعير كان معه فالقوا زمامه
على غاربه وأرسلوه فسار
بهم وما زال يقفو الطريق
حتي خلص بهم الى المقصد
الذى كانوا يقصدونه
فسبحان الملهم وحاصل
معنى البيت ان هذه الناقة
كثيرة العرق من ذفريها
وذلك لا يكون الا مع اشتداد
فى السير وجهد نفسها فيه
وانها عارفة للطريق المتدرس
العلامات المجهول المسالك
لكثرة أسفارها وسلوكها
المفازات

عبد اللطيف لزم اضافة الشيء الى نفسه وكذا البحث في نحو حسن الوجه ونظائره ومما يدل على ذلك قطعا انك تقول مررت بامرأة حسن وجها وحسنة الوجه فتذكر الصفة اذا رفعت وتؤنثها اذا خفضت فدل على انها في حالة الخفض متحملة لضمير الموصوف كما انها كذلك اذا نصبت فقلت حسنة وجها واما تأنيث الصفة هنا فلا دليل فيه لجواز أن يقال انه لاجل تأنيث الذفري لا لتأنيث الموصوف (وقوله الذفرى) مفرد قائم مقام التثنية اذ الناقة لها ذفريان لا ذفرى واحدة ونظيره قوله

الا ان عينا لم تجد يوم واسط * عليك بجاري دمعها لجمود

(وقول الآخر) أظن انهمال الدمع ليس بمنته * عن العين حتى يضمحل سوادها

وفي كلامهم عكس هذا وهو انابة الاثنين عن الواحد كقول بشر

على كل ذي ميعة سابح * يقطع ذو أبهريه الحزاما

وانما له أبهر واحد وقوله لجعلن مدفع عاقلين أمامنا * وجعلن امعزرامتين شمالا

أراد عاقلا وهو جبل وأجاز الفراء أن يكون من هذا ولمن خاف مقام ربه جنتان وأما قوله

اذا ما الغلام الاحمق الام سافني * باطراف أنفيه استمر فاسرعا

فيحتمل أن يكون من ذلك ويحتمل انه سمى المنخرين أنفين تسمية للجزء باسم الكل ويقال سفته أسوفه اذا شممته وفي النهاية لابن الخباز انهم قالوا مات حتف أنفيه وان من ذلك قول الشاعر

* ياحبذا عيناسليمى والفما * وأن أصله الفمان فاسقط النون للضرورة اه واستعملوا المفرد في موضع التثنية كذلك استعملوا الجمع في موضعها فقالوا رجل عظيم المناكب وغليظ الحواجب وقد اجتمعت انابة الواحد والجمع عن الاثنين في قول الهذلي

فالعين بعدهم كأن حداقها * سملت بشوك فهي عور تدمع

واضافة نضاخة الى الذفرى اضافة لفظية ولولا ذلك لم يجز اضافة كل اليها اذ لا تضاف كل وأي واسم التفضيل الى مفرد معرفة ونظير هذا البيت بيت الكتاب

سل الهموم بكل معطي رأسه * ناج مخالط صهبة متعيس

فاضاف كل الى معطي رأسه لما كان نكرة لانه في نية التنوين والنصب ومعناه سل همومك بكل بعير تركبه ذلول منقاد سريع يضرب بياضه الى الحمرة (وقوله اذا) ظرف لنضاخة وان قدر فيها معنى الشرط فعاملها شرطها أوجواب محذوف أي اذا عرقت نضخت ذفرياها أوجواب مذكور وهو الجملة الاسمية بعدها على ان الفاء حذفت للضرورة كما في قوله

من يفعل الحسنات الله يشكرها * والشر بالشر عند الله مثلان

وقد حمل عليه ابو الحسن قوله تعالى ان ترك خيرا الوصية للوالدين والمختار قول غيره ان الجواب محذوف أي فليوص والدال على ذلك الوصية اذ هي في نية التقديم لانها على هذا التقدير مرفوعة بكتب لا بالابتداء واذا لم تقدر الجملة الاسمية في البيت جوابا فهي صفة ثانية للناقة المحذوفة أو مستأنفة (قوله عرضتها) أي همتها ومنه قول حسان رضي الله عنه

وقال الله قد أعددت جندا * من الانصار عرضتها اللقاء

وذكر التبريزي في تفسير عرضتها في البيت وجهين أحدهما انه من قولهم بعير عرضة للسفر أي قوي عليه وفلان عرضة للشر أي قوي عليه وجعلته عرضة لكذا اذا نصبته له والثاني ما يعرض ويمنع ومنه قوله تعالى ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم أي لا تجعلوا الحلف بالله معترضا مانعا لكم أن تبروا ولا مساغ لواحد من هذين المعنيين هنا وانما المعنى على ما ذكرت ولا بد من تقدير مضاف أي معقود همتها أو ذو همتها ولولا هذا التقدير لم يصح الاخبار لان المبتدأ على هذا التقدير غير الخبر ونظيره هم درجات عند الله أي هم ذو درجات (وقوله طامس) اسم فاعل من طمس الطريق بفتح الميم ورفع الطريق يطمس ويطمس

(قوله ترمى الغيوب الخ) لما ذكر فى البيت الذى قبل هذا ان همتها سلوك الطريق المندرس العلامات المجهول المسالك بين فى هذا البيت وجه اهتمامها بذلك وهو انها فى غاية حدة البصر حتى انها بمجرد رمى بصرها الى الارض تدرك الطريق وتبين السبيل فقال ترمى الغيوب الخ أي ترمى تلك الناقة الغيوب والمراد برمى الغيوب ايقاع النظر عليها بسرعة فانه يشبه الرمى فى سرعة الوقوع على المحل والغيوب بضم الغين اما جمع غائب كشهود جمع شاهد أو جمع غيب كفلوس جمع فلس لكن فى الثاني تجوز اذ الغيب فى الاصل مصدر غاب ثم أطلق على الغائب والمراد بالغيوب آثار الطريق التى غابت معالمها عن العيون وقوله بعينى مفرد لهق أي بعينين مثل عينى مفرد لهق فحذفت الصفة وهى لفظ مثل والمضاف بعدها والجار والمجرور متعلق بترمى والمفرد هو الثور الوحشي الذى انفرد عن أنسيته وقد غلب عليه وصف المفرد كما غلب الاغن على الظبي فمتى قيل مفردا انصرف للثور المذكور وانما شبه عينيها بعينيه لانه الف البرارى (٥١) والفلوات وخبرها بكثرة مروره فيها واعتاد الصبر على شدة الحر ولكونه من أحد الوحوش نظر اخصه بالتشبيه به فى حدة النظر واعتبر حال تفرده عن أنيسته لانه حينئذ يكثر تحديقه للنظر ويقوي نشاطه وخفته ومعنى لهق بفتح الهاء وكسرها الابيض فان قيل لم خصه بالابيض مع انه لامدخل للون فى تشبيه الناقة بالثور الوحشي فى تحديق النظر وحدته أجيب بأن ذلك لمعنى آخر غير تحديق النظر وحدته وهو زيادة الحسن لان عين البقر الوحشي فى غاية السواد فاذا كان الثور من البقر الوحشي أبيض مع شدة سواد عينيه يكون فى غاية من الحسن وذكر بعضهم انه اذا كان أبيض كان أقوي فى النظر وعليه فوصف الثور الوحشي بالابيض له مدخل فى تشبيه الناقة به فى حدة البصر وقوله اذا توقدت الحزاز والميل أي وقت توقدها فاذا بمعنى وقت مجرد عن معنى الشرط وهو ظرف لترمى الغيوب الخ وان قدر فيه معنى الشرط فعاملها شرطها والجواب محذوف دل عليه ما تقدم اي فهى ترمى الغيوب وعلى كل فلا مفهوم له لانها اذا كانت حديدة البصر فى هذه الحالة لكون شدة الحر لا تقدح فى بصرها ولا تؤثر فى عينيها بل كانت همتها ما كانت عليه من استخراج المغيبات ومعرفة المسالك الخفيات فما ظنك بها فى غير هذه الحالة والمراد بالتوقد هنا اشتداد الحر تشبيها له بتوقد النار والحزاز بكسر الحاء المهملة وتشديد الزاي وفى آخره زاى أيضا هى الامكنة الغليظة الصلبة وهى جمع حزز بفتح الحاء المهملة وكسر الزاى وفى آخره زاي أيضا وهو المكان الغليظ الصلب ويجمع فى القلة على أحزة كمعز ومعزة والميل بكسر الميم جمع ميلا بفتحها وهى العقدة الضخمة من الرمل وقيل المراد الميل الذى هو مد البصر وليس بشيء وعبارة التبريزي والميل من الارض معروف وليس فى عبارته ما يعين المراد وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة فى غاية حدة البصر من أنها تبصر ما غاب من آثار الطريق عن العيون بعينيها الشبيهتين بعينى الثور الوحشي الابيض

طمسا وطموسا اذا درس وانمحت اعلامه وهو صفة لمحذوف أي همتها طريق طامس الاعلام فان قلت أما يجوز أن يكون طامس فاعلا بمعنى مفعول كما قيل فى ماء دافق وسر كاتم وعيشة راضية قلت لا لوجهين أحدهما ان الصحيح ان فاعلا يأتى بمعنى مفعول وأما ما أوردت فمؤول عند البصريين والبيانيين أما البصريون فتأولوه على النسبة الى المصادر التى هى الدفق والكتم والرضا كما ان اللابن والتامر والدارع والنابل نسبة الى اللبن والتمر والدرع والنبل وأما البيانيون فتأولوه على الاسناد المجازى وحقيقته دافق صاحبه وكاتم صاحبه وراض صاحبها والثاني ان ذلك لم تدع ضرورة اليه فان طمس يتعدى ولا يتعدى قالوا طمس الطريق بالرفع كما قدمنا وطمست الريح الطريق (قوله الاعلام) جمع علم وهو العلامة وقرىء وانه لعلم للساعة أى وان عيسى عليه السلام لعلامة على الساعة واما قراءة الجماعة فوجهها تسمية ما يعلم به الشيء علما والكلام فى اضافة طامس الى الاعلام كالكلام فى اضافة نضاخة الى الذفرى (وقوله مجهول) صفة لطامس مؤكدة لان كل طامس مجهول ولهذا لم أقدره خبرا لان الخبر لا يكون مؤكدا ولهذا قيل فى قوله

اذا ما بكى من خلفها انحرفت له * بشق وشق عندنا لم يحول

ان الظرف خبر ولم يحول جملة حالية مؤكدة وابتدىء بالنكرة لوقوعها تفصيلا ومثله الناس رجلان رجل أكرمته ورجل أهنته ولا يكون عندنا صفة ولم يحول الخبر لان الشق اذا كان عنده كان غير محول والخبر لا يكون مؤكدا بخلاف الحال قال

﴿ ترمى الغيوب بعينى مفرد لهق * اذا توقدت الحزاز والميل ﴾

(قوله الغيوب) اما جمع غائب كشاهد وشهود أو غيب والاول أول ولم أرهم ذكروا الا الثاني مع انه مجاز اذ الغيب فى الاصل مصدر غاب ثم أطلق على الغائب اطلاق الغور على الغائر فى قوله تعالى قل أرأيتم ان أصبح ماؤكم غورا وفعل يجمع على فعول ان صحت عينه كفلس وفرخ أو اعتلت بالياء كبيت وشيخ وضيف وسيف فان اعتلت بالواو فجمعه عليه شاذ كفوج وقوس استثقالا للضمتين فى صدر جمع وبعدها واو ويجوز كسر أوله ليخف ويقرب من الياء وقرىء به فى السبعة فى نحو بيوت وعيون وغيوب وذكر الزجاج أن أكثر النحويين لا يعرفونه وانه عند البصريين رديء جدا لانه ليس فى العربية فعول بالكسر واستدل الفارسي على جوازه بانه يجوز فى تحقير عين وبيت ونحوها كسر الاول وممن حكى ذلك سيبويه مع أن فعيلا بالكسر ليس من أبنية التحقير وقوله بعينى مفرد اى بعينين مثل عينى ثور مفرد فحذف الصفة والمتضايفين بعدها وأضاف الموصوف الى صفة المضاف

وقت اشتداد الحر فى الامكنة الغليظة الصلبة والرمال المتعقدة الضخمة حتى كانها توقدت نارا وفى غير هذا الوقت من باب أولى (قوله ضخم مقلدها الخ) لما وصفها فى البيت قبل هذا بانها فى غاية حدة البصر وصفها فى هذا البيت بانها فى غاية الضخامة والقوة والحسن على مايقتضيه تفسير كلامه الآتى فقال ضخم مقلدها الخ أي غليظ موضع القلادة منها فالضخم بفتح الضاد وسكون الخاء الغليظ وهو وصف من ضخم بضم الخاء ضخما وبكسر الضاد وفتح الخاء مثل غلظ غلظا وزنا ومعنى ويقال ضخامة كشهامة ومقلدها بضم الميم وفتح القاف وتشديد اللام موضع القلادة من العنق والظاهران المراد به هنا جميع العنق تسمية للكل باسم الجزء ويؤيده قوله فى البيت الآتى غلباء فان المراد به غليظة العنق كما سيأتى قال ابن هشام وقد عيب على الناظم فى ذلك فقد قال الاصمعى هذا خطأ فى الوصف وانما خير النجائب مايدق مذبحه وقال أبو هلال العسكرى فى كتاب الصناعتين من خطا الوصف قول كعب بن زهير ضخم مقلدها لان النجائب توصف برقة المذبح وقد كرر هذا الوصف اذ قال فى البيت بعده غلباء على ما سيأتي ويجاب على الناظم بما قاله بعضهم من ان الضخم يمكن تفسيره بالعظيم فى ذاته والحسن فى صفاته وهذا لاينافى رقة المذبح وقوله عبل مقيدها ويروي فعم مقيدها اى غليظ موضع القيد منها فالعبل بفتح العين وسكون الباء وباللام فى آخره الغليظ وكذا الفعم بفتح الفاء وسكون العين وبالميم فى آخره فهو بمعنى العبل ومقيدها بضم الميم وفتح القاف وتشديد الياء موضع القيد منها وهو قوائمها ويجوز فى كل من ضخم وعبل أوفعم أوجه الاعراب الثلاثة اما الرفع فعلى انه خبر لهي مضمرة أو صفة لعذافرة أو على أنه خبر مقدم وما بعده مبتدأ مؤخر او على انه مبتدأ وما بعده فاعل سد مسد الخبر بناء على رأي أبي الحسن والكوفيين من عدم اشتراط الاعتماد وأما النصب فعلى انه مفعول لمحذوف تقديره أمدح مثلا أو على انه حال من عذافرة وأما الجر فعلى انه صفة لنضاخة على لفظها أو لعذافرة على معناها لان المعنى غير عذافرة فقد اجاز ابن خروف وجماعة منهم ابن مالك ان تقول ماجاءني الا زيد وعمرو بخفض عمرو على معنى ماجاءني غير زيد وعمرو (قوله فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل أى فى خلقتها عن الاناث من الابل المنسوبة للفحل المعد للضراب تفضيل لها فى الهيئة والقوة فخلقها بفتح الخاء وسكون اللام بمعنى الخلقة والمراد ببنات

اليه الثاني المحذوف ونظيره قول الآخر ايبتى إلا اصطياد القلوب * بأعين وجرة حينا فحينا
أى بأعين مثل أعين ظباء وجرة ووجرة بفتح الواو واسكان الجيم موضع وانما شبه عينها بعيني الثور الوحشي الذي أفرد عن أتانه لانه حينئذ يكثر تحديقه ويقوى نشاطه وخفته وهذا تشبيه بليغ لترك اداة التشبيه وليس باستعارة لاشتماله على ذكر طرفى التشبيه ويقال ثور مفرد وفرد بالاسكان وفرد بالفتح وفرد بالكسر وفارد وفريد وفردان (وقوله لهق) هو بفتح الهاء وكسرها فان فتحت احتمل وجهين أحدهما ان يكون مقصورا من اللهاق وهو الثور الابيض قال * لهاق تلألؤه كالهلال * وقال أسامة الهذلى

والا النعام وحفانه * وطغيا مع اللهق الناشط

الحفان بفتح الحاء المهملة فراخ النعام وطغيا الصغير من بقر الوحش معجم الغين مهمل الطاء مضموما عند الاصمعى مفتوحا عند ثعلب وعلى هذا التقدير فهو بدل من قوله مفرد بدل كل من كل بدل نكرة من نكرة والثاني ان يكون صفة من قولهم لهق بالكسر لهقا بالفتح فهو لهق ولهق بالفتح والكسر مثل يقق ويقق اذا كان شديد البياض وان كسرت كان وصفا من لهق بالكسر كما ذكرنا وعلى هذين الوجهين فهو نعت وأجود الأوجه الاول لانه لا مدخل للون فى تشبيه الناقة بالثور المفرد فى حدة النظر فاذا قدر مقصورا من اللهاق كان اسما وكانت افادته للون ضمنا واذا كان نعتا كانت افادته للون قصداً (وقوله الحزاز) بحاء مهملة وزاي معجمة مشددة وهو جمع حزيز بزاءين المكان الغليظ الصلب كظلمان فى جمع ظليم وهو ذكر النعام ويجمع فى القلة على أحزة والميل جمع ميلاء وهى العقدة الضخمة من الرمل وقيل المراد الميل الذى هو مد البصر وليس بشيء وقال الخطيب التبريزي وعبد اللطيف البغدادي الميل جمع أميل وميلاء زاد التبريزى والميل من الارض معروف وليس فى كلامهما مايبين المراد ولا ضرورة لتكلفهما جعله جمعا للمذكر والمؤنث معا (تنبيه) اذا قيل بانه جمع فوزنه فعل بالضم ولكن أبدلت ضمته كسرة لتسلم ياؤه من الانقلاب واوا كما فى بيض وعيس واذا قيل بانه مفرد احتمل عند سيبويه وجهين احدهما ان يكون كذلك والثانى ان يكون فعلا بالكسر على الظاهر وكذلك يجوز عنده فى نحو فيل وديك أن يكون فعلا أو فعلا وفى معيشة أن يكون مفعلة او مفعلة وذلك لانه يوجب اعلال الضمة بقلبها كسرة حيث وقعت قبل ياء هى عين لئلا تنقلب تلك الياء ألفا أو لئلا تنقلب الياء واوا ويقول فى قول الشاعر

وكنت اذا جارى دعا لمضوفة * اشمر حتى ينصف الساق مئزر

انه شاذ وكان قياسه مضيفة والمضوفة الامر الذى يشق وأبو الحسن يخالفه فى ذلك ويقول اذا بنى من العيش مفعلة بالضم قيل معوشة ويجعل المضوفة قياسا ويوجب فى نحو ديك وفيل ومعيشة أن يكون وزنها على الظاهر ويقول انما نقل الضمة فى هذا النحو فى باب الجمع كبيض وعيس وفى الصفة التي على فعلى كشية حيكى وقسمة ضيزي ومعنى البيت ان هذه الناقة تشبه فى وقت توقد الارض وشدتها بعيون الثور الوحشى الفاقد لاتانه فى حدة النظر وخفة الجسم والنشاط فما ظنك بها فى غير هذا الوقت قال

﴿ضخم مقلدها عبل مقيدها * فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل﴾

(قوله ضخم) فيه ثلاث مسائل الاولى لغوية وهي ان ضخم بضم الخاء ضخما بفتحها وكسر الضاد مثل غلظ غلظا وزنا ومعنى ويقال أيضا ضخامة كشهامة والوصف منه ضخم كشهم وضخم بكسر ففتح فتشديد على وزن مرادفه وهو خدب وأضخم بوزن احمر واضخم بوزن ارزب وهو القصير وضخام بوزن شجاع وأنشد سيبويه لرؤبة بن العجاج * ضخم يحب الخلق الاضخما * بهمزة مفتوحة مع التشديد وليس فى الابنية أفعل ولكنه شدد للوقف ثم الحق الف الاطلاق ووصل بنية الوقف وروى الا ضخما بكسر الهمزة والضخما بلا همزة فلا ضرورة وجمع الضخم والضخمة ضخام وجمع الضخمة أيضا ضخمات بالاسكان لانه صفة والضخامة فى بيت رؤبة معنوية وهي علو الهمة وفى بيت كعب حسية وهي غلظ الرقبة (المسئلة الثانية اعرابية) يجوز فى ضخم الرفع والنصب والجر فاما الرفع فعلى أربعة أوجه أن يكون خبرا عن مقلدها أو عن هي مضمرة او صفة لعذافرة وعليهما فانما لم يؤنث لاسناده لمذكر وهو مقلدها نحو من هذه القرية الظالم أهلها والرابع أن يكون مبتدأ وفاعله ساد مسد الخبر وذلك على رأي أبي الحسن والكوفيين فى اجازة قائم الزيدان من غير اعتماد وعلى غير الوجه الثالث من هذه الاوجه فقوله ضخم مقلدها جملة اما فى موضع رفع صفة لعذافرة أو نصب على الحال أو خفض صفة لنضاحة أو لا موضع لها على انها مستأنفة واما النصب فاما باضمار امدح أو على انه حال من عذافرة وأما الجر فاما على انه لنضاخة على لفظها أو لعذافرة على معناها اذ المعنى ولن يبلغها غير عذافرة كما تقول ما جاءني الا زيد وعمرو وبخفض عمرو واجازه ابن خروف وجماعة منهم ابن مالك تمسكا بامرين احدهما القياس على ما جاء فى غير زيد وعمرو بالرفع حملا لغير على الا قال

لم يبق غير طريد غير منفلت * وموثق فى حبال القد مجبوب

غير الاولى مرفوعة على الفاعلية والثانية مخفوضة صفة لطريد وروى رفعها بالحمل على معنى الا طريد وموثق مخفوض عطفا على طريد وروى رفعه عطفا على المعنى المذكور لا عطفا على غير لفساد المعنى والثاني ما ورد من قوله وماهاج هذا الشوق الا حمامة * تغنت على خضراء سمر قيودها

فيمن خفض سمر صفة الحمامة والمراد بقيودها رجلاها لانها موضع القيود ولهذا يقول كعب فعم مقيدها وأجاب المانعون بانه لا يلزم من جواز حمل غير على الا جواز العكس لان الا أصل وبان سمر صفة لخضراء على ان المراد بقيودها عروقها النابتة فى الارض أو صفة لحمامة ولكنه خفض لمجاورة المخفوض وهذا الوجه غلط لان المراد بخفض الجوار التناسب اللفظي ولا تناسب بين مفتوح ومكسور والوجه الاول بعيد لان العروق المستورة بالارض غير مشاهدة فلا يحصل بها تهييج للحب * (المسئلة الثالثة أدبية) * وهي ان المقلد موضع القلادة من العنق والمراد وصف الناقة بغلظ الرقبة وقد عيب ذلك فقال الاصمعي هذا خطأ فى الوصف وانما خير النجائب ما يدق مذبحه وقال أبو هلال العسكري فى كتاب الصناعتين ن خطأ الوصف قول كعب بن زهير ضخم مقلدها لان النجائب توصف برقة المذبح اهو وقد كرر هذا الوصف اذ قال فى البيت بعده غلبا * على ماسيأتي (قوله عبل مقيدها) اعرابه كاعراب ضخم مقلدها والعبل كالضخم وزنا ومعنى وفرس عبل الشوي أي غليظ القوائم وقد عبل بالضم عبالة كضخم ضخامة والانثى عبلة وجمعها عبال وجمع العبلة أيضا عبلات بالاسكان وروى فعم وهو كالضخم والعبل وزنا ومعنى وفعله بالضم كفعلهما ومصدره الفعامة والفعومة وافعمته ملأته وقالوا سيل مفعم بفتح العين على المجاز وهو عكس عيشة راضية وحقيقتها سيل مفعم بالكسر لانه مالىء لا مملوء وعيشة مرضية (قوله مقيدها) أي موضع القيد منها وذلك انها اذا كانت أطرافها غليظة كان ذلك أقوى لها على السير (وههنا مسائل) * الاولى ان صيغة المفعول مما زاد على ثلاثة يأتى مصدرا نحو ومزقناهم كل ممزق أي كل تمزيق وزمانا كقوله

* الحمد لله ممسانا ومصبحنا * أي وقت امسائنا وأصباحنا ومكانا نحو رب ادخلني مدخل صدق الآية جاء فى التفسير ان مدخل صدق المدينة ومخرج صدق مكة والسلطان النصير الانصار ومنه

الفحل الاناث من الابل المنسوبة للفحل المعد للضراب وعن الداخلة على بنات الفحل بمعنى على وهي متعلقة بتفضيل ويصح ابقاؤها على بابها وتكون متعلقة بمحذوف تقديره متميزة أو ممتازة وفى خلقها خبر مقدم وتفضيل مبتدأ مؤخر وسوغ الابتداء به تقدم الخبر وهو جار ومجرور أو الوصف المستفاد من التنوين أي تفضيل جليل فيه تبجيل وهو محتمل لان يراد منه انها مفضلة على غيرها فى عظم الخلقة والضخامة او فى حسن الخلقة والتكوين أو فيهما معا فعلى الاول يكون فيه اشارة الى أن بين أجزائها تناسبا وهو من صفات المدح بخلاف ما اذا كان بعض أجزائها لا يناسب بعضا فى الضخامة فانه مما يذم به وعلى الثاني يكون فيه اشارة الى أنها جمعت بين ضخامة العنق والقوائم التى هي دليل على قوتها فى السير وبين حسن التكوين وعلى الثالث تكون جمعت بين الضخامة وعظم الخلقة وحسن التكوين والحاصل أنه وصفها فى هذا البيت بثلاث صفات الاولى ضخامة العنق وذلك مؤذن بضخامة جميع هامتها وعظمها والثانية عظم قوائمها

وذلك دليل على قوتها فى السير وطاقتها على ثقل الحمل والثالثة تفضيلها على غيرها فى عظم الخلقة أو فى حسن التكوين أو فيهما معا وقد اشتمل الشطر الاول من هذا البيت على أنواع من البديع أحدها الجناس بين مقلدها ومقيدها وهو جناس غير مستوفى لتخالف الكلمتين فى اللام والياء ويسمي مثل ذلك اذا تقارب مخرج الحرفين جناسا مضارعا نحو وهم ينهون عنه وينأون عنه وفى الحديث الخيل معقود فى نواصيها الخير واذا لم يتقارب مخرجها جناسا لاحقا نحو ويل لكل همزة لمزة ثانيها التسجيع وهو اتفاق القرينتين فى الحرف الخاتم لها ثالثها الترصيع وهو توازي كلمات السجع ومن بديع ما جاء فيه قول الحريرى فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (قوله غلباء وجناء الخ) قد وصف تلك الناقة فى هذا البيت بستة اوصاف الاول غلظ العنق وهو المعنى بقوله غلباء بفتح الغين وسكون اللام وفتح الباء بعدها الف التانيث أى غليظة الرقبة ويقال للذكر أغلب وفعله غلب بكسر اللام يغلب بفتحها غلبا بفتحتين وأما غلب بفتح اللام يغلب بكسرها فكل منهما فعل الغالب قال تعالى وهم من بعد غلبهم سيغلبون وجمع غلباء واغلب غلب بضم فسكون قال تعالى وحدائق غلبا أي غليظة الاشجار فهو مستعار (٥٤) من غلظ العنق لغلظ الاشجار ويطلق على قصر العنق وميل فيه ولا يصح ارادة ذلك هنا لئلا يتناقض مع قوله قدامها ميل فانه كناية عن طول العنق كما سيأتى وقد تكرر منه الوصف بعظم العنق فى بيتين متواليين على ما علمته من تفسير كلامه الثاني عظم الوجنتين وهو المعنى بقوله وجناء بفتح الواو وسكون الجيم وفتح النون بعدها الف التانيث أى العظيمة الوجنتين وهما ما ارتفع من الخدين وهذا الوصف ممدوح فى الابل بخلافه فى الخيل فان الممدوح فيها قلة لحم الخدين وقيل الوجناء الناقة الشديدة أخذا من الوجين وهو ما صلب من الارض وعلى هذا فالوجناء موافقة لمعنى العذافرة فان المراد بها الصلبة العظيمة على ما تقدم الثالث كونها شديدة وهو المعنى بقوله علكوم بضم العين وسكون اللام وضم الكاف بعدها واو فى آخره ميم فمعناه الشديدة وهو من الاوصاف المختصة بالابل ويستوي فيه المذكر والمؤنث ولا شك ان كونها شديدة هو أعلى أوصافها فلذلك تكرر وصفها به الرابع كونها عظيمة الخلقة وهو المعنى بالمذكرة بضم الميم وفتح الذال وتشديد الكاف المفتوحة وفتح الراء وفى آخره تاء التانيث فالمعنى انها كالذكر من الاباعر فى عظم الخلقة وقد تكرر ايضا وصفها بكونها عظيمة الخلقة وقد يراد بالمذكرة ما هو أعم من عظيمة الخلقة فقد قال بعض الحكماء ان الذكر من الابل أحسن خلقا واقل عبثا وأعز نفسا واكرم عهدا وأدوم ودا واصبر على المكروه من الانثى الخامس كونها واسعة الجنبين وهو المعنى بقوله فى دفها سعة فان الدف بفتح الدال وتشديد الفاء الجنب والمراد جنباها جميعا فهو مفرد أريد به مثنى كما تقدم نظيره والسعة بفتح السين ضد الضيق وكونها واسعة الجنبين يستلزم كونها عظيمة الخلقة ففى هذا الوصف تأكيد للوصف قبله السادس كونها طويلة العنق وهو المعنى بقوله قدامها ميل فهو كناية عن طول العنق وقدام ضد خلف والميل بكسر الميم مد البصر وهو مقدر باربعة آلاف ذراع بالذراع الهاشمي وهو ذراع قدره بنو العباس حين خلافتهم ونسب الي بنى هاشم لكون بنى العباس منهم قال السيوطي وما وقع لبعض اصحابنا الشافعية من نسبته الى هاشم جد النبي صلى الله

قول كعب مقلدها ومقيدها وزعم أبو الحسن ان اسم مفعول الثلاثي يأتي أيضا مصدرا ولكنه مسموع كقولهم ماله معقول ولا مجلود اي لا عقل ولا جلد ﴿ المسألة الثانية ﴾ اشتمل هذا الشطر على انواع من البديع احدها الجناس وذلك فى مقلدها ومقيدها وهو جناس غير مستوفى اذا تخالفت الكلمتان فى الياء واللام ويسمى مثل ذلك اذا تقارب الحرفان جنسا مضارعا نحو وهم ينهون عنه وينأون عنه وفى الحديث الخيل معقود فى نواصيها الخير واذا لم يتقاربا جنسا لاحقا نحو ويل لكل همزة لمزة ومما مثل به صاحب الايضاح لذلك قوله تعالى واذا جاءهم امر من الامن وهو سهو اذ الراء والنون اما من مخرج واحد او من مخرجين متقاربين * النوع الثاني التسجيع وهو اتفاق القرينتين فى الحرف الخاتم لها والثالث الترصيع وهو توازن كلمات السجع ومن بديع ما جاء منه قول الحريري فهو يطبع الاسجاع بجواهر لفظه * ويقرع الاسماع بزواجر وعظه (قوله فى خلقها) البيت الخلق بمعنى الخلقة وعن بمعنى على وهى متعلقة بتفضيل وان كان مصدر الا انه ليس منحلا لان والفعل ومن ظن ان المصدر لا يتقدمه معموله مطلقا فهو واهم وعلى هذه فاللام من قول الحماسي

وبعض الحلم عند الجهل للذلة اذعان

متعلقة باذعان المذكور لا باذعان آخر مقدر قال

﴿ غلباء وجناء علكوم مذكرة * فى دفها سعة قدامها ميل ﴾

(قوله غلباء) أي غليظة الرقبة والذكر أغلب وجمعهما غلب ويكون فى الآدمي ايضا وقال أبو حاتم الغلب قصر العنق مع غلظه وقيل قصر وميل والذى يظهر لى انه مشترك بين الغليظ والمائل فالاول كما فى بيت كعب ولا يجوز ان يريد به القصر وحده ولا مع وصف آخر لئلا يتناقض مع قوله قدامها ميل فانه كناية عن طول عنقها كما سيأتي والثاني كقوله

مازلت يوم البين الوى صلبي * والرأس حتى صرت مثل الاغلب

ولا مدخل لمعنى المائل هنا وقد يستعار الغلب لغلظ غير العنق قال الله تعالى وحدائق غلبا اي انها غلبت الاشجار وفعل الاغلب غلب بالكسر يغلب بالفتح غلبا وفعل الغالب غلب بالفتح يغلب بالكسر غلبة وغلبا ايضا ومنه وهم من بعد غلبهم سيغلبون واما قول الفراء وابن مالك ان الاصل غلبتهم ثم حذفت التاء للاضافة كما فى قوله تعالي وأقام الصلاة وقوله

عليه وسلم نسب فيه الي الوهم ويحتمل انه اراد بقوله قد امهاميل كونها واسعة الخطوة جدا حتى كأنها قد رميل فعلى التفسير الاول يكون المصنف قد وصفها في أول البيت بغلظ العنق وفى آخره بطوله فاكمل لها الوصفين وفيه من تمام حسنها مالا يخفى وعلى التفسير الثاني يكون المصنف قد وصفها بسرعة السير التي هي المقصود الاعظم وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة غليظة الرقبة عظيمة الوجنتين أو صلبه شديدة عظيمة الخلقة كالذكر من الاباعر واسعة الجنبين طويلة العنق أو واسعة الخطوة (قوله وجلدها من أطوم الخ) أى وهذه الناقة جلدها كأنه من جلد أطوم لنعومته وملاسته فالمبنى على التشبيه واختلف فى الاطوم بفتح الهمزة فقال التبريزي انها الزرافة وقال فى المحكم هى سلحفاة بحرية غليظة الجلد وقيل سمكة فى البحر يشبه بجلدها جلد البعير الاملس (٥٥) ويتخذ من جلدها الخفاف للجمالين ويخصف بها النعال وحملها على السلحفاة أولي لوجهين أحدهما ان استعمال الاطوم فيها أكثر حتى أن الجوهرى وكثيرا من أهل اللغة لم يذكروا استعمالها فى الزرافة وثانيهما ان ملاسة جلد السلحفاة أكثر فالتشبيه بها أبلغ وجزم بعضهم بان أطوم فى البيت بضمتين وهى الحصون وقال انه شبه جلدها بالحصون القوية وقال ابن العربي الاطوم القصور ولا يخفى مافى ذلك من البعد وقوله لا يؤيسه طلح اي لا يذلله ولا يؤثر فيه قراد وفى نسخة التعبير بما بدل لا ويؤيسه بضم الياء المثناة التحتانية وفتح الهمزة وتشديد الياء المثناة التحتية المكسورة وضم السين المهملة يقال ايسه تاييسا ذلله وأثر فيه والطلح بكسر الطاء وسكون اللام فى آخره حاء مهملة هو القراد ويقال ايضا طليح بزيادة ياء وهذه الجملة اما خبر ثان للمبتدا وهو جلدها أو مستأنفة لبيان جهة التشبيه وقوله بضاحية المتنين أي فى الضاحية المنسوبة للمتنين فالباء بمعنى فى ويصح ان تكون بمعنى على والاضافه على معنى اللام وضاحية كل شيء ناحيته البارزة للشمس من ضحى يضحى اذا برز للشمس قال تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى أي لا تبرز للشمس والمراد بالمتنين ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال من عصب ولحم وهما تثنية متن بفتح الميم وسكون المثناة الفوقية وأل فى المتنين خلف عن الضمير على رأى من يجيز ذلك والمراد بضاحية المتنين ما يبرز من متنيها للشمس وانما خصها بالذكر لان القراد فى الشمس تقوي همته وتكثر حركته ويشتد امتصاصه للدم بخلافه فى غير الشمس فانه تضعف همته وتقل حركته وينقص امتصاصه للدم من البرد وقد وصف جلدها بانه لا يؤثر فيه القراد الكائن فى ضاحية متنيها فلان لا يؤثر فيه فى البرد والى

ان الخليط أجدوا البين فانجردوا * وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا

فمستغنى عنه (وقوله جناه) أى عظيمة الوجنتين أي طرفى الوجه أو أنها صلبة من الوجن وهو ما صلب من الارض (وقوله علكوم) أى شديدة ويختص بالابل ويستوي فيه الذكر والانثى ومثله العلجوم (وقوله مذكرة) أى أنها فى عظم خلقها تشبه الذكر من الاباعر والكلمات الاربع صفات لعذافرة أو أخبار عن هى محذوفة ويجوز نصبها وجرها على مامر (وقوله دفها) بفتح الدال مهملة أي جنبها وفيه انابة الواحدة عن الاثنين كما مر فى الذفرى (وقوله سعة) هو بفتح السين وكان القياس الكسر كالعدة والزنة والهبة ولكنهم بما نحوا عن هذا المصدر لفتحها فى المضارع كالسعة والضعة وهو مبتدأ مؤخر أو فاعل بالظرف لاعتماده على ماسبق من مخبر عنه أو موصوف (وقوله قد امهاميل) يصفها بطول العنق ويجوز فى قدامها النصب وهو الاصل والرفع على حد ارتفاعه فى قول لبيد بن ربيعة رضي الله عنه فى معلقته التي أولها

عفت الديار محلها فمقامها * ٧ فغدت كلا الفرجين تحسب أنه * مولى المخافة خلفها وأمامها

الفرج والثغر موضع المخوف والمولى هنا الولى ومثله فان الله هو مولاه والمراد بمولى المخافة الموضع الذي يخاف منه وكلا ماظرف لغدت وهو الارجح وامامبتدا خبره مابعده والجملة حال وخلفها اما بدل من مولى واما خبر عنه والجملة خبر لان وأما خبر لمحذوف تقديره هما وقال حسان رضي الله عنه

نصرنا فما تلقى لنا من كتيبة * مدى الدهر الا جبرئيل امامها

والقوافى مرفوعة وانما استشهد على جواز رفع الامام لان بعض المصريين وهم فيه وزعم أنه لا يتصرف قال ﴿ وجلدها من أطوم ما يؤيسه * طلح بضاحية المتنين مهزول ﴾

أى أن جلدها قوي شديد الملاسة لسمنها وضخامتها فالقراد المهزول من الجوع لا يثبت عليها ولا يلتزق بها وقوله من أطوم جزم التبريزي بان الاطوم الزرافة وان الجامع بينهما الملاسة وعلى هذا هو بفتح الهمزة ولا يتعين ما قاله بل يجوز أن يريد به السلحفاة البحرية وهذا أولى لوجهين أحدهما أن استعمال الاطوم بهذا المعنى كثير بخلاف استعماله بمعنى الزرافة فانه قليل حتى أن الجوهري وصاحب المحكم كثيرا من أهل اللغة لم يذكروه والثانى أن ملاسة جلد السلحفاة أكثر فالتشبيه بها أبلغ ولو أنه قال مشبهة بجلد الزرافة لقوته وملاسته كان التخصيص بالزرافة متجها وفى المحكم الاطوم سلحفاة بحرية غليظة الجلد وقيل سمكة غليظة الجلد فى البحر يشبه بها جلد البعير الاملس ويتخذ منها الخفاف للجمالين ويخصف بها النعال وقيل الاطوم القنفذ والبقرة وقيل انما سميت بذلك على التشبيه بالسمكة لغلظ جلدها اه والتقدير وجلدها كجلد اطوم وجزم عبد اللطيف بان الاطوم فى البيت بضمتين وقال شبه جلدها بالحصون لقوته اه ولا خفاء بما فى تشبيه الجلد بالحصون من البعد ومما يزيده بعدا انه قال من أطوم ولم يقل شبه

وقوله مهزول صفة لطلح أى مهزول من الجوع واذا كان لا يستطيع التأثير فيه مع شدة الجوع التى يكون فيها أشد انهما كا على امتصاص الدم وا كثر ولعا بذلك كان لا يؤثر مع الشبع من باب اولى لانه مع الشبع لا ينهمك على امتصاص الدم ولا يكثر ولوعه به وحاصل معنى البيت أن جلد هذه الناقه فى غاية النعومة والملاسة فلا يؤثر القراد المهزول من الجوع فيما برز للشمس من ناحيتى صلبها عن يمين وشمال (قوله حرف الخ) اي هى حرف الخ فحرف خبر لمبتدا محذوف تقديره هى ويحتمل انه صفة لعذافرة والمعنى على التشبيه فالتقدير مثل حرف أو كحرف بملاحظة ان الكاف اسم بمعنى مثل ولا يحسن أن تضمر الكاف الحرفية لضعف حرف الجر أو انه جعلها نفس الحرف مبالغة والمراد بالحرف هنا حرف الجبل وهو القطعة الخارجة منه وتشبيهها به فى القوة والصلابة وأما احتمال ارادة حرف الخط وتشبيهها به فى الضمور والدقة فينافيه ما تقدم من وصفها بعظيم الخلقة وسعة الجنبين وغير ذلك قال الشاعر وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط أى ورب ناقة كحرف الجبل فى الصلابة والشدة كنون فى الضمور والدقة تحت رجل يضرب رئتها يقال رأيته اذا ضربت رئته ولم يكن برافق فى سيره يقال دلى فى سيره اذا رفق يقصد رسم الدار حال كونه قد غيره النقط بمعنى المطر وقوله أخوها أبوها من مهجنة وعمها خالها لما صدر البيت بقوله حرف وتقدم ان المراد تشبيهها به فى القوة والصلابة اتبعه بذكر خلوص نسبها بقوله أخوها أبوها وعمها خالها وهو يحتمل لان يكون المراد أن أخاها يشبه أباها فى الكرم وان عمها يشبه خالها فى ذلك وعلى هذا فيكون فى ذلك اشارة الى أنها موصوفة بكرم النسب وجودة الاصل ويحتمل أيضا لان يكون المراد ان أخاها أبوها حقيقة وان عمها خالها كذلك وصور أبو على الفارسي قوله أخوها أبوها بان ناقة أتت بفحل نضر بها فاتت بهذه الناقة فاخوها وهو ذلك الفحل أبوها وصور قوله وعمها خالها ارادة بان يضرب أبو أبيها أم أمها فتأتي ببعير فعمها وهو ذلك البعير خالها وصورتهما معا أن يضرب فحل بنته فتأتي ببعيرين فيضرب أحدهما أمه فتأتي بناقة فاحد البعيرين أخوها وأبوها وهو الذى ضرب أمه فاتت بتلك الناقة فهو أخوها من أمها وأبوها والبعير الثاني عمها لانه أخو أبيها لابيه وأمه وخالها لانه أخو أمها لابيها وعلى هذا يكون فى ذلك اشارة الي كمال قوتها وصلابتها وغاية كرمها ونجابتها لان البهائم الي قرابتها أشهى منها الي غيرها ومتي كانت الشهوة اكمل كان الولد اقوى وأنجب فتقارب الانساب مدح فى الابل لانه فيها سبب للقوة والنجابة بواسطة كثرة الشهوة فى القرابات بخلافه فى الآدميين فانه سبب للضعف لان شهوة الانسان انما تتحرك وتثور بالنظر واللمس للامر الجديد الغريب اما المعهود الذي دام النظر اليه فلا تتحرك الشهوة ولا تثور بالنظر واللمس له

أطوم ولا يحسن أن يقال جلدها من حصن أو قصر ومفرد الاطوم أطم بضمتين وهو الحصن المبنى بالحجارة وقيل كل بيت مربع مسطح وجمعه فى القلة آطام قال الاعشى

فلما أتت آطام جو وأهله * أنيخت فالقت رحلها بفنائها

والكثير الاطوم وقال ابن الاعرابي الاطوم القصور وقوله يؤيسه أي يذلله ويؤثر فيه يقال آس أيسا مثل سار سيرا بمعنى لان وذل وأيسه تأييسا أي لينه وذلله قال المتلمس تطيف به الايام ما يتأيس * أى ما يتأيس ولا يتغير (وقوله طلح) فاعل يؤيسه وهو بكسر الطاء القراد ويقال أيضا طليح وأصل الطلح والطليح المعى من الابل وغيرها قالت العرب راكب الناقة طليحان أي أحد طليحين أو راكب الناقة والناقة طليحان وقال الحطيئة يذكر ابلا وراعيها

اذا نام طلح أشعث الرأس خلفها * هداه لها أنفاسها وزفيرها

وجملة ما يؤيسه طلح أما خبر ثان لجلدها أو حال من ضمير الظرف أو مستأنفة لبيان جهة التشبيه على تقدير سؤال وقوله ضاحية اسم فاعل من ضحيت بالكسر تضحى بالفتح اذا برزت للشمس قال عمر ابن أبي ربيعة

رأت رجلا أما اذا الشمس عارضت * فيضحى وأما بالعشى فيخصر

وقال الله تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعري وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى (قوله المتنين) يريد به متني ظهرها أى ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال من عصب ولحم والمتن يذكر ويؤنث وال فى المتنين خلف عن الضمير وضاحية المتنين مثل حسنة الوجه والمراد ما برز من متنها للشمس وقوله مهزول صفة لطلح وهذا البيت وقع فى شعر الشماخ واسمه معقل بن ضرار بن حرملة وهو صحابي مثل كعب رضي الله عنهما الا أنه قال * طلح بضاحية الصيداء مهزول * ونظير ذلك ان امرأ القيس قال

وقوفا بها صحبي على مطيهم * يقولون لا تهلك أسى وتحمل

وقال طرفة كذلك الا أنه قال وتجلد لان قوافى معلقته دالية ودون هذا قول أبي نواس وهو بنون مضمومة بعدها واو لا همزة كما يقول بعض من لا معرفة له لانه من ناس ينوس اذا تحرك لقب بذلك لانه كان ذا ذؤابة تنوس على ظهره

فتي يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور

وقال الاسود اليربوعى قبله فتي يشترى حسن الثناء بماله * اذا السنة الشهباء أعوزها القطر وهذا ونحوه محتمل للاخذ ولتوارد الخواطر قال

﴿ حرف أخوها أبوها من مهجنة * وعمها خالها قوداء شمليل ﴾

(قوله حرف) يحتمل لاعرابين كونه خبر المحذوف أى هى وكونه صفة لعذافرة ويحتمل لمعنيين

و لذلك قال بعضهم ان اردت الانجاب فانكح غريبا * والى الاقربين لا تتوصل فانتقاء الثمار طيبا وحسنا * ثمر غصنه غريب موصل وفى الحديث اغتربوا ولا تضووا والضوى بوزن الهوى هو الضعف والهزال فى الولد وذلك بتزوج القرابات والعرب بمدح بضد ذلك قال الشاعر فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوي وقد يضوي رذيل الاقارب وقد روي ان رسول الله ﷺ قال لا تنكحوا القرابة القريبة فان الولد يخلق ضاويا والضاوي الشديد النحافة وقد أثبت لتلك الناقة كرم الاصل بقوله من مهجنة وهو صفة لحرف ومن بيانية أو تبعيضية فالمعنى هى ناقة مهجنة وبعض نياق مهجنة والمهجنة بضم الميم وفتح الهاء (٥٧) وتشديد الجيم المفتوحة وفتح النون وفى آخره تاء التأنيث كريمة الابوين من الابل والهجائن كرائم الابل فالتهجين مدح فى الابل واما فى الآدميين فهو ذم لان معناه فيهم أن يكون الاب عربيا والام أمة فيقال للرجل حينئذ هجين وان كان الامر بالعكس قيل رجل مقرف وفلنقس بوزن سفرجل أوله فاء ورابعه قاف قال الراجز

العبد والهجين والفلنقس
ثلاثة فايهم تلتمس

وقال آخر

كم بجود مقرف نال العلا
وكريم بخله قد وضعه

ثم وصفها بصفتين من صفات كرام الابل الصفة الاولى طول الظهر والعنق وهو المعنى بقوله قوداء بفتح القاف وسكون الواو وفتح الدال وفى آخره الف التأنيث وهى الطويلة الظهر والعنق وهى من صفات الابل التى يتمدح بها والصفة الثانية الخفة والسرعة وهو المراد بقوله شمليل بشين معجمة مكسورة وميم ساكنة ولام مكسورة

(٨ - بانت سعاد) بعدها ياء وفى آخره لام أيضا وهى الخفيفة السريعة وهى من أحد الاوصاف فى الابل فان قيل قد تقدم وصفها بطول العنق فى قوله قدامها ميل وتقدم وصف الخفة والسرعة فى قوله النجيبات المراسيل على ما تقدم أجيب بان الذي تقدم فى قوله قدامها ميل طول العنق فقط على أحد الاحتمالين والذي ذكره هنا بقوله قوداء طول الظهر والعنق معا والشيء مع غيره فى نفسه ووصف الخفة والسرعة الذي تقدم فى قوله النجيبات المراسيل راجع الى الوصف العام فى الابل والذي ذكره هنا بقوله شمليل الوصف المقصور على هذه الناقة المخصوصة وحاصل معنى البيت أن هذه الناقة فى غاية الصلابة كريمة الاصل خالصة النسب طويلة الظهر والعنق خفيفة سريعة

ارادة حرف الجبل وهو القطعة الخارجة منه اي انها مثله فى القوة والصلابة وارادة حرف الخط اى انها مثله فى الرقة والضمور ومحتملة لثلاثة تقادير احدها اضمار الكاف للمبالغة فى معنى التشبيه والثاني أن يكون جعلها نفس الحرف مبالغة وعليهما فلا ضمير فيها الثالث أن يؤول الحرف بصلبة على المعنى الاول ومهزولة على المعنى الثاني وعلى ذلك ففيه ضمير لانه قد أول بالمشتق فاعطى حكمه والاوجه الثلاثة فى نحو قولك زيد أسد (وقوله أخوها أبوها وعمها خالها) محتمل لمعنيين أحدهما التشبيه أى أن أخاها يشبه أباها فى الكرم وعمها يشبه خالها فى ذلك والثاني التحقيق وانها من ابل كرام فبعضها يحمل على بعض حفظا للنوع ولهذا النسب صور منها ان فحلا ضرب بنته فاتت ببعيرين فضرب احدهما امه فاتت بهذه الناقة وقال الفارسي فى تذكرته صورة قوله اخوها أبوها ان امها اتت بفحل فالقى عليها فاتت بهذه الناقة وأما عمها خالها فيتجه على النكاح الشرعي تزوج ابو أبيك بأم أمك فولدت لها غلام فهو عمك وخالك الا انه عم لاب وخال لام صورة اخري تزوجت اختك من أمك اخاك من أبيك فولدت لها ولد فانت عم هذا الغلام أخو ابيه وخاله لانك أخو أمه من أمها اه ولا ينطبق تفسير أبي على رحمه الله على ما ذكرت فى البيت لان الشاعر لم يصف الناقة باحد النسبين بل بهما معا (وقوله من مهجنة) المهجنة الناقة الكريمة أى من ناقة مهجنة أو من نياق مهجنة والهجائن كرائم الابل وأصل الهجنة غلظ الخلق كغلاظ البراذين (وهنا تنبيه على أمرين) أحدهما ان التهجين مدح فى الابل وذم فى الآدميين لان معناه فى الابل كرم الأبوين وفى الآدميين ان يكون الاب عربيا والام امة يقال منه رجل هجين وان كان الامر بالعكس قيل رجل مقرف وفلنقس بوزن سفرجل أوله فاء ورابعه قاف قال

العبد والهجين والفلنقس * ثلاثة فايهم تلتمس

وقال

كم بجود مقرف نال العلا * وكريم بخله قد وضعه

يجوز فى مقرف الجر باضافة كم والنصب على التمييز حملا للخبرية على الاستفهامية كراهة الفصل بين المتضايفين ومن الملح ان اعرابيا جاء الى ابن شبرمة القاضي فقال مسئلة فقال هات فقال ان أبي مات وخلفني وشقيقا لي وخط باصبعه فى الارض خطين متجاورين ثم قال وخلف هجينا وخط خطا آخر بعيدا ثم قال ولم يخلف غيرنا فاقسم المال بيننا قال هو بينكم اثلاثا فقال سبحان الله كانك لم تفهم المسألة فقال اعدها على فاعادها فاجابه كالاول فقال أيرث الهجين كما ارث قال نعم فقال لقد علمت والله أن خالاتك بالدهناء قليلة فقال لا يضرني ذلك عند الله شيأ الثاني ان تقارب الانساب مدح فى الابل لانه انما يكون فى الكرائم يحمل بعضها على بعض حفظا لنوعها كما قدمنا وهو ذم فى الناس لانه فيهم سبب للضعف وفى الحديث اغتربوا لا تضووا أى ان تزوج القرائب يوقع الضوي فى الولد والضوي بالضاد المعجمة بوزن الهوى مصدر ضوى بالكسر يضوي بالفتح بمعنى الضعف والهزال ولذلك يمدحون بضد ذلك كقول راجز

ان بلالا لم تشنه أمه * لم يتناسب خاله وعمه

(قوله يمشي القراد عليها الخ) اى يمشي القراد على تلك الناقة والقراد بضم القاف واحد القردان كغلام واحد الغلمان وهو حيوان معروف يلزق بالدابة وقوله ثم يزلقه بضم الياء وكسر اللام من الازلاق وهو بوزن افعال من الزلق الذى هو نقيض ثبات القدم فالمعنى ثم يسقطه ثم هنا لمجرد الترتيب وليس فيها معنى التراخى كما فى قول الشاعر كهز الرديني تحت العجاج * جري فى الانابيب ثم اضطرب اذ لا يتطاول مشى القراد عليها ويتراخى ازلاقه عنه كما انه (٥٨) لا يتأخر اضطراب الرمح عن زمن جريان الهز فى انابيبه وقوله منها أي عنها فمن بمعنى عن مثلها فى قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أي عن ذكر الله ويؤيده أنه روي عنها وخير ما فسرت بالوارد وقوله لبان فاعل يزلقه واللبان بفتح اللام هنا الصدر وقيل وسطه وقيل ما بين اليدين يكون للانسان وغيره واما بكسر اللام فهو الرضاع يقال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبن أمه وبضمها هو الصمغ المسمى بالكندر وان زدت عليها الهاء فقلت لبانة كان معناها الحاجة قال ابن هشام كذا اطلقه الجوهرى وغيره وقيده صاحب المحكم من غير فاقة وقوله واقراب عطف على لبان والاقراب بفتح الهمزة وسكون القاف وفتح الراء وبعد الالف باء موحدة الخواصر وهى جمع قرب بمعنى الخاصرة كأبعاد جمع بعد والمراد بالجمع المثنى كما فى قوله تعالى فقد صغت قلوبكما وقوله زهاليل صفة لقوله لبان واقراب معا والزهاليل بفتح الزاى والهاء وبعد الالف لامان بينهما ياء الملس وهى جمع زهلول كعصفور وهو الشيء الاملس فان قيل لم خص الصدر والخواصر بازلاق القراد دون غيرهما من سائر بدنها أجيب بان هذين الموضعين أخشن ما يكون فى الناقة لماستهما الارض اذا بركت ومع ذلك يزلقان القراد لملاستهما ويفهم غيرهما بالطريق الاولي وحاصل معنى البيت أن تلك الناقة يمشي القراد عليها ولا يثبت بل يسقط لانها فى غاية الملاسة وذلك مما يستحسن فى أوصاف الابل وهذا البيت فى الحقيقة مؤكد لقوله وجلدها من أطوم فى البيت المتقدم فلو ذكره بجنبه لكان أولى كما قاله

وقول الشاعر

فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى رديل الاقارب

والجار والمجرور خبر عن الناقة لا عن أخويها لان الكلام ليس مسوقا له (قوله قوداء) هى الطويلة الظهر والعنق والذكر أقود وجمعهما قود (وقوله شمليل) الشميل والشملال بكسر اولها وسكون ثانيهما والشملة بكسرها وتشديد الثالث الخفيفة السريعة يقال شملل أي اسرع واللام زائدة للالحاق بدحرج ولهذا لم تدغم لئلا يفوت موازنته للملحق به قال

﴿يمشي القراد عليها ثم يزلقه * منها لبان وأقراب زهاليل﴾

يعنى أن جلدها أملس لسمنها فالقراد لا يثبت عليها وهذا تأكيد لقوله وجلدها من أطوم البيت فلو ذكره الي جانبه لكان اليق والقراد واحد القردان كالغلام والغلمان وثم لمجرد الترتيب وليس فيها معنى التراخى مثلها فى قوله

كهز الرديني تحت العجاج * جرى فى الانابيب ثم اضطرب

اذ ليس المراد تطاول مشي القراد عليها وتراخى الازلاق عنه كما انه ليس المراد تأخر اضطراب الرمح عن زمن جريان الهز فى انابيبه ومن هنا اما بالابتداء الغاية وأما بمعنى عن مثلها فى قوله تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله ويؤيده انه قرىء عن ذكر الله وتحتمل من فى الآية السببية أي من أجل ذكره لانهم اذا ذكر الله عندهم اشمأزوا وازدادت قلوبهم قسوة واللبان بفتح اللام ويكون بكسرها وبضمها ومعانيهن مختلفة فاما المفتوحها وهو المذكور فى البيت فقيل الصدر وقيل وسطه وقيل ما بين الثديين يكون للانسان وغيره وقيل الصدر من ذي الحافر فقط فعلى هذا يكون ذكره هنا استعارة كقوله

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتى * ولكن زنجى عظيم المشافر

وانما المشفر للبعير واما المكسورها فهو الرضاع يقال هو أخوه بلبان أمه ولا يقال بلبن أمه وأما المضمومها فهو الصمغ المسمى بالكندر فان زدت على المضمومها ه فقلت لبانة فهى الحاجة كذا أطلق الجوهرى وغيره وقال صاحب المحكم الحاجة من غير فاقة ولكن من همة والجمع لبان كحاجة وحاج ولبانات ومنه قول الاعشي ميمون بن قيس ويكنى أبا بصير وكان أعمى

هريرة ودعها وان لام لائم * غداة غد أم أنت للبين واجم

لقد كان فى حول ثواء ثويته * تقضى لبانات ويسأم سائم

الواجم الشديد الحزن حتى ما يطيق الكلام يقال منه وجم بالفتح وجوما فان زدت على لبان بالضم نونا بعد اسكان بائه فقلت لبنان فهو جبل فان حذفت النون من هذا فقلت لبنى فهى شجرة لها لبن واسم من أسماء النساء وكذلك مصغره ومنه قول عدي بن زيد

يا لبينى أوقدي نارا * ان من تهوين قد حارا

رب نار بت أرمقها * تقضم الهندى والغارا

عندها ظبي يؤرثها * عاقد فى الجيد تقصارا

تقضم بفتح الضاد المعجمة تأكل والغار نوع من الشجر له دهن والتقصار بكسر التاء قلادة ولبينى اسم امرأة ابليس وبها يكنى (وقوله واقراب) أي خواصر ومفردها قرب بوزن القرب ضد البعد ولكن سمع فيه أيضا قرب بضمتين كما سمع فى عسر ويسر السكون والضم ولا نعلم ذلك مسموعا فى ضد القرب ومن أجاز فى نحو قفل

ابن هاشم وقال بعضهم قد يقال الغرض من قوله وجلدها من اطوم الخ وصفها بالصلابة بحيث أن الطلح الذي هو القراد لا يؤثر فيه لصلابته وهذا قدر زائد على ما ذكره في هذا البيت وهو ملاسة جلدها بحيث يزلق القراد عنها (قوله عيرانة الخ) اي هي عيرانة الخ والعيرانة بفتح العين المهملة وسكون الياء وفتح الراء وبعد الالف نون وفي آخره تاء التانيث المشبهة عير الوحش اي حماره في سرعته ونشاطه وصلابته وقوله قذفت بالنحض عن عرض أي رميت باللحم من كل جانب من جوانبها فقذفت بصيغة المجهول بمعنى رميت ويروى بالتشديد للتكثير كما يروى بالتخفيف والنحض بفتح النون وسكون الحاء وبالضاد المعجمة اللحم حتى انه يروى باللحم بدل بالنحض وعن بمعنى من والعرض بضمتين أو بضم فسكون الجانب والمراد منه هنا العموم بقرينة سياق المدح لان النكرة في سياق الاثبات قد تعم بالقرينة وقوله مرفقها عن نبات الزور مفتول اي مرفق تلك الناقة مصروف عما حوالى الصدر من الاضلاع وغيرها فتكون مصونة عن الضغط والزلق لبعد مرفقها عن أضلاعها فلا يصطك بها لخفتها ونشاطها ومرفقها مبتدأ ومضاف اليه ومفتول خبره وعن نبات الزور متعلق به والمرفق بكسر الميم وفتح الفاء وعكسه معروف وهو مما قام فيه المفرد (٥٩) مقام المثنى لان لها مرفقين فالاضافة في مرفقها للجنس الصادق بالمتعدد ونبات الزور ما يتصل بالصدر مما حوله من الاضلاع وغيرها فالزور بفتح الزاي الصدر وقيل وسطه وقيل غير ذلك كما في القاموس والمفتول اسم مفعول من الفتل بالفاء وهو الصرف يقال فتل وجهه عنهم صرفه كما في القاموس ايضا والحاصل انه وصف الناقة في هذا البيت بثلاث صفات الصفة الاولى الصلابة بحيث انها تشبه عير الوحش في صلابته وقوته فانه من أشد الحيوانات صلابة وقوة وهذا هو المعنى بقوله عيرانة وقد تكرر له وصف الناقة بالصلابة في غير موضع الا أنه بالفاظ مختلفة فلذلك حسن التكرار وقد يريد بذلك التأكيد فان هذا الوصف هو المقصود الاعظم من صفات الابل الصفة الثانية للسمن وهو المعنى بقوله قذفت بالنحض عن عرض وقد تكرر له هذا الوصف أيضا لكنه بالفاظ مختلفة فاذا كانت سمينة ولا ينقص سمنها مع طول السير وشدته كانت في غاية النفاسة التي تكون خارقة للعادة الصفة الثالثة تجافي مرفقيها عما حوالى صدرها وهو المعنى بقوله مرفقها عن نبات الزور مفتول على ما تقدم تفسيره فاذا كان مرفقها متجافيا عما حوالى صدرها كان ذلك اسلم لها في السير عن التعب وابعد لها فيه عن العطب (وقوله كانما فات عينيها الخ) حاصله انه شبه وجهها بالبرطيل في القوة والصلابة والاستطالة والصورة في الجملة على ما سيأتي فكان اداة تشبيه وما اسم موصول بمعنى الذي وهي اسم كان وجملة فات صلة والعائد الضمير المستتر في فات وعينيها مفعول ومذبحها معطوف على عينيها ومن خطمها بيان لما ومن اللحيين معطوف على من خطمها وبرطيل خبر كان قال الاصمعي الوجه كله فات العينين الا الجبهة فانها تكون فوقهما والمذبح والنحر واحد والخطم بفتح الخاء المعجمة قال أبو عبيدة الانف وردانه لا يختص بالانف لانه الموضع الذي يقع عليه الخطام فيشمل الانف وغيره ونظيره تسميتهم الموضع الذي يقع عليه الرسن مرسنا واللحيان بفتح اللام العظمان اللذان تنبت عليهما الاسنان السفلى من الانسان وغيره من بقية الحيوانات والبرطيل بكسر الباء معول من حديد أو حجر مستطيل

قفل قفل بضمتين جاز ذلك فيه (قوله زهاليل) صفة للبان وأقراب معا ومعناها ملس والواحد زهلول قال الشنفري في لاميته وتعرف بلامية العرب

اقيموا بني امي صدور مطيكم * فاني الى قوم سواكم لاميل
فقد حمت الحاجات والليل مقمر * وشدت لطيات مطايا وأرحل
وفي الارض منأى للكريم عن الاذى * وفيها لمن رام العلا متعزل
ولي دونكم اهلون سيد عملس * وأرقط زهلول وعرفاء جئيل
هم الاهل لا مستودع السر ذائع * لديهم ولا الجاني بما جر يخذل

وهي من غرر القصائد كثيرة الحكم والفوائد وأميل في البيت الاول بمعنى فاعل كاعلم في قوله تعالى هو أعلم بكم اذ انشأكم ودونكم ظرف للاستقرار أو حال من أهلون وكان في الاصل صفة له فعلى هذا فمعناه غيركم والسيد الذئب وعملس بوزن سفرجل من أسماء الذئب واشتقاقه من العملة وهي السرعة والارقط النمر والعرفاء من صفات الضبع والجيئل من أسمائها فهو بدل من عرفاء ولا يجوز ان يعرب بيانا لانها علم وما قبلها نكرة وسيد وما بعده بدل تفصيل من أهلون وجاز جمع أهل بالواو والنون مع أنها لما لا يعقل وهي الحيوانات المذكورة لانه أقامها مقام من يعقل في الاهلية قال

﴿عيرانة قذفت بالنحض عن عرض * مرفقها عن نبات الزور مفتول﴾

العيرانة بفتح العين المهملة المشبهة في صلابتها عير الوحش قذفت أي رميت ويروى أيضا قذفت بالتشديد للتكثير والنحض بالحاء المهملة والضاد المعجمة كاللحموز نا ومعنى وامرأة نحيضة كثيرة اللحم ويروى قذفت باللحم والعرض بضم المهملتين وباسكان الثانية الجانب والناحية أي رميت باللحم من جوانبها ونواحيها وقال التبريزي العرض الاعتراض يقول انها سمنت عن اعتراض كانها تعترض في مرتعها والزور قال التبريزي الصدر وقال عبد اللطيف وسطه وقال الجوهري أعلاه ونباته ما حوله وما يتصل به من الاضلاع أي ان مرفقها جاف عن صدرها فهي لا يصيبها ضاغط ولا حاز والمفتول المدمج المحكم قال ﴿كانما فات عينيها ومذبحها * من خطمها ومن اللحيين برطيل﴾

والتشبيه بالاول في القوة والصلابة وبالثاني في الاستطالة والصورة في الجملة وحاصل المعنى ان وجهها الذي بين عينيها ومذبحها وقد بينه بقوله من خطمها ومن اللحيين يشبه المعول من الحديد في القوة والصلابة أو الحجر المستطيل في الاستطالة والصورة وفي الجملة في نسخة قاب بدل قات وقاب الشيء بقاف وباء موحدة قدره وعلى هذه النسخة فما كافة لكان عن العمل وقاب مبتدأ مضاف لعينيها ومذبحها ومن في قوله من خطمها ومن اللحيين للابتداء واضافة القاب العينين والمذبح لادنى ملابسة والمراد قاب وجهها المنتهي الى عينيها وقاب عنقها المنتهي الى مذبحها وبرطيل خبر المبتدأ لكن على تقدير مضاف اى قدر برطيل بمعنى المعول من حديد بالنظر للوجه وبمعنى الحجر المستطيل بالنظر للعنق فهو على التوزيع وحاصل المعنى على هذه النسخة كانما قدر وجهها المنتهي الى عينيها حال كونه مبتدأ من خطمها قدر معول من حديد في القوة والصلابة وقدر عنقها المنتهي الى مذبحها حال كونه مبتدأ من اللحيين قدر حجر طويل في الطول والصورة في الجملة ولا يخفى ما في ذلك من التكلف (قوله تمر (٦٠) مثل عسيب النخل الخ) أى تمر الناقة ذنبا مثل جريد النخل في الطول والغلظ وهذا من الصفات المحمودة التي تكون في الابل فالفاعل ضمير يعود على الناقة وتمر بضم التاء مضارع أمر ومثل صفة لموصوف محذوف وهو المفعول وعسيب النخل جريده الذي لم ينبت عليه الخوص فان نبت عليه سمي سعفا واما عسيب في قول امريء القيس

اجارتنا ان الخطوب تنوب
واني مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا انا غريبان ههنا
وكل غريب للغريب نسيب
فان تصلينا فالقرابة بيننا
وان تهجرينا فالغريب غريب

فهو اسم جبل دفن عنده امرؤ القيس وقوله ذا خصل أي صاحب لفائف من الشعر فذا بمعنى صاحب وخصل بضم الخاء وفتح الصاد اللفائف من الشعر وهي جمع خصلة بضم الخاء وسكون الصاد وفي ذلك اشارة الى كونه كثير الشعر وهو من الصفات المحمودة في الابل وقوله في غارز أي على ضرع ففي بمعنى على والمراد من امريء الغارز هنا الضرع وجعل التبريزي أصله من قولهم غرزت الناقة بفتح الراء تغرز بضمها اذا قل لبنها قال ابن هشام ومثله السيوطي ولا أدري ما معنى هذا الاصل والجار والمجرور متعلق بتمر وقوله لم تخونه الاحاليل أي لم تنقصه مخارج اللبن لكون الناقة حائلا لا تحلب وذلك اقوى لها على السير فالمقصود نفي الضعف عنها فالاحاليل هي مخارج اللبن لانها جمع احليل وهو مخرج اللبن وهذا هو المراد هنا ويطلق أيضا على مخرج البول وتخونه بفتح التاء والخاء وتشديد الواو المفتوحة وأصله تتخونه بتاءين حذفت احداهما فهو مضارع تخون بمعنى تنقص ومنه قول لبيد * تخونها نزولي وارتحالي * أى تنقص هذه الناقة نزولي عنها وارتحالي عليها وليس ببعيد أن يقال انما سمي ما يؤكل عليه خوانا بكسر الخاء وضمها لانه يتخون ما عليه أن ينتقص والتخوف بالفاء يأتي بمعنى التخون بالنون ومنه قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف أن تنقص ويأتي التخون بمعنى التعهد ومنه الحديث كان رسول الله ﷺ يتخوننا بالموعظة مخافة السآمة أى يتعهدنا بها وحاصل معنى البيت أن هذه الناقة تمر ذنبا مثل جريد النخل في الغلظ والطول صاحب لفائف من الشعر

(ما) في كأنما اسم بمعنى الذي موضعه نصب بكان والخبر قوله برطيل وقات قال أبو عمرو ومعناه تقدم وقال الاصمعي الوجه كله قات العينين الا الجبهة وقال هو ما انقطع من المذبح وقات العينين ومذبحها منصوب بالعطف على عينيها والمذبح والمنحر واحد والخطم قال أبو عبيد الانف ورد عليه ذلك فانه لا يختص بالانف بل هو الموضع الذي يقع عليه الخطام فيشمل الانف وغيره ونظيره تسميتهم الموضع الذي يقع عليه الرسن مرسنا وقد يستعمل في الآدمي كقول العجاج يصف امرأة

ازمان أبدت واضحا مفلجا * اغر براقا وطرفا أبرجا
ومقلة وحاجبا مزججا * وفاحما ومرسنا مسرجا

الابرج الذي بياضه محدق بالسواد كله فلا يغيب من سواده شيء يقال منه امرأة برجاء بينة البرج ورجل أبرج وجمعهما برج بوزن البرج واحد البروج ولم يسمع وصف الانف بالمسرج قبل العجاج واختلف أهل اللغة في معناه على ثلاثة أقوال أحدها أنه كالسراج في البريق والثاني انه محسن من قولهم سرج الله وجهه أى حسنه ولم يذكر صاحب المحكمة أن الثالث انه كالسيف السريجي في الدقة والاستواء وهو منسوب الى قين يقال له سريج ولم يذكر التبريزي غير هذا القول وقال الاصمعي ما كنت أعرف المسرج ولم أسمعه الا في بيت العجاج فسألت عنه أعرابيا فقال تعرف السريجيات يعني السيوف فقلت نعم فقال ذلك أراد انتهى وارجح الاقوال من حيث الصناعة الثاني لان صيغة المفعول لا تشتق من اسماء الاعيان كالسراج وشذ نحو قولهم مدرهم ولا من اسماء النسب كالسريجي وانما تشتق من الفعل وأرجحها من حيث المعنى الاخير لانه تفسير بامر يختص بالانف * واللحيان بفتح اللام العظمان اللذان تنبت عليهما اللحية من الانسان ونظير ذلك من بقية الحيوانات والبرطيل بكسر الباء معول من حديد وأيضا حجر مستطيل وصفها بكبر الرأس وعظمه قال

﴿ تمر مثل عسيب النخل ذا خصل * في غارز لم تخونه الاحاليل ﴾

(تمر) بضم المثناة من فوق مضارع أمر منقول بالهمزة من مر وفاعله ضمير الناقة ومثل صفة لمحذوف أى ذنبا مثل وعسيب النخل جريده الذي لم ينبت عليه الخلوص فان نبت عليه سمي سعفا واما عسيب في قول

لكونه كثير الشعر على ضرع لم تنقصه مخارج اللبن لكرنها لا تحلب فيكون ذلك أقوى لها على السير كما علمت (قوله قنواء الخ) أى هى قنواء الخ والقنواء بفتح القاف وسكون النون وفتح الواو وبالمد المحدودبة الانف واشتقاقها من القنا بوزن العصا وهو احديداب فى الانف ومنه قيل للرجل أقنى اذا كان محدودب الانف وقد عد الناظم هذا الوصف من الاوصاف المحمودة فى الابل لكن المنقول عن العرب ان القناعيب فى الابل كما هو عيب فى الخيل ويروي وجناء بدل قنواء ويلزم على هذه الرواية التكرار لتقدم هذا الوصف فى البيت الثامن عشر وهو قوله غلباء وجناء علكوم مذكرة الخ ويمكن دفع التكرار بانه تقدم تفسير الوجناء بمعنيين أحدهما الصلبة والثاني العظيمة الوجنتين فيجوز أن يكون قصد هناك المعنى الاول وهو الصلبة لان كلامه هناك فى عظم خلقها والمناسب له (٦١) الصلابة والقوة وقصد هنا المعنى الثاني وهو العظيمة الوجنتين لان كلامه هنا فى حسن الوجه والرأس والمناسب له عظم الوجنتين لا يقال يعكر على ذلك قوله وفى الخدين تسهيل لانا نقول المراد بالوجنتين طرفا الخدين فيجوز أن يكون الخدان أسيلين مسترسلين وطرفاهما عظيمين ويكون كل منها معدودا من المحاسن وقوله فى حرتيها للبصير بها عتق مبين أي فى أذنيها للعارف بها كرم ظاهر فالحرتان بضم الحاء وتشديد الراء وبعدها تاء مثناة من فوق الاذنان وقد روى العسكري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال لاصحابه رضى الله عنهم ما حرتاها فقال بعضهم عيناها وسكت بعضهم فقال عليه الصلاة والسلام هما اذناها والبصير بها معناه العارف بها بحيث يكون له معرفة بكرام الابل والعتق بكسر العين وسكون التاء على الصواب وان ضبطه السيوطي وتبعه الجمل بفتح التاء وفى آخره قاف الكرم والمبين الظاهر فهو اسم فاعل من أبان بمعنى بان أي ظهر ولا يخفى ان قوله فى حرتيها خبر مقدم وعتق مبتدأ مؤخر ومبين صفة وللبصير متعلق بمبين وبها متعلق بالبصير وكانه يصفها بحسن أذنيها بحيث اذا تأملها من له معرفة بكرام الابل حكم عليها بانها من النوق الكرام ويستحسن فى الابل طول الاذنين فانه مما يدل على كرمها وقوله وفى الخدين تسهيل أى وفى خديها سهولة ولين لا خشونة ولا حزونة وقيل أي وفى خديها انحدار لا نتوء فيهما أسيلان لا ارتفاع فيهما وهذا من الصفات المحمودة فى الابل وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة محدودبة الانف أو عظيمة الوجنتين على ما تقدم من الروايتين للعارف بالابل الكرام كرم ظاهر فى أذنيها لحسنهما وطولهما فاذا تأملهما من له معرفة بكرام الابل ادرك فيها الكرم والنجابة وفى خدها سهولة وليونة أو انحدار

امرىء القيس اجارتنا ان الخطوب تنوب * واني مقيم ما أقام عسيب
اجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب
فان تصلينا فالقرابة بيننا * وان تهجرينا فالغريب غريب

فهو اسم جبل دفن عنده امرؤ القيس وذا صفة ثانية أو هو المفعول ومثل حال منه وكانت فى الاصل صفة له ثم تقدمت عليه والخصل جمع خصلة من الشعر وفى بمعنى على مثلها فى قوله تعالى فى جذوع النخل وقول الشاعر بطل كأن ثيابه فى سرحة * يحذى نعال السبت ليس بتوأم
والفارز معجم الطرفين والمراد به هنا الضرع وجعل التبريزي أصله من قولهم غرزت الناقة بالفتح تغرز بالضم اذا قل لبنها ولا أدري ما معنى هذا الاصل وتخونه أصله تتخونه أى تتنقصه يقال تخونني فلان حقي اذا تنقصه ومنه قول لبيد * تخونها نزولي وارتحالي * أى تنقص شحم هذه الناقة ولحمها وسئل ثعلب أيجوز أن يقال لما يؤكل عليه وهو الخوان بكسر الخاء وضمها انه انما سمي بذلك لانه يتخون ما عليه أى يتنقص فقال ليس ذلك ببعيد والمشهور انه معرب فلا اشتقاق له وجمعه اخونة وخون ويأتي التخوف بالفاء بمعنى التخون ومنه قوله تعالى أو يأخذهم على تخوف أي تنقص ويأتي التخون بمعنى التعهد وفى الحديث كان يتخوننا بالموعظة أحيانا مخافة السآمة علينا أي يتعهدنا بها ويأتي قريبا من معنى هذا التخول باللام وقد روي الحديث باللام ومعناه يأتينا بها شيأ بعد شيء من قولهم تساقطوا أخول اخول أى شيئا بعد شيء والاحاليل بالحاء المهملة جمع احليل وهو مخرج البول ومخرج اللبن من الثدى ومخرجه من الضرع وهو المقصود هنا يعني انها حائل لا تحلب وذلك أقوى لها على السير ونفى الضعف عن الناقة بنفيه عن ضرعها قال رحمه الله تعالى

﴿ قنواء فى حرتيها للبصير بها * عتق مبين وفى الخدين تسهيل ﴾

(القنواء) مؤنث الاقنى واشتقاقها من القنا بوزن العصا وهو احديداب فى الانف والحرتان الاذنان وقد روي العسكرى ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع هذا البيت قال لاصحابه ما حرتاها فقال بعضهم عيناها وسكت بعضهم فقال عليه الصلاة والسلام هما اذناها يقول اذا نظر البصير بالابل الى أذنيها وسهولة خديها بان له عتقها أي كرمها * ويروي وجناء بدل قنواء أى صلبة أو عظيمة الوجنتين وهذه هى الرواية التى جزم بها عبد اللطيف ويضعفها أنه يلزم عليها تكرار لان هذا الوصف قد تقدم فى قوله غلباء وجناء علكوم البيت ويرجحها ما قيل ان القنا عيب فى الابل والخيل ولذلك قال سلامة بن جندل يمدح فرسا ﴿ليس باسفى ولا أقنى ولا سغل * يسقى دواء قفى السكن مربوب﴾ الاسفى بالسين المهملة وبالفاء الخفيف الناصية والسغل باهمال الاول واعجام الثاني المكروه المضطرب الاعضاء وقيل المهزول والقفى بفتح القاف وكسر الفاء الشيء الذي يؤثر به الضيف والصبي والمراد بالدواء اللبن ووجه هذه التسمية أنهم يضمرون الخيل بسقيها اياه والسكن أهل الدار وفى الحديث

على ما تقدم من الخلاف فى معنى قوله وفى الحدين تسهيل (قوله تخدى على يسرات الخ) أي تسرع بقوائم خفاف فتخدى بمعجمة فمهملة كترمى بمعنى تسرع من خدي البعير يخدى اذا أسرع كما فى القاموس ويروى بمعجمتين بمعنى تسترخى من خذا يخذو اذا استرخى كما فى القاموس أيضا وهذا أبلغ فى المدح لانها مع استرخائها فى السير تلحق النوق السوابق فكيف لو أسرعت وعلى بمعنى الباء ويصح أن تكون على حقيقتها باعتبار استعلاء الماشية على قوائمها واليسرات بفتحات القوائم الخفاف واشتقاقها من اليسر وهو حاصل مع الخفة حصولا أكمل وقوله وهى لاحقة اي والحال انها لاحقة بالنوق السابقة عليها أو بالديار البعيدة عنها فالواو واو الحال ويروى وهى لاهية أى وهى غافلة عن السير فهى تسرع فيه من غير اكتراث ومبالاة كان ذلك صار سجية لها وقد فسر ابن هشام اللاحقة بالضامرة قال وضمير هى لليسرات لا للناقة لامرين أحدهما قوله ذوابل مسهن الارض تحليل وذلك من صفات القوائم خاصة ثانيهما انه لم يحمل على ذلك تناقض مع قوله قذفت بالنحض وقد يقال التناقض لازم لقوله فعم مقيدها لان معناه أن اطرافها غليظة و يجاب بان المراد بالفعومة غلظ الاعصاب والعظام وبالضمور رقة اللحم فلا تنافى واذا كانت قوائمها قليلة اللحم كانت أسرع للسير لانها لا تكون رهلة ولا مسترخية وقوله ذوابل بالتنوين للضرورة وهو خبر ثان أو حال أو صفة يسرات وان فصل بينهما بقوله وهى لاحقة لان الفصل بين الصفة والموصوف جائز نحو قوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم وهذا أوفق بما بعده من الجملة فانها صفة لها أيضا والذوابل جمع ذابل وهى الرمح الصلب اليابس والمعنى على التشبيه والتقدير وتلك اليسرات كالذوابل اي كالرماح الصلبة اليابسة وقوله مسهن الارض تحليل وفى نسخة وقعهن بدل مسهن اي مس تلك اليسرات للارض أو وقعهن على الارض شئ قليل غير مبالغ فيه لسرعة رفع قوائمها عن الارض فلا تمس الارض الا تحلة القسم كما يحلف الانسان ليفعلن هذا الشيء فيفعل منه اليسر ليتحلل به من القسم لكن هذا بحسب الاصل ثم كثر حتى قيل لكل شيء لم يبالغ فيه وفى الحديث لا يموت لأحدكم ثلاث من الولد تمسه النار الا تحلة القسم فهو كناية عن القلة وقال جماعة من المفسرين الا تحلة يمين القسم حقيقة وليس كناية عن القلة والمعنى ان النار لا تمسه الا بمقدار ما يبر الله تعالى به قسمه لانه عز وجل يقول وان منكم الا واردها وفى هذا القول نظر لان هذه الجملة لا قسم فيها اللهم الا ان عطفت على الجملة التى أجيب بها القسم من قوله تعالى فو ربك لنحشرنهم الآية قال ابن هاشم وفيه بعد وحاصل معنى البيت ان هذه الناقة تسرع فى السير بقوائمها والحال انها لاحقة بالنوق السابقة عليها اوضامرة على ما تقدم كالرماح الصلبة الشديدة سريعة الرفع عن الارض كانها لا تمس الارض الا تحلة القسم فهى فى غاية الاسراع فى سيرها (قوله سمر العجايات الخ) أى هى سمر العجايات الخ فهو خبر لمبتدا محذوف تقديره هى وهذا الضمير أعنى هي عائد على اليسرات ويصح ان

حتى أن الرمانة لتشبع السكن والمربوب المربي قال

﴿ تخدى على يسرات وهى لاحقة * ذوابل مسهن الارض تحليل ﴾

الخدى والخديان والوخد ضرب من السير يقال خدي بالمعجمتين مفتوحتين يخدي بالكسر خديا وخديانا ووخد يخدو وخذا وخوذ يخوذ تخويذا استعملت فيه التقاليب الثلاثة بمعنى وليس واحد منها مقلوبا لاستكمال كل منها تصاريفه ومن ثم خطئ من قال فى جذب وجبذ أن أحدهما مقلوب من الآخر لقولهم جذب يجذب جذبا وجبذ يجبذ جبذا * واليسرات قال التبريزي القوائم والصواب قول الجوهري انها القوائم الخفاف واشتقاقها من اليسر وهو حاصل مع الخفة حصولا أكمل واللاحقة الضامرة أي الخفيفة اللحم وضمير هى لليسرات لا للناقة لامرين أحدهما قوله ذوابل مسهن الارض تحليل وذلك من صفات القوائم خاصة والثانى أنه ان لم يحمل على ذلك تناقض مع قوله قذفت بالنحض وقد يقال التناقض لازم له لقوله فعم مقيدها اذ معناه ان اطرافها غليظة و يجاب بان المراد بالفعومة غلظ الاعصاب والعظام وبالضمور قلة اللحم فلا تنافى واذا كانت القوائم قليلة اللحم لم تكن رهلة ولا مسترخية وذلك أسرع لرفع قوائمها او بسطها وروى عبد اللطيف لاهية بدل لاحقة ولا اشكال عليه والمعنى أنها تسرع من غير اكتراث كان ذلك سجية لها فهى تفعله وهى غافلة عنه والواو من قوله وهى اما زائدة فى أول الجملة الموصوف بها يسرات كما قال بعضهم فى قوله تعالى وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم أو هى واو الحال وسوغ مجيء الحال من النكرة وهى يسرات عدم صلاحية الجملة للوصفية لاقترانها بالواو ومثله قوله تعالى او كالذي مر على قرية وهى خاوية على عروشها وقول الشاعر

﴿ مضى زمن والناس يستشفعون بي * فهل لي الى ليلى الغداة شفيع ﴾

ومن روى لاهية فالواو للحال لا غير وصاحبها الضمير فى تخدي وقوله ذوابل جمع ذابل وهو اليابس وهى خبر ثان أو خبر لمحذوف ويجوز نصبها حالا من ضمير لاحقة وجرها صفة ليسرات وانما نونت للضرورة كقوله * واطنا مكة من ورق الحمى * (قوله مسهن الارض تحليل) اشارة الى سرعة رفعها قوائمها وذلك لان التحليل من تحلة اليمين فالمعنى ان مسهن الارض قليل كما يحلف الانسان على الشيء ليفعلنه فيفعل منه اليسير ليتحلل به من قسمه هذا أصله ثم كثر حتى قيل لكل شيء لم يبالغ فيه وفى الحديث لا يموتن لاحدكم ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم * وقال جماعة من المفسرين ان اليمين هنا على الاصل الذي هو القسم لا انه كناية عن القلة وذلك ان الله تعالى قال وان منكم الا واردها والمعنى أن النار لا تمسه الا بمقدار ما يبر الله تعالى به قسمه وفى هذا القول نظر لان الجملة لا قسم فيها اللهم الا ان عطفت على الجملة التى أجيب

يكون قوله سمر العجايات صفة لليسرات والاضافة فى سمر العجايات لفظية أى سمر عجاياتها فهي من اضافة الصفة لمعمولها والسمر جمع أسمر والسمرة لون يقرب من السواد يصح ان تكون من اضافة المشبه به للمشبه أي عجاياتها كالسمر أي كالرماح السمر فى الشدة والصلابة فان السمر من أوصاف الرماح والعجايات جمع عجاية والعجاوات جمع عجاوة بضم العين وبالجيم فى الجميع وبالياء أو الواو وهى الاعصاب المتصلة بالحافر وقيل اللحمة المتصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير الى الفرسن فشبه عصبها أو لحم قوائمها بالرماح السمر لقوته وصلابته وقوله يتركن الحصي زيما أى يجعلن الحصي متفرقا فيترك بمعنى يجعل ولذلك تعدى لمفعولين وهما الحصي زيما وقيل زيما حال من الحصي وزيما بكسر الزاى وفتح الياء كعنب المتفرق والجملة صفة بسمرات فالضمير لهن ولشدة (٦٣) وطئها الارض تجعل الحصى متفرقا واعلم أن فعلا بكسر أوله وفتح ثانيه كثير فى الاسماء كضلع واما فى الصفات فقال سيبويه لا نعلمه جاء صفة الا فى حرف معتل يوصف به الجمع وهو قوم عدي اه وقد ورد عليه ألفاظ منها زيم كما فى هذا البيت ومنها قيما فى قراءة بعضهم دينا قيما ومنها سوي بكسر السين بمعنى مستو فى قوله تعالي مكانا سوى وقوله لم يقهن رؤس الاكم تنعيل أى لم يق تلك اليسرات رؤس الروابي المرتفعة من الارض شد النعل على خفها لانها صلبة شديدة فلا تحفى فى سيرها ولا ترق قدمها فلا تحتاج للتنعيل الذى يقيها رأس رؤس الاكم وقد كانوا يشدون تحت اخفافها قطعا من جلود لتقيها الحجارة فالضمير فى لم يقهن لليسرات والجملة صفة لهن ويق مضارع وقى من الوقاية وهى الحفظ وفى بعض الروايات لم يقهن من الابقاء ورؤس الاكم قبل منصوب بنزع الخافض أي عن رؤس الاكم والاصوب على رواية لم يقهن كونه مفعولا ثانيا اذ الوقاية تتعدى لمفعولين قال تعالى فوقاهم الله شر ذلك اليوم والاكم بضم الهمزة وسكون الكاف مخفف اكم بضمتين جمع اكام ككتب جمع كتاب واكام جمع أكم بفتحتين كجبل وجبال واكم بفتحتين جمع أكمة كثمر جمع ثمرة وهى الرابية المرتفعة من الارض والتنعيل شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة وانما خص الاكم التى هى الروابي بالذكر لانها تبقى بها الحجارة الخشنة ونحوها لقلة سلوكها فاذا كانت لا تحتاج لتنعيل لمثل ذلك فلغيره بالاولي وحاصل معنى البيت ان أعصاب قوائم هذه الناقة صلبة شديدة كالرماح السمر ولشدة وطئها الارض تجعل الحصى متفرقا ولصلابة خفافها لا تحتاج الى تنعيل يقيها الحجارة التى تكون فى رؤس الاكم فلا تحفى ولا ترق قدمها بل هى صلبة شديدة

بها القسم من قوله فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم الى آخرها وفيه بعد قال

﴿ سمر العجايات يتركن الحصي زيما * لم يقهن رؤس الاكم تنعيل ﴾

(العجايات) والعجاوات بضم العين المهملة وبالجيم جمع عجاية وعجاوة وهى عند الاصمعى لحمة متصلة بالعصب المنحدر من ركبة البعير الى الفرسن وقال الجوهرى العجايتان عصبتان فى باطن يدى الفرس وأسفل منهما هنات كالاظفار ويقال لكل عصب متصل بالحافر عجاية وقال التبريزي العجاية عصب قوائم الابل والخيل والزيم بكسر الزاي وفتح الياء المتفرقة أى انها لشدة وطئها الارض تفرق الحصي والاكم مخفف من الاكم بضمتين أي انها لا تحفى فى سيرها فتفتقر الى النعل * وهنا ثلاث مسائل (الاولي) فعل بكسر الاول وفتح الثانى كثير فى الاسماء كضلع واما فى الصفات فقال سيبويه لا نعلمه جاء صفة الا فى حرف معتل يوصف به الجمع وهو قوم عدي انتهى وكذلك قال يعقوب لم يأت فعل فى النعوت الا حرف واحد يقال قوم عدى أي غرباء او اعداء قال

اذا كنت فى قوم عدى لست منهم * فكل ماعلفت من خبيث وطيب

وقال الاخطل ألا يا اسلمي يا هند هند بنى بكر * وان كان حيانا عدي آخر الدهر

يروي بالضم والكسر وقد أورد عليهما ألفاظ أحدها زيم بمعنى متفرق كما فى هذا البيت وفى قول الآخر

بانت ثلاث ليال غير واحدة * بذي المجاز تراعى منزلا زيما

أى متفرق النبات وذو المجاز سوق عظيمة كانت تقام فى الجاهلية بمنى ومثلها عكاظ بالظاء المشالة ممنوعة الصرف كانت تقام بناحية مكة شرفها الله تعالى فى كل سنة شهرا يتبايعون ويتناشدون الشعر ويتفاخرون وكذلك مجنة بفتح الميم موضع يقام به سوق على أميال من مكة فى الجاهلية قال

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

والثانى ماء صرى الذى طال مكثه روي بضم الصاد المهملة وكسرها كما روي عدى بهما اذا كان بمعنى الاعداء والثالث قيما فى قراءة بعضهم دينا قيما والرابع سوى بمعنى مستو فى قوله تعالى مكانا سوى ولا تكون هذه سوي الظرفية لان تلك ملازمة للاضافة ويصح ان تخلفها كلمة غير وقد أجيب عن سوى وصري بانهما اسمان للمستوي وللطويل المكث ثم وصف بهما بدليل قوله بقعة سوى ومياه صرى فلم يطابقا الموصوف فى التأنيث كما تقول مررت بارض عرفج وأجيب عن قيم بانه مصدر مقصور من القيام ولهذا أعلت عينه ولو كان غير مقصور منه لصح كما يقال حال حولا واستدرك الزبيدي قولهم ماء روي وهو غلط لانه مصدر وصف به كما يقال رجل رضا (المسئلة الثانية) الاكم بضمتين جمع اكام ككتب جمع كتاب والاكام جمع اكم كالجبال جمع جبل والاكم جمع أكمة كالثمر جمع ثمرة ويجمع الاول وهو أكم على آكام كما يقال عنق وأعناق ونظيره جمع ثمرة على ثمر كشجرة وشجر وجمع ثمر على ثمار كجبال وجمع ثمار على ثمر ككتب وجمع ثمر على أثمار كاعناق ذكرهما الجوهري وحكى الثاني عن الفراق

(قوله كان اوب ذراعيها الخ) أى كان سرعة تقلب يديها الخ فالاوب بفتح الهمزة وسكون الواو بعدها باء موحدة سرعة التقلب ويطلق على المكان والجهة يقال جاؤا من كل أوب أي من كل مكان وجهة وخبر كان قوله فى البيت الحادى والثلاثين ذراعا عيطل نصف لكن على تقدير مضاف أي أوب ذراعى عيطل نصف فشبه سرعة تقلب يدى هذه الناقة فى السير بسرعة تقلب يدى امراة عطيل نصف أى طويلة متوسطة فى السن فى اللطم على وجهها لشدة حزنها على ولدها ومن هذا ظهر أن فى البيت العيب المسمي لتضمين ان فسر بكون البيت مفتقرا الي ما بعده افتقار الازما فان فسر بتعلق قافية البيت الاول باول البيت الثانى فليس فى البيت عيب وقوله اذا عرقت أى وقت عرقها لا لتعب ولا لاعياء لما تقدم من وصفها (٦٤) بالقوة والصلابة بل لشدة الحر وانما خص التشبيه بهذا الوقت لانها اذا كانت فى غاية الاسراع فى هذا الوقت فما بالك بها فى غيره والعامل فى اذا مافى كان من معنى التشبيه ولا جواب لها ان قدرت خالية عن معنى الشرط والا فالجواب مقدر وهل هى حينئذ منصوبة بفعل الشرط أو جوابه فيه خلاف مذكور فى كتب النحو وقوله وقد تلفع بالقور العساقيل اى والحال أنه قد تلفع بالقور العساقيل فالواو للحال وتلفع بفتح التاء المثناة من فوق وفتح اللام والفاء المشددة وبالعين المهملة فعل ماض معناه التحف واشتمل وهو من اللفاع كتلحف من اللحاف وتنقب من النقاب قال الشاعر

لم تلفع بفضل مئزرها دعد ولم ... دعد فى العلب

والقور بضم القاف بعدها واو وفى آخره راء مهملة جمع قارة وهى الجبل الصغير والعساقيل بفتح العين والسين المهملتين وبعدها الف وكسر القاف بعد ياء وفى آخره لام له معنيان أحدهما وهو المراد هنا السراب قال الجوهري لم أسمع بواحده وثانيهما نوع من الكمأة وهى الكبار البيض التى يقال لها شحمة الارض وواحده عسقول وقد تحذف منه الياء للضرورة كما فى قوله ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر كما انها قد تزاد للضرورة كما فى قوله تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة * نفى الدنانير تنقاد الصياريف فالصياريف أصله الصيارف جمع صيرف وزيدت الياء للضرورة وأما الدراهيم فجمع درهام لغة فى الدرهم ولا يخفى أن القور هى الجبال الصغار وهى التى تتلفع بالعساقيل المراد به هنا السراب بمعنى أنه يرى عليها كاللفاع الساتر لها فوقع القلب فى كلامه كما تقول أدخلت القلنسوة فى رأسى وعرضت الحوض على الناقة والمراد أدخلت رأسى فى القلنسوة وعرضت الناقة على الحوض وقد اختلف فى القلب فمن

ولا أعرف لها نظيرا فى العربية ﴿المسئلة الثالثة﴾ ذهب على رضي الله عنه ومن وافقه الى ان المراد بالعاديات الابل التي يحج عليها وان المراد بجمع المزدلفة لاجتماع الناس بها وذلك أن من عدا أهل مكة كانوا يقفون بعرفات لانها موقف الانبياء عليهم السلام وكان المكيون يقفون بمزدلفة ويقولون نحن خدام الحرم فلا نتجاوزه الى الحل فاذا أفاض الواقفون بعرفة اجتمعوا معهم فى مزدلفة فامر الله تعالي المكيين بالوقوف بعرفة بقوله تعالي ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس أى من عرفات وزعم الاكثرون ان المراد بالعاديات خيل الغزاة واستدلوا بثلاثة أمور أحدها ان الخيل هى التى تقدح النار بحوافرها اذا صادفت الحجارة بخلاف اخفاف الابل والثاني ان الضبح صوت يخرج من أجواف الخيل لا الابل والثالث أن النقع غبار أرض الحرب وأجيب بان الابل اذا أجهدت نفسها فى السير سمع لها صوت يشبه الضبح وثار لها غبار يشبه النقع ودفعت الحجارة بعضها فى بعض فأورت النار وبان الحجاج لما كانوا يدفعون من جمع فى أول النهار شبهوا بالمغيرين ولهذا كانوا يقولون أشرق ثبير كيما نغير واحتجوا بان السورة مدنية نزلت بعد وقعة بدر ولم يكن معهم فى تلك الوقعة الا فرسان فرس للزبير وفرس للمقداد قال

(كأن أوب ذراعيها اذا عرقت * وقد تلفع بالقور العساقيل)

للاوب أربعة معان أحدها الرجع فهما مترادفان متوازنان ومثله فى المعنى الاياب ومنه أن الينا ايابهم والثاني المطر سموه بذلك كما سموه رجعا لانهم يزعمون ان السحاب يحمل الماء من بحار الارض ثم يرجعه اليها أو أراد التفاؤل له بالرجوع والاوب أو لان الله تعالى يرجعه وقتا فوقتا قال الله تعالى والسماء ذات الرجع أي ذات المطر ومن أبيات ايضاح أبي على رحمه الله تعالى

رباء شماء لا ياوي لقلتها * الا السحاب والا الاوب والسيل

الثالث سرعة تقلب اليدين والرجلين فى السير يقال منه ناقة أووب على فعول وهو مكتوب فى الصحاح بهمزتين وهو سهو والرابع المكان والجهة يقال جاؤا من كل أوب والمراد فى البيت المعنى الاول أو الثالث لا الثاني ولا الرابع وذراعيها مخفوض لفظا مرفوع محلا واذا عرقت كناية عن وقت الهاجرة أى كان رجع يديها أو سرعة تقلب يديها وقت اشتداد الحر والمشبه به مذكور فى قوله بعد ذلك ذراعا عطيل وانما خص التشبيه بهذا الوقت لان السراب انما يظهر عند قوة حر الشمس وتلفع اشتمل وهو من اللفاع كتحلف من اللحاف وتنقب من النقاب واللفاع ما يتلفع به أي يلتحف قال وضاح اليمن أو جرير

لم تتلفع بفضل مئزرها * دعد ولم تغذ دعد فى العلب

ويروى ولم تسق والقور جمع قارة قال

هل تعرف الديار باعلى ذوى القور * قد درست غير رماد مكفور

والقارة الجبل الصغير * وللعساقيل معنيان احدهما وهو المراد هنا السراب قال الجوهرى لم اسمع

بواحده والثاني ضرب من الكمأة وهي الكمأة الكبار البيض التي يقال لها شحمة الارض فواحده عسقول واما قوله ولقد جنيتك أكمؤا وعساقلا * ولقد نهيتك عن بنات الاوبر فاصله عساقيل كعصافير ولكن حذفت المدة للضرورة وعكسه بيت الكتاب

تنفي يداها الحصا في كل هاجرة * نفي الدراهم تنقاد الصياريف

أصله الصيارف جمع صيرف فاشبع الكسرة فتولدت الياء فأما الدراهيم فجمع درهام لغة في الدرهم والواو واو الحال وعامل الحال ما في كأن من معنى التشبيه كقوله

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

ويتعلق بهذا البيت مسائل احداها ان اذا ان قدرت خلية من معنى الشرط فعاملها الاوب أو ما في كأن من معنى التشبيه ولا حذف والا فالجواب مقدور وهل هي حينئذ منصوبة بفعل الشرط أو بفعل الجواب فيه خلاف تقدم الثانية فيه العيب المسمى بالتضمين وهو ان يكون البيت مفتقرا الى ما بعده افتقار الازما وقال قوم هو تعليق قافية البيت الاول باول البيت الثاني وانشد الفريقان على ذلك قوله

هموا وردوا الجفار على تميم * وهم اصحاب يوم عكاظ اني

شهدت له مواطن صالحات * اتيتهم بصدق الود مني

وقول الآخر

لا صلح بيني فاعلموه ولا * بينكم ما حملت عاتقي

سيفي وما كنا بنجد وما * قرقر قمر الواد بالشاهق

وعلى التفسير الثاني لا يكون في البيت عيب ومن أقبح التضمين قوله

وليس المال فاعلمه بمال * من الاموال الا للذي

يريد به العلاء ويمتهنه * لاقرب أقربيه وللقصي

فانه وقع بين الموصول وصلته وهما كالكلمة الواحدة ولم يذكر الخليل التضمين في العيوب وذكره الاخفش * الثالثة فيه القلب اذ المعنى ان السراب صار للاكم مثل اللثام والاصل وقد تلفعت القور بالعساقيل فقلب كما قال النابغة الجعدي رضي الله عنه

حتى لحقناهم تعدي فوارسنا * كأننا رعن قف يرفع الآلا

أي يرفعه الآل وقد اختلف في القلب فريقان النحويون والبيانيون أما النحويون فمنهم من خصه بالضرورة وزعم انه غني عن التأويل وهذا فاسد اذ ما من ضرورة الا ولها وجه يحاوله المضطر نص على ذلك سيبويه ومنهم من خصه بالضرورة وشرط التأويل ومنهم من أجازه في الكلام واحتج بقوله تعالى ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة والمفاتح لا تنهض بالعصبة متثاقلة بل العصبة هي التي تنهض بها متثاقلة وبقولهم ادخلت القلنسوة في رأسي وعرضت الحوض على الناقة وأما البيانيون فاختلفوا في كونه مقبولا في الكلام الفصيح فقبله قوم مطلقا ورده قوم مطلقا وفصل بعضهم فقال ان تضمن اعتبارا لطيفا قبل والا فلا فمن الاول قول رؤبة بن العجاج ومهمه مغبرة أرجاؤه * كأن لون أرضه سماؤه أي كأن لون سمائه لغبرتها لون أرضه فعكس التشبيه للمبالغة ومن الثاني قوله

فديت بنفسه نفسي ومالي * وما آلوك الا ما أطيق

قال رضي الله عنه

﴿ يوما يظل به الحرباء مصطخدا * كأن ضاحيه بالشمس مملول ﴾

النحويين من خصه بالضرورة ومنهم من أجازه في النثر ومن البيانيين من قبله في الكلام الفصيح مطلقا ومنهم من رده مطلقا ومنهم من فصل فقال ان تضمن اعتبار الطيفا قبل والا فلا وأشار المصنف بذلك الي شدة الحر لان قوة السراب وغلبته حتى صار كاللفاع للجبال الصغيرة لا تكون الا في وقت شدة الحر واذا كانت في غاية الاسراع في هذا الوقت كانت في غيره اولى بالاسراع (٦٥) وحاصل معنى البيت ان سرعة حركة يدي هذه الناقة في السير كسرعة حركة يدي المرأة الطويلة المتوسطة في السن في اللطم على وجهها لشدة حزنها على ولدها فتكون في غاية الاسراع في وقت عرقها لشدة الحر وفي قوة السراب وغلبته حتى صار كاللفاع على الجبال الصغار (قوله يوما يظل به الحرباء الخ) اى ان القور التى هى الجبال الصغار تلفعت بالسراب في يوم يظل فيه الحرباء محترقا بالشمس فيوما ظرف لقوله تلفع وهو أولي من تعلقه باوب أو بما في كأن من معنى التشبيه لانه فعل وهو أقوي في العمل ولانه أقرب من غيره ويظل بفتح الظاء المعجمة مضارع ظل يقال ظل يفعل كذا اذا فعله نهارا وبات يفعل كذا اذا فعله ليلا ويكون بمعنى صار كما في قوله تعالى ظل وجهه مسودا وهو المراد هنا فيظل بمعنى يصير وبه أى في ذلك اليوم فالباء بمعنى في والضمير عائد لليوم والحرباء بكسر الحاء حيوان يرى له سنام كسنام الابل يستقبل الشمس ويدور معها كيف دارت ويتلون ألوانا بحر

(ه‍ بانت سعاد) الشمس ويكون في الظل أخضر ويكنى أبا قرة وكنية أنثاه أم حبين ويصير وقت الهاجرة في أعلى الشجرة وبه يضرب المثل لانه يمسك ساق الشجر فلا يرسله الا ويمسك ساقا آخر كما قال القائل لا يشغلنك شيء في زمانك عن * حب الملاح وحاذر كلما عاقا وكن كأنك حرباء الهجير ضحى * لا يترك الساق الا ممسكا ساقا ومصطخدا بكسر الخاء المعجمة وبالدال في آخره أى محترقا بحر الشمس يقال اصطخد اذا اصطلى بحر الشمس وروى مصطخما بالميم في آخره أى منتصبا قائما يقال اصطخم اذا انتصب قائما ويقال اصطخب بالباء

صاح كما فى قوله ان الضفادع فى الغدران تصطخب وصحف الاصمعى بيت ذي الرمة وهو قوله فيها الضفادع والحيتان تصطحب فقال تصطخب بخاء معجمة فقال له ابو على الاصفهاني أى صوت للحيتان يا أبا سعيد انما هى تصطحب بالمهملة أى تتجاوز ووهم عبد اللطيف حيث قال والمصطخد منصوب لانه خبر أضحى ووجه الوهم أنه ليس فى البيت أضحى وانما هو يظل والجملة صفة ليوما وقوله كان ضاحية بالشمس مملول أى كان الحيوان الضاحى (٦٦) فى ذلك اليوم بمعنى البارز للشمس فيه او كان الضاحى من الحرباء بمعنى البارز للشمس منه خبر معمول بالملة بفتح الميم قد أنضجته النار بشدة حرها فالضاحى بمعنى البارز للشمس كما تقدم ورأي ابن عمر رجلا محرما قد استظل فقال اضح لمن أحرمت واضح بكسر الهمزة وفتح الحاء كما ذكره الاصمعى وغيره وهو الصواب لانه من ضحى وان رواه المحدثون بفتح الهمزة وكسر الحاء قال الرياشى رأيت احمد بن المعذل بالذال المعجمة فى الموقف وقد ضحى للشمس وهى شديدة الحر فقلت له هذا أمر قد اختلف فيه فلو أخذت بالتوسعة فانشد

ضحيت له كى أستظل بظله اذا الظل أضحى فى القيامة قالصا فوا أسفى ان كان سعي باطلا ووا حزني ان كان حجى ناقصا

وقد وهم عبد اللطيف حيث جعل القائل اضح لمن أحرمت له النبى صلى الله عليه وسلم وانما هو ابن عمر والضمير فى ضاحية عائد لليوم أو للحرباء والاضافة بمعنى فى على الاول وبمعنى من على الثاني ومملول اسم مفعول من ملت الخبز بفتح الميم أمله بضمها من باب رد يرد اذا عملته فى الملة بفتح الميم كما علمت وهى الرماد الحار عند الاكثرين وقال أبو عبيدة هى الحفرة نفسها وعلى القولين يعلم فساد قولهم أطعمها ملة والصواب خبز ملة وأما الملة بكسر الميم فالدين والشريعة ويقال من الملل بمعنى السآمة ملت بالكسر أمل بالفتح مللا وملالا وملالة وملة بالفتح فالملة بالفتح مشتركة وحاصل معنى البيت ان الجبال الصغار تلفعت بالسراب فى يوم يصير فيه الحرباء محترقا بالشمس كان البارز للشمس فى ذلك اليوم أو من ذلك ﴿ وقال

يوما ظرف لقوله تلفع أو للاوب أو لما فى كأن من معنى التشبيه أى أن التشبيه حاصل فى ذلك اليوم فاذا قدرت اذا ظرفا للاوب أو لكان لم يجز كون يوما ظرفا لعاملها اذ لا يتعلق ظرفا مكان ولا ظرفا زمان بعامل واحد الا على سبيل التبعية فان أردت ذلك فقدر يوما بدلا من اذا والتعلق بالفعل اولى لقربه ولقوته فى العمل ويظل بالفتح مضارع ظللت بالكسر ويقال ظل يفعل اذا فعل نهارا وبات يفعل اذا فعل ليلا قالت امرأة أظل أرعى وأبيت أطحن * والموت من بعد الحياة أهون وتكون بمعنى صار كقوله تعالى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وهو المراد هنا والحرباء ذكر أم حبين وهو حيوان يرى له سنام كسنام الجمل يستقبل الشمس ويدور معها كيفما دارت ويتلون ألوانا بحر الشمس وهو فى الظل أخضر ويكنى أبا قرة وبه يضرب المثل فى الحزامة لانه يلزم ساق الشجرة فلا يرسله الا ويمسك ساقا آخر قال أبو دؤاد انى أتيح له حرباء تنضبة * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا وجمع الحرباء حرابي والانثى حرباءة والف حرباء لالحاقه بقرطاس فلذلك ينون وتلحقه الهاء ومثله العلباء ويقال أصخد الحرباء بالصاد والدال المهملتين والخاء المعجمة اذا تصلى بحر الشمس ويقال أيضا اصطخد وهو افتعل أبدلت تاؤه طاء كاصطبر ويقال اصطخم بالميم بمعنى انتصب قائما وروى هنا مصطخما ويقال اصطخب بالباء بمعنى صاح قال * ان الضفادع فى الغدران تصطخب * وصحف الاصمعى بيت ذى الرمة * فيها الضفادع والحيتان تصطحب * فقال تصطخب بخاء معجمة فقال له أبو على الاصفهاني أى صوت للحيتان يا أبا سعيد انما هو تصطحب بالحاء المهملة أي تتجاور والجملة صفة ليوما وضاحية ما ضحى منه للشمس أي برز وظهر قال الله تعالى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى أي لا تبرز للشمس وراى ابن عمر رضي الله عنهما رجلا محرما قد استظل فقال له اضح لمن أحرمت له اضح بكسر الهمزة وفتح الحاء كذا ضبطه الاصمعى وغيره وأما المحدثون فيفتحون الهمزة ويكسرون الحاء من أضح والصواب الاول وانه من ضحى قال الرياشي رأيت أحمد بن المعذل فى الموقف وقد ضحى للشمس وهى شديدة الحر فقلت له هذا أمر قد اختلف فيه فلو أخذت بالتوسعة فانشد

ضحيت له كى أستظل بظله * اذا الظل أضحى فى القيامة قالصا
فوا أسفا ان كان سعي باطلا * ووا حزنا ان كان حجى ناقصا

أحمد بن المعذل بالذال المعجمة بصرى مالكى عالم زاهد وهو أخو عبد الصمد بن المعذل الشاعر المشهور ووقع لعبد اللطيف هنا وهمان أحدهما انه جعل القائل اضح لمن أحرمت له النبى ﷺ وانما هو ابن عمر رضي الله عنهما والثاني أنه قال والمصطخم منصوب لانه خبر أضحى وليس فى البيت أضحى وانما هو خبر يظل وقوله مملول اسم مفعول من ملت الخبزة فى النار بالفتح أملها بالضم ملا اذا عملتها فى الملة بفتح الميم والملة الرماد الحار عند الاكثرين وقال أبو عبيد هى الحفرة نفسها وعلى القولين يعلم فساد قولهم أطعمنا ملة والصواب خبز ملة ويقال لذلك الخبز مملول ومليل أيضا ويقال من السآمة ملت بالكسر أمل بالفتح مللا وملالا وملالة وملة بالفتح أيضا فالملة مشتركة وأما الملة بكسر الميم فهى الدين والشريعة والمعنى ان الآكام تلفعت بالسراب فى يوم يظل الحرباء فيه محترقا بالشمس كان ما برز منه للشمس مملول كما تمل الخبزة فى النار قال

الخبو ان خبز معمول بالملة بفتح الميم وقد علمت تفسيرها (قوله وقال للقوم الخ) اى وقد قال للقوم الخ فهو معطوف على تلفع الواقع حالا فيكون حالا أيضا وقوله حاديهم اى سائق ابلهم بالحداء وهو الغناء تنشيطا للابل على السير وهو فاعل بقال ومقول القول قوله فى آخر البيت قيلوا والمراد أن الحادي الذى من شانه أن ينشط الابل على السير قال للقوم الذين هم أصحاب الابل قيلوا من شدة الحر اشفاقا على الابل وقوله وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصي اى والحال أنه قد أخذت وشرعت الورق من الجنادب أو الجنادب الورق يركض الحصي بارجلهن من شدة الحر فلا يمكنهن التمكن عليه لكونه محمى بالحر ولا الطيران عنه لا عيائهن بتأثير الحر فيهن فالواو للحال وقد للتحقيق وجعلت بمعنى أخذت وشرعت والاضافة فى ورق الجنادب على معنى من أو من اضافة الصفة للموصوف والورق بضم الواو جمع أورق كحمر جمع أحمر والاورق هو الاخضر الذى يضرب الى السواد وقيل الورقة لون يشبه لون الرماد والجنادب جمع جندب بضم الدال وقد تفتح وهو ضرب من الجراد وقيل هو الجراد الصغير وانما يكون هذا الصنف فى القفار الموحشة القوية الحرارة البعيدة من الماء ومعنى يركضن الحصي يحركن الحصي بارجلهن لقصد النزول بسبب الاعياء عن الطيران من شدة الحر فالركض التحريك بالرجل ومنه ركض الدابة أي تحريكها فى جنبيها برجليه لتسير ثم كثر حتى جعل بمعنى حملها على السير مطلقا ومن الاصل قوله تعالي اركض برجلك وقوله قيلوا أمر من قال يقيل قيلولة وهى الاستراحة فى وقت شدة الحر وان لم يكن نوم ومنه قوله تعالى أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا او أحسن مقيلا فالمعنى هنا استريحوا فى وقت شدة الحر وحاصل معنى البيت ان هذا اليوم من شدة حره كان الحادي الذى من شانه ان ينشط الابل على السير قال للقوم والحال انه قد جعلت ورق الجنادب يحركن الجصي بأرجلهن قيلوا من شدة الحر فى القفار الموحشة البعيدة من الماء لان ورق الجنادب لا يكون الا فى تلك الاماكن فتكون هذه الناقة مع سيرها فى الحر الشديد لها صبر على العطش فى القفار الموحشة مع

﴿ وقال للقوم حاديهم وقد جعلت * ورق الجنادب يركضن الحصي قيلوا ﴾

الواو عاطفة على قوله وقد تلفع فمحل المعطوف نصب بما نصب الحال المعطوف عليها والواو فى قوله وقد جعلت واو الحال وعامل الحال فعل القول أو قوله حاديهم وقال عبد اللطيف هذا البيت معطوف على قوله وقد تلفع والواو للحال فى الموضعين انتهى وهو منقول من كلام التبريزي وفيه تناقض ظاهر والورق جمع أورق وهو الاخضر الي السواد وانما يكون هذا الصنف فى القفار الموحشة القوية الحرارة البعيدة من الماء ويقال أرق بالهمزة لان الواو مضمومة ضمة لازمة ومثله وجوه وأجوه ووقتت وأقتت وقولنا لازمة احتراز من نحو هذا دلو وأما الورق فى بيت الكتاب وهو أول بيت فيه وهو للعجاج * قواطنا مكة من ورق الحمى جمع ورقاء واصل الحمى الحما فحذف الميم الثانية ثم قلبت الالف ياء وقيل بل حذفت الالف للضرورة كما تحذف الالف الممدودة فاجتمع مثلان فابدل الثاني ياء كما قالوا فى فلا وربك لا وربيك ثم كسر الميم للمناسبة ولتصحيح الروى وقيل غير ذلك والجنادب جمع جندب بضم الدال أو جندب بفتحها وهن ضرب من الجراد وقيل هى الجراد الصغير ونونه عند سيبويه زائدة اذ ليس عنده فى الكلام فعلل بضم أوله وفتح ثالثه وأثبت ذلك الاخفش فى جخدب وطحلب وألفاظ أخر فعلى قوله النون أصل ويركضن يدفعن وفى حديث الاستحاضة هى ركضة من الشيطان ومن هذا الاصل قالوا ركض الدابة يركضها ركضا لان معناه دفعها فى جنبيها برجليه لتسير ثم كثر ذلك حتى جعل بمعنى حملها على السير وان لم تدفع بالرجلين ولا غيرها وقولهم ركضت الدابة بفتح الراء والضاد بمعنى عدت عده فى اللحن الجوهري والحريرى وغيرهما وقالوا الصواب ركضت على بناء مالم يسم فاعله وقال ابن سيده فى المحكم ركض الدابة يركضها ركضت هى وأباها بعضهم انتهى والصواب عندي الجواز لقولهم ركض الطائر ركضا اذا أسرع فى طيرانه قال * كأن تحتي بازيا ركاضا * وقال سلامة بن جندل يبكى على فراق الشباب

أن الشباب الذى مجد عواقبه * فيه نلذ ولا لذات للشيب
ولى حثيثا وهذا الشيب يتبعه * لو كان يدركه ركض اليعاقيب

اليعاقيب جمع يعقوب وله معنيان أحدهما ذكر القبج بفتح القاف واسكان الباء الموحدة بعدها جيم وهو الحجل بفتحتين والثانى العقاب وهو غريب ذكره بعضهم وأنشد عليه قوله

* عال يقصر دونه اليعقوب * لان الحجل لا يوصف بالعلو فى الطيران وقول الفرزدق

يوما نزلن لا براهم عاقبة * من النسور عليه واليعاقيب

لان الحجل لا تنزل على القتلى ومعنى يركضن الحصا يقفزن عليه فيندفع بعضه الي بعض وجملة يركضن الحصا خبر لجعل ومعناه شرع كقوله

وقد جعلت اذا ما قمت يثقلني * ثوبي فانهض نهض الشارب الثمل

كذا أنشده النحويون ورد ذلك بعضهم وقال الصواب نهض الشارب السكر واستدل بان بعده

وكنت أمشي على رجلين معتدلا * فصرت أمشي على أخري من الشجر

والصواب انهما قصيدتان فكل من الانشادين صحيح وقيلوا أمر من القائلة والجملة محكية بالقول قال

ضعف غيرها (قوله شد النهار الخ) أي كان ذلك وقت ارتفاع النهار فشد بفتح الشين المعجمة وتشديد الدال المهملة المفتوحة بمعنى الارتفاع فهو مصدر جعل ظرفا على تقدير مضاف وهو وقت يقال جئتك شد النهار أي وقت ارتفاعه وهو مبالغة في شدة الحر وهو ما ظرف لأوب أو لقيلوا أو بدل من يوما (٦٨) في قوله يوما يظل به الحرباء الخ وقوله ذراعا عيطل نصف خبر كان في قوله كان أوب ذراعيها الخ على تقدير مضاف كما قدمناه أي كان أوب ذراعي هذه الناقة في هذه الحالات أوب ذراعي امرأة طويلة في السن بين الشابة والكهلة وما أحسن قول الحماسي لا تنكحن عجوزا ان دعيت لها واخلع ثيابك منها ممعنا هربا وان أتوك وقالوا انها نصف فان أمثل نصفيها الذي ذهبا وانما وصفها بالطول في قوله عيطل وبالتوسط في السن في قوله نصف لان الطويلة تكون أطول ذراعا والمتوسطة في السن تكون في حين استكمال قوتها وبلوغ أشدها وحينئذ تكون أسرع في الحركة وأمكن في القوة وقوله قامت أي تلك العيطل النصف تلطم وجهها لشدة حزنها على ولدها وقوله فجاوبها نكد مثاكيل اي فتسبب عن قيامها اللاطم انه جاوبها في اللطم نسوة لا يعيش أولادهن ويفقدن أولادهن كثيرا فالفاء للسببية والنكد بضم النون وسكون الكاف وبالدال المهملة جمع نكداء كحمر جمع حمراء وهي التي لا يعيش لها ولد والمثاكيل بفتح الميم وبعد الثاء المثلثة ألف ثم كاف مكسورة بعدها ياء ثم لام جمع مثكال بكسر الميم وسكون المثلثة وبعد الكاف ألف ثم لام وهي كثيرة الثكل بوزن قفل وبفتحتين وهو فقدان المرأة ولدها كما في المختار وحاصل معنى البيت أن ذلك كان وقت ارتفاع النهار وهو مبالغة في شدة الحر وسرعة حركة ذراعي هذه الناقة كسرعة حركة ذراعي امرأة طويلة متوسطة في العمر قامت تلطم وجهها لحزنها على ولدها فجاوبها نسوة لا يعيش أولادهن ويفقدن أولادهن كثيرا فيشتد فعلها ويقوى ترجيع يديها عند النياحة لرؤية حزن غيرها على

﴿ شد النهار ذراعا عيطل نصف * قامت فجاوبها نكد مثاكيل ﴾

شد النهار ارتفاعه يقال جئتك شد النهار وفي شده وكذلك شد الضحى قال عنترة

فطعنته بالرمح ثم علوته * بمهند صافي الحديدة مخذم
عهدي به شد النهار كأنما * خضب البنان ورأسه بالعظلم

المخذم بكسر الميم واعجام الخاء والذال القاطع والعظلم بكسر العين وبالظاء المعجمة شجر الكتم بفتحتين وهو الذي يصبغ به الشيب وغيره أي عهدته وقت ارتفاع النهار وقد تخضب رأسه وصدره بدمه وأصله عند أبي عبيدة أشد النهار فحذفت الهمزة وزعم في الاشد من قوله تعالى حتى اذا بلغ أشده انه جمع لاشد على حذف الزيادة وهو شد واستشهد بقوله شد النهار فعلى هذا اشد وأشد مثل قولهم للمرعى باب وأوب وهذا أحد قولي السيرافي وقال سيبويه واحدتها شدة كنعمة وأنعم وقال أبو الفتح جاء على حذف التاء كما في نعمة وأنعم وقال المازني جمع لا واحد له وهو الثاني من قول السيرافي وانتصاب شد النهار على الظرفية على حذف شيء فان كان الشد اسما للارتفاع كما هو المشهور فالمحذوف مضاف اي وقت ارتفاع النهار ويكون من باب قولهم جئتك صلاة العصر وان كان أصله أشد كما زعم أبو عبيدة فهو موصوف أي وقتا أشد النهار (وقوله ذراعا) خبر لكان كما قدمنا وهو على حذف مضاف اذ المعنى كان أوب ذراعيها في هذه الحالات أوب ذراعي عيطل والعيطل الطويلة والنصف التي بين الشابة والكهلة وما أحسن قول الحماسي

لا تنكحن عجوزا ان دعيت لها * واخلع ثيابك منها ممعنا هربا
وان أتوك وقالوا أنها نصف * فان أمثل نصفيها الذي ذهبا

وتصغير النصف نصيف بغير هاء لانها صفة وجمعها انصاف ويقال أيضا رجل نصف ورجال انصاف وحكى يعقوب نصفون أيضا وهو غريب لان مؤنثه لا يقبل التاء ويكون النصف جمعا لناصف وهما كالخادم والخدم وزنا ومعنى والنوق النكد التي لا يعيش لمن ولدها الواحدة نكدي وفي المحكم النكد من الابل الغزيرات اللبن وقيل هي التي لا يبقى لها ولد قال الكميت

ووحوح في حضن الفتاة ضجيعها * ولم يك في النكد المقاليت مشخب

انتهى ويظهر لي ان أصله الغزيرات اللبن ولهذا وصف النكد بالمقاليت وهي جمع مقلات وهي التي لا يعيش لها ولد وكل مقلات نكدي لكثرة لبنها لانها لا ترضع اذ لا ولد لها والتاء في المقلات أصل وليست للتأنيث واشتقاق المقلات عندي من القلت بفتح القاف واللام وهو الهلاك وفي الحديث المسافر وماله على قلت الا ما وقى الله وقال الشاعر

لو علمت ايثاري الذي هوت * ما كنت منها مشفيا على القلت

وهو مصدر قلت بالكسر يقلت بالفتح والمثاكيل جمع مثكال وهي الكثيرة الثكل أي التي مات لها أولاد كثيرة والمعنى كأن ذراعي هذه الناقة في سرعتها في السير ذراعا هذه المرأة في اللطم لما فقدت ولدها وجاوبها نساء فقدن أولادهن لان النساء المثاكيل اذا جاوبنها كان ذلك أقوى لحزنها وانشط في ترجيع يديها عند النياحة لمساعدة أولئك لها ونظير هذا البيت قول المثقب العبدى

كأنما أوب يديها الى * حيزومها فوق حصا الفدفد
نوح ابنة الجون على هالك * تندبه رافعة المجلد

أولادهن وشدة لطمهن (قوله نواحة الخ) أي هي نواحة الخ فنواحة بالرفع خبر مبتدا محذوف تقديره هي ويصح أن يكون بالجر على انه صفة لعيطل وبالنصب على انه مفعول لفعل محذوف تقديره اعني ولا يحسن تقديره أمدح لانه غير مناسب للمقام والنواحة بفتح النون وتشديد الواو وبعدها ألف ثم حاء مهملة وفي آخره تاء التأنيث كثيرة النوح على ميتها فنواحة صيغة مبالغة تقتضي كثرة النوح وقوله رخوة الضبعين أي مسترخية العضدين فتكون اسرع حركة من غيرها فرخوة بكسر الراء وسكون الخاء المعجمة وفتح الواو وفي آخره تاء التأنيث بمعنى مسترخية ومعنى الضبعين بسكون الباء العضدان وهو مثنى ضبع بسكون الباء وهو العضد وجمعه أضباع على غير قياس كفرخ وافراخ واما الضبع بضم الباء فهو الحيوان المعروف وجمعه ضباع كسبع وسباع وقوله ليس لها (٦٩) لما نعى بكرها الناعون معقول اى ليس لتلك المرأة حين اخبرها الناعون بموت أول أولادها عقل لان اول اولادها أعز عليها من غيره وقد نعاه لها المخبرون بموته النادبون له ولم تمرضه فتسلى بتمريضه فهي مع استرخائها وسرعة حركة يديها وكثرة نياحتها ليس لها من العقل رادع يردعها ولا زاجر يزجرها ولا تحس بالاعياء والتعب فكانت نياحتها حينئذ اشد وكذلك هذه الناقة في سيرها وقوله كذلك قوله في البيت السادس والعشرين وهي لاهية على احدي الروايتين كما تقدم هناك فالضمير في لها يعود على المرأة الموصوفة بالصفات المذكورة ولما بمعنى حين فهي ظرف كما ذهب اليه الفارسي وقيل حرف وجود لوجود ونعى بمعنى اخبر بالموت يقال نعى ينعى نعيا مثل سعى يسعى سعيا اذا اخبر بالموت فالنعي بسكون العين خبر الموت ومثله النعي بكسر العين وتشديد الياء يقال جاء نعي فلان ونعيه أي خبر موته كما في المختار وبكرها بكسر الباء وسكون الكاف هو أول في أولادها ذكراً كان أو انثى وأما البكر بفتح الباء فهو الفتي من الابل والانثى بكرة والناعون هم المخبرون بالموت النادبون له وهو جمع ناع كعافون جمع عاف ويكسر على نعاة كقضاة قال جرير نعى النعاة أمير المؤمنين لنا * ياخير من حج بيت الله واعتمرا والمعقول هنا بمعنى العقل فهو احد المصادر التي جاءت على مفعول كمعسور وميسور ومفتون قال الله تعالى بايكم المفتون أي الفتنة وحاصل معنى البيت أن هذه المرأة كثيرة النوح على ميتها مسترخية العضدين فيداها سريعتان في الحركة ولما أخبرها الناعون بموت أول أولادها لم يبق لها عقل فلا تحس بالاعياء والتعب فكذلك هذه الناقة لا تحس باعياء ولا تعب في سيرها

الحيزوم والحزيم وسط الصدر وما يشد عليه الحزام والمجلد بكسر الميم قطعة من جلد تكون في يد النائحة تلطم به وجهها قال

﴿ نواحة رخوة الضبعين ليس لها * لما نعى بكرها الناعون معقول ﴾

نواحة مبالغة في النائحة اسم فاعل من ناحت المرأة تنوح نوحا ونياحا وهي بالخفض صفة لعيطل أو وبالرفع خبر لهي محذوفة أو بالنصب بتقدير أمدح أو أعني والاوجه الثلاثة في قوله رخوة وعلى الخفض فانما جاز أن تقع صفة للنكرة لان اضافتها لفظية كحسن الوجه والرخوة المسترخية والضبع بسكون الباء العضد وجمعه اضباع على غير قياس كافراخ وازناد واحمال في قوله تعالى واولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن وأما المضموم الباء فالحيوان المعروف وقد يخفف وهو للانثى وجمعه ضباع كسبع وسباع واسم الذكر ضبعان كسرحان وجمعه ضباعين كسراحين ولما عند سيبويه حرف فانه قال أما لو فلما كان سيقع لوقوع غيره وأما لما فهي للامر الذي وقع لوقوع غيره فجمع بينها وبين لو في الذكر وقال ابن السراج ظرف بمعنى حين وتبعه تلميذه الفارسي وتبعه تلميذاه ابن جني وأبو طالب العبدي وبكر الام بكسر الباء أول أولادها ذكرا كان أو أنثى ويقال للام بكر وللولد أيضا قال

يا بكر بكرين ويا خلب الكبد * أصبحت مني كذراع من عضد

أي يا بكر أبوين بكرين يثبت له بهذا الوصف الصلابة والقوة ومن مجيء ذلك في الابل قول ابي ذؤيب الهذلي

مطافيل أبكار حديث نتاجها * تشاب بماء مثل ماء المفاصل

والمراد بماء المفاصل مياه تجري في مواضع صلبة بين الجبال وذكر لي بعض الطلبة انه أقام مدة يسال عن معناه فلم يجد من يعرفه وهو مشهور واما البكر بفتح الباء فهو الفتى من الابل والانثى بكرة والجمع بكار وبكارة والناعون جمع ناع وأصله الناعيون فاستثقلت الضمة على الياء المكسورة ما قبلها فحذفت فالتقى ساكنان فحذفت الياء لالتقائهما ثم ضمت العين لاجل واو الجمع ومثله القاضون والرامون ويكسر على نعاة قياسا وسماعا قال جرير

نعى النعاة أمير المؤمنين لنا * ياخير من حج بيت الله واعتمرا

والمعقول العقل وهو أحد المصادر التي جاءت على صيغة مفعول ومثله المعسور والميسور والمفتون في قوله تعالى بايكم المفتون أي الفتنة قاله الاخفش والفراء وانكر سيبويه مجيء المصدر بزنة مفعول وتاول قولهم دعه من معسوره الى ميسوره على أنه صفة لزمان محذوف أي دعه من زمان يعسر فيه الي زمان يوسر فيه وقولهم ماله معقول على معنى ماله شيء يتعقل ويلزم من انتفاء الشيء المتعقل انتفاء العقل كما يلزم من انتفاء المضروب انتفاء الضرب واما الآية فقيل الباء زائدة في المبتدا (ومعنى البيت) أن هذه المرأة كثيرة النوح مسترخية العضدين فيداها سريعتا الحركة فلما أخبرها الناعون بموت ولدها لم يبق لها عقل فاقبلت تشقق باظافيرها منحرها وصدرها ومدروعها وتدقها بيدها كما سيأتي في البيت بعده قال

﴿ تفري اللبان بكفيها ومدرعها * مشقق عن تراقيها رعابيل ﴾

تفري تقطع ويكون في الذوات كهذا البيت وفي المعنى كقول زهير

ولانت تفرى ماخلقت وبعـض القوم يخلق ثم لايفري

أي ولانت تقطع الذي تقدره في نفسك ويجوز في حرف المضارعة الفتح والضم يقال فريته وأفريته بمعنى وقال الكسائي أفريت الاديم قطعته على جهة الافساد وفريته قطعته على جهة الاصلاح واللبان بفتح اللام الصدر قال عنترة فاز ومن وقع القنا بلبانه * وشكا الي بعبرة وتحمحم وأل فيه نائبة عن الضمير والباء للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم ومدرع المرأة ودرعها قميصها وهو مذكر كالقميص وأما درع الحديد فمؤنث كالحلقة يقال في الاول درع سابغ وفي الثاني سابغة ومشقق أي مشقوق شقا كثيرا والتراقي جمع ترقوة بفتح التاء والعامة يضمونها وهو خطأ ووزنها فعلوة وهي عظام الصدر التي تقع عليها القلادة والرعابيل بالمهملتين القطع من رعلبت اللحم اذا قطعته وجزأته قال * ترى الملوك حوله مرعبلة * ويقال ثوب رعابيل أي قطع وجاء فلان في رعابيل اى في اطمار واخلاق والمعنى انها تضرب صدرها بكفيها مشققة الدرع تلهفا على ولدها ورعابيل صفة لمشقق أو خبر ثان والجملة الفعلية صفة أخرى لعيطل تابعة ان كان ماقبلها تابعا أو مقطوعة بالرفع والنصب سواء قدر ماقبلها تابعا أو مقطوعا أو حال من ضمير نواحة والجملة الاسمية حال اما من فاعل تفرى فان كان تفرى حالا من ضمير نواحة فالحالان متداخلان واما من ضمير نواحة فهما مترادفان والصحيح جوازه وعن متعلقة بمشقق كما تقول تشقق الكمام عن الثمرة ونظيره في أحد الوجهين ويوم تشقق السماء بالغمام قيل الباء بمعنى عن وقيل باء الآلة مثل كتبت بالقلم والمعنى مختلف قال

﴿ تسعى الوشاة جنابيها وقولهم * انك يا ابن أبي سلمى لمقتول ﴾

(قوله تفري اللبان الخ) أى تقطع تلك المرأة صدرها بانامل أصابع كفيها فلذهاب عقلها صارت تقطع صدرها باناملها فالجملة صفة أخرى للمرأة الموصوفة بتلك الصفات وتفرى بفتح التاء من فري يفري وبضمها من افرى يفرى يقال فريته وأفريته بمعنى واحد كما في القاموس وقال الكسائى أفريت الاديم قطعته على جهة الافساد وفريته قطعته على جهة الاصلاح فمعناهما مختلف واللبان بفتح اللام وهو الصدر وأل فيه نائبة عن الضمير والاصل لبانها أى صدرها وبكفيها متعلق بتفرى وهو على تقدير مضافين والاصل بانامل أصابع كفيها فاندفع ما أورد عليه من أن الفرى بانامل الاصابع لا بالكفين وقوله ومدرعها مشقق عن تراقيها رعابيل أى والحال أن قميصها مشقوق كثيرا عن عظام صدرها قطع كثيرة فالمدرع بفتح الميم وسكون الدال وفتح الراء وبالعين هو القميص وكذلك الدرع وهو مذكر كالقميص وأما درع الحديد فمؤنثة كالحلقة والمشقق المشقوق كثيرا وعن تراقيها متعلق بمشقق والتراقى جمع ترقوة بفتح التاء على وزن فعلوة وهى عظام الصدر التى تقع عليها القلادة والرعابيل كعصافير القطع جمع رعبول كعصفور وهو القطعة من الشيء ومنه رعبلت اللحم اذا قطعته وجزأته ولا يخفى ان قوله مشقق خبر أول ورعابيل خبر ثان ويصح أن يكون صفة لمشقق وحاصل معنى البيت أن هذه المرأة تقطع صدرها بانامله الذهاب عقلها وقميصها مشقوق كثيرا عن عظام صدرها قطع كثيرة فلما كانت هذه المرأة مسلوبة العقل صارت لاتحس عما تلاقى من الالم فى بدنها (٧٠) وما تفسده من ثيابها والمراد من تشبيه الناقة بهذه المرأة فى الحالة المذكورة ان الناقة صارت مسلوبة الادراك فلا تحس بما تلاقى من مشاق السير وهذا آخر ماذكره الناظم من أوصاف الناقة والله أعلم

(قوله تسعى الوشاة الخ) هذا شروع فى القسم الرابع من أقسام الغزل وهو المتعلق بغير المحب والمحبوب بسببهما كما تقدم وتسعى مضارع سعى بمعنى وشي يقال سعى به الي السلطان اذا وشى أو مضارع سعى اذا أسرع فى سيره ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون أى وأنتم تسرعون فى سيركم أو مضارع سعي اليه اذا أتاه ومنه قوله تعالي فاسعوا الى ذكر الله والوشاة جمع واش كغزاة جمع غاز وهم الذين يوشون بين المحب والمحبوب ليفسدوا بينهما سموا وشاة لانهم يشون الحديث أى يزينونه ويحسنونه تسمى أخذا من الوشي الذى هو تزيين الثياب وتحسينها وقوله جنابيها أى جنابي سعاد المتقدم ذكرها والجنابان تثنية جناب بفتح الجيم وهو فناء الشيء بكسر الفاء وماقرب من محلة القوم ويروى حواليها بدل جنابيها وهو جمع حول بمعنى جهة فالمعنى تسعى الوشاة فى جهتها بالافساد بينه وبينها وتنفيرها عنه وهذا قد ابتلى به كثير من المحبين فيمن يحبونه فقل ان يظفر الانسان بمن يحبه الا حسد عليه وتطرقت عيون الوشاة اليه فاستمالوه عنه وان كان الصادق فى المحبة لا يصرف قلبه عمن يحبه اعراض ولا صدود ولم تزل الناس قديما وحديثا على ذم الوشاة والتحذير منه ولله در القائل عندى لكم يوم التواصل دعوة * يامعشر الجلساء والندماء أشوي كبود الحاسدين بها وألسنة الوشاة وأعين الرقباء وقال بعضهم لاتسمعن من الحسود مقالة * لوكان حقا مايقول الواشي وقد ورد الكتاب والسنة بذم السعاية والمشي بالنميمة وافساد ما بين الاحبة قال تعالي ياأيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين وانما سماه الله تعالى فاسقا لانه لما نم ومشى فى السعاية خرج عن أن يكون ثقة ولذلك عتب انسان على شخص فى كلام نقل عنه فقال من أخبرك به قال الثقة قال لو كان ثقة مانم وقد ذمه الله تعالي ونهى عن طاعته بقوله ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم وتوعده بالويل فى قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة وقال صلى الله عليه وسلم أبغضكم الى

المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة وهذا مرض قد ابتلى به كثير من الناس فيصير فيه طبعا مركبا وغريزة ثابتة فلا يستطيع ان يسمع حديثا الا نقله ولا مجلسا الا حكاه كما قيل تراه يلتقط الاخبار مجتهدا * حتى اذا ما وعى هازق ما لقطا ووشى واتى رجل الى ذي القرنين فقال ان شئت سمعنا منك ما تقول فيه على أن نسمع منه ما يقول فيك وان شئت عفونا عنك فقال العفو ولا أعود وقد جرت العادة بان من قال لك قال عليك ومن نقل حديث غيرك اليك نقل حديثك الى غيرك وقوله وقولهم انك (٧١) يا ابن أبي سلمى لمقتول عطف على قوله تسعى الوشاة الخ من قبيل عطف الجملة الاسمية على الجملة الفعلية فالواو للعطف وجعلها بعضهم واو الحال وقولهم باشباع الميم ويروي وقيلهم باشباع الميم أيضا والقيل مصدر كالقول يقال قال قولا وقيلا ومقالا ومقالة وعلى كل فهو مبتدا خبره جملة قوله انك لمقتول وهى عين المبتدا فى المعنى فلا تحتاج الى رابط وجملة النداء اعتراضية بين اسم ان وخبرها والمراد من ابن أبي سلمى كعب بن زهير بن أبي سلمى فقد نسبوه لجده الذى هو ابو سلمى كما فى قوله صلى الله عليه وسلم أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب وسلمى بضم السين على وزن حبلى قال علماء الحديث وليس فى العرب سلمى بضم السين غيره واللام من المقتول لام الابتداء وفائدتها زيادة التأكيد ومعنى مقتول متوعد بالقتل لانه صلى الله عليه وسلم أمر بقتله واهدر دمه حيث قال من لقى كعبا فليقتله وغرضهم بذلك ارجافه وتخويفه وتضييق سبيل النجاة عليه فقد انتقل من ذكر سعى الوشاة بينه وبينها الى ذكر تخويفهم له بالقتل الذي اوعده به النبي صلى الله عليه وسلم حين اهدر دمه قبل اسلامه والحاصل ان امر الوشاة معه يرجع الي مقصدين الاول سعيهم بينه وبينها لتنفيرها عنه وهو المعنى بقوله تسعى الوشاة جنابيها اوحواليها الثاني ارجافهم له وتخويفهم اياه واظهار الشماتة به وهو المعنى بقوله وقولهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول فلم يكف كعبا ما لاقاه من صد محبوبته وبعدها عنه بحيث صارت الى ارض لا يبلغها الا الناقة التى وصفها بالصفات السابقة بل تضاعف غمه وكثر همه لكون الوشاة يسعون بينه وبينها

تسعى من قولهم سعى به الى السلطان سعاية اذا وشى به أو من قولهم سعا سعيا اذا عدا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اذا أتيتم الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون أو من قولهم سعى اليه اذا أتاه ومنه فاسعوا الى ذكر الله والوشاة جمع واش كالرماة والغزاة والقضاة والواشى اسم فاعل من وشي به يشي وشاية ووشيا اذا سعى به سموا بذلك لانهم يشون الحديث أى يزينونه ومنه سمي الوشى وشيا والجناب بفتح الجيم الفناء بكسر الفاء وما قرب من محلة القوم وجمعه أجنبة مثل قذال وأقذلة وطعام وأطعمة يقال أخصب جناب القوم وساروا جنابيه أى ناحيتيه وأما قولهم فرس طوع الجناب فانه بكسر الجيم ومعناه سهل القياد ومثل الجناب بالفتح الجنابة والجنبة معناهما أيضا الناحية يقال نزل جنبة الوادي أى ناحية منه قال الفرزدق فبتن جنابتى مطرحات * وبت أفض معقود الختام

وانتصاب جنابيها على الظرفية المكانية لانه مبهم لانه بمعنى الناحيتين وهذا مبهم ولا يخرجه عن الابهام اختصاصه بالاضافة كما تقول جلست مكان زيد وقعدت موضعه وزيد مكان عبد الله وموضعه وفى أمثلة سيبويه هما خطان جنابتى أنفها بالتأنيث وأورده فى صنف المبهم والابهام فيه ظاهر كما ذكرنا ونظره سيبويه بقول الاعشى

﴿ نحن الفوارس يوم الحنو ضاحية * جنبي فطيمة لا ميل ولا عزل ﴾

وفطيمة جبل وقيل امرأة قعدت مع بناتها وقاتل قومها عنها ولم تختص الجنبتان باضافتهما الى الجبل او المرأة بل هو باق على ابهامه لان أصله الابهام وانما عرض له الاختصاص فى التركيب بخلاف المسجد الدار فانما لا يتطلق على كل موضع بل هو باطل وضعه لمعين مخصوص ويروي حواليها وهو بمعنى جنابيها يقال قعد واحوله وحوا[redacted]حوليه وحواليه قال تعالى فلما أضاءت ما حوله وقال الشاعر * وأنا أمشي الدألى حوالكا وقال آخر * ماء رواء ونصي حوليه * وفى الحديث اللهم حوالينا ولا علينا والعامل هنا محذوف أى اللهم انزل المطر حوالينا ولا تنزله علينا وقال امرؤ القيس

﴿ فقالت سباك الله انك فاضحى * ألست ترى السمار والناس أحوالى ﴾

ولم يسمع أحوال بهذا المعنى الا فى هذا البيت وضمير جنابيها أو حواليها السعاد التى ذكر انه لا يبلغه أرضها الا العتاق المراسيل التى وصفها أي ان الوشاة يسعون اليها بوعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم اياه وجملة تسعى الوشاة حواليها مستأنفة للتخلص للمدح أو حال من سعاد أي فارقت والحال ان الوشاة يسعون حولها وقوله وقولهم الواو للحال وما بعدها مرفوع بالابتداء والجملة بعده خبر وهى نفس المبتدأ فى المعنى فلا تحتاج الى رابط ويروي بنصب ما بعد الواو على انه مصدر ناب مناب فعله مثل سبحان الله ومعاذ الله بمعنى أسبحه وأعوذ به أي يسعون ويقولون والواو على هذا واو العطف ويضعف أن تكون واو الحال حتى يقدر ان الاصل وهم يقولون لتكون الواو داخلة على الجملة الاسمية ويروي وقيلهم رفعا ونصبا يقال قال قولا وقالا وقيلا ومقالا ومقالة وفى كتاب الوقف والابتداء لابي حاتم السجستاني فى قوله تعالي وقيله يارب انتصب قيله على المصدر وقد روى الاصمعي وغيره قول كعب رضى الله عنه وقولهم منصوبا على تقدير ويقولون قولهم ولا يجوز أن تقرأ الآية الكريمة الا بالنصب وأما من جر أو رفع فقوله بظن وتخليطا انتهى ملخصا وهذا تخليط منه وجنون فان القراءة بالجر ثابتة فى السبعة وهى قراءة حمزة وعاصم ووجهت بالعطف على الساعة وباضمار مضاف أى وعنده علم الساعة وعلم قيله وهما بعيدان وباضمار

ويبعدون عنه وصلها ويخوفونه بالقتل ويشمتون به (قوله وقال كل خليل الخ) عطف على قوله وقولهم انك الخ فهو من عطف الجملة الفعلية على الجملة الاسمية لانها ترجع في المعنى الى الفعلية فالتقدير وقالوا انك الخ وقال كل خليل الخ فلما سمع الوعيد من الوشاة جاء لاخلائه الذين كان يأملهم للشدائد ويستجير بهم فقالوا له ماذكر يأسا من سلامته وخوفا من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه ان آووه ونصروه لانه صلى الله عليه وسلم أهدر دمه (٧٢) واذن في قتله لكل من لقيه ولفظه كل هنا للمبالغة كما في قولهم اعرض كل الناس عن فلان والخليل من الخلة بالضم وهي صفاء المودة ويكون من الخلة بالفتح وهي الحاجة كما في قول زهير

وان اتاه خليل يوم مسغبة
يقول لاغائب مالي ولا حرم

وأما الخلة بالكسر فهي النبت المعروف ومقام الخليل مقام قبول محض ولذلك قال ابن الفارض

أخلاي انتم أحسن الدهر أم أسي
فكونوا كما شئتم فاني أنا الخل

وجملة قوله كنت آمله صفة لخليل فهي محل جر أو صفة لكل فهي في موضع رفع والاول اولى لان لفظه كل انما تدخل لافادة العموم فالمسند اليه في الحقيقة مخفوضها والمراد كنت آمل خيره وأترجى اعانته لي في المهمات لان الذوات لا تؤمل وجملة قوله لا ألهينك بلا النافية وفي رواية لألهينك بلا القسم في محل نصب مقول القول والتوكيد على الرواية الاولى ضرورة بخلافه على الرواية الثانية فانه مقيس والمعنى على الرواية الاولى لاأشغلنك عما أنت فيه من الخوف والفزع بان أسهله عليك وأسليك فاعمل لنفسك فاني لاأغني عنك شيئا وعلى الرواية الثانية والله لاجعلنك مشغولا عني فلا تطلب مني نصرة ولا معونة وألهينك بضم الهمزة وأما من ألهى بمعنى شغل قال تعالى الهاكم التكاثر أي شغلكم وجملة قوله اني عنك مشغول في موضع التعليل لما قبله فان كان التعليل على طريق الاستئناف فان مكسورة الهمزة وان كان على اضمار لام التعليل فان مفتوحة الهمزة أى لاني مشغول عنك باموري نفسي فلا تطلب مني نصرة ولا معونة وعنك جار ومجرور متعلق بمشغول وحاصل معنى البيت ان كل صديق كان يرجوه

فعل القسم وحرفه ويكون ان هؤلاء قوم لايؤمنون جواب القسم ولا يتعين في قراءة النصب ماذكر من كونه مصدرا بل يجوز ان يكون على النصب بعد اضمار حرف القسم ويتم حينئذ توجيه القراءتين وان يكون عطفا على مفعول مذكور وهو سرهم ونجواهم أو محذوف معمول ليكتبون أو ليعلمون أي يكتبون ذلك ويكتبون قيله أو يعلمون الحق وقيله أو على محل الساعة وفيه بعد وأما الرفع فقراءة شاذة وهي على الابتداء وما بعده الخبر أو على الابتداء والخبر محذوف أي قسمي أو يميني مثل أيمن الله ولعمر الله وقوله يا ابن ابي سلمى جملة معترضة بين اسم ان وخبرها ونسب بنوته لجده كقوله عليه الصلاة والسلام انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب وسلمى بضم السين قال التبريزي وليس في العرب سلمى بالضم غيره وقوله لمقتول أي لصائر الى القتل ومثله انك ميت وانهم ميتون وفي الحديث من قتل قتيلا فله سلبه قال

(وقال كل خليل كنت آمله * لا ألهينك اني عنك مشغول)

لما سمع هذا الوعيد التجأ الى اخوانه الذين كان يأملهم ويرجوهم فيتبرؤا منه يأسا من سلامته وخوفا من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمة كل هنا للمبالغة كما تقول اعرض الناس كلهم عن فلان ومثله ولقد أريناه آياتنا كلها وكان ومعمولاها صفة لخليل فموضعها خفض أو لكل فموضعها رفع والاول أولى لان كلا انما تدخل لافادة العموم والمسند اليه بالحقيقة مخفوضها ومن ثم كان ضعيفا قوله

وكل أخ مفارقه أخوه * لعمر ابيك الا الفرقدان

من وجهين احدهما استعمال الا صفة مع امكان الاستثناء وانما يحسن ذلك عند تعذره كقوله تعالى كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقولهم لو كان معنا رجل الا زيد لغلبنا اذ الاستثناء من النكرة انما يجوز اذا كانت عددا نحو له عندي عشرة الا واحدا او موصوفة بصفة [illegible] نحو جاءني رجال جاؤك الا واحدا منهم أو كانت في غير الايجاب نحو ماجاءني رجل الا زيدا ولا يجوز فيما عدا ذلك لا يقال جاءني رجال الا زيدا ولا جاءني رجل الا عمرا والثاني انه وصف كلا وكان حقه أن يصف مخفوضها لانه المقصود والخليل فعيل من الخلة بالضم وهي الصداقة ويكون الخليل بمعنى الفقير من الخلة بالفتح وهي الحاجة وفي ذلك يقول زهير

وان أتاه خليل يوم مسغبة * يقول لاغائب مالي ولا حرم

وجوزوا لذلك قولهم في حق ابينا ابراهيم عليه الصلاة والسلام خليل الله ان يكون بمعنى فقير الله وقوله آمله أي آمل خيره أو معونته لان الذوات لا تؤمل وقوله لا ألهينك الجملة نصب بالقول ولا نافية فالتوكيد بالنون ضرورة أو جائز في النثر على الخلاف المتقدم بخلاف التوكيد بعد لا الناهية فانه قياس ويجوز كون لا ناهية على حد قولهم لا أرينك ههنا فالتوكيد مثله في قوله فلا يغرنك مامنت وما وعدت وقد مضى شرحه ومعنى لا ألهينك لا أشغلنك عما أنت فيه بان أسهله عليك وأسليك فاعمل لنفسك فاني لا أغني عنك شيئا يقال لهيت عنه ألهى مثل خشيت أخشى اذا تشاغلت عنه بغيره وفي الحديث اذا استأثر الله بشيء فاله عنه أي تشاغل عنه وتغافل وكان ابن الزبير اذا سمع المؤذن لها عن كل ما بحضرته فاذا اردت تعديته ادخلت عليه همزة النقل فقلت ألهيته عنه أي شغلته عنه ومنه الهاكم التكاثر ومشغول اسم مفعول من شغله يشغله بالفتح فيهما لا لأجل حرف الحلق وعنك متعلق به وان ومعمولاها اما بدل من لا ألهينه كقوله تعالى أمدكم بما تعلمون أمدكم بانعام وبنين وجنات وعيون وقول الشاعر * أقول له ارحل لا تقيمن عندنا *

لشدائده ويخباه لوقت مصائبه قال له لا أشغلنك عما أنت فيه أولا جعلنك مشغولا عني على الروايتين السابقتين لاني مشغول عنك بامور نفسي والمشغول لا يشغل (قوله فقلت خلوا سبيلي الخ) أي فقلت للاخلاء اتركوا طريقي لاذهب لرسول الله ﷺ وأتمثل بين يديه خلوا بمعنى اتركوا لانه فعل أمر من التخلية بمعنى الترك والسبيل كالطريق وزنا ومعنى فلما أيس من نصرة أخلائه وتحقق أنهم لا يغنون عنه شيأ أمرهم أن يخلوا طريقه ليذهب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويمثل بين يديه (٧٣) لانه تحقق انه صلى الله عليه وسلم يقبل من جاء اليه تائبا ولا يطالب بما كان قبل الاسلام فان أخاه قد كتب اليه كتابا يخبره بذلك كما تقدم ذكره وكان ذلك قد شاع عنه صلى الله عليه وسلم في قبائل العرب فادركته العناية الالهية لينال السعادة الابدية وشرح الله صدره للاسلام وهداه الى الصراط المستقيم وقوله لا أبالكم باشباع الميم ذم لهم لكونهم لم يغنوا عنه شيأ ووجه كون ذلك ذما أنه كناية عن الخسة لان نفي النسب وجهله يستلزم خسة المنفي عنه أو مدح لهم على سبيل التهكم والاستهزاء ووجه كون ذلك مدحا أنه كناية عن عدم النظير لانه لو كان له أب لكان له نظير عادة وهو أخوه فكلمة لا أبا لكم تستعمل للمدح والذم ثم ان لا نافية للجنس وابا اسمها منصوب بالالف لكونه مضافا للكاف واللام زائدة لتأكيد معنى الاضافة فهي مقحمة بين المتضايفين وبحث في ذلك بانه اذا كان مضافا للكاف تعرف بالاضافة فلا تعمل فيه لا لكونها لا تعمل الا في النكرات وأجيب بان زيادة

(١٠ - بانت سعاد) اللام بين المتضايفين جعلت الاضافة كالعدم وقيل ان اللام أصلية والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة للاب وانما لم ينون حملا للشبيه بالمضاف على المضاف وعلى كل من هذين القولين فالخبر محذوف وقيل ان الجار والمجرور هو الخبر وعلى هذا فاسم لا مفرد مبني ولكنه جاء على لغة من يقول ان أباها وأبا أباها * قد بلغا في المجد غايتاها وقوله فكل ماقدر الرحمن مفعول أي لان كل شيء قدره الرحمن من حياة أو موت أو غيرهما مفعول لا محالة فالفاء للتعليل وما نكرة موصوفة بمعنى شيء والجملة بعدها صفة ومفعول خبر

واما في موضع التعليل فان كان على طريقة الاستئناف كسرت ان كما في وجه الابدال وان كان على اضمار اللام فتحت وقد مضى هذا مشروحا في شرح قوله * ان الاماني والاحلام تضليل * قال

﴿ فقلت خلوا سبيلي لا أبالكم * فكل ماقدر الرحمن مفعول ﴾

لما يئس من نصرة اخلائه أمرهم أن يخلوا طريقه ولا يحبسوه عن المثول بين يدي النبي ﷺ فيمضي فيه حكمه فان نفسه قد أيقنت ان كل شيء قدره الله تعالى فهو واقع وخلوا أمر من التخلية وهي الترك والسبيل والطريق متفقان في المعنى وفي الوزن وفي الجمع على فعل وفي جواز تخفيف عين الجمع بالاسكان والصراط مثلهما الا في الوزن ويجوز في الثلاثة التذكير والتأنيث ومن ادلة تأنيث السبيل قوله تعالى ولتستبين سبيل المجرمين في قراءة ابن كثير وابن عامر وأبي عمرو وحفص بتأنيث الفعل ورفع السبيل وأما استدلال كثير من أهل اللغة والتفسير بقوله تعالى قل هذه سبيلي فغلط لان المراد هذه الطريقة التي أنا عليها سبيل وليست الاشارة للسبيل ولو صح هذا الاستدلال لصح الاستدلال على ان الرحمة مذكرة بقوله تعالى قال هذا رحمة من ربي ومن أدلة تذكيره قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ولا دليل في قراءة أبي بكر والاخوين ليستبين بالتذكير وسبيل بالرفع لان التأنيث المجازي يجوز معه تذكير الفعل المسند الى ظاهر (وقوله لا ابالكم) لا نافية للجنس وابا اسمها وهو معرب والكاف والميم مضاف اليه واللام زائدة لتأكيد معنى الاضافة فلا تعلق بشيء وأقحمت بين المتضايفين كما أقحمت بينهما في قوله

يابؤس للحرب التي * وضعت أراهط فاستراحوا

وهي معتد بها من وجه دون وجه أما وجه الاعتداد فان اسم لا التبرئة لا يضاف الى المعرفة فهذه اللام مزيلة لصورة الاضافة وأما وجه عدم الاعتداد فهو ان ماقبلها معرب بدليل ثبوت الالف وانما يعرب اسم لا اذا كان مضافا أو شبيها بالمضاف هذا قول سيبويه والجمهور ويشكل عليه قولهم لا أبالي ولا يجوز أن تعرب الاسماء الستة بالاحرف اذا كانت مضافة للياء وذهب هشام وابن كيسان وابن مالك الى أن اللام غير زائدة وانها ومصحوبها صفة للاب فيتعلق بكون محذوف مرفوع أو منصوب وأنهم نزلوا الموصوف منزلة المضاف بطوله بصفته ولمشاركته للمضاف في أصل معناه اذ معنى أبوك وأب لك شيء واحد ويشكل عليه أن الاسماء الستة لا تعرب بالحروف الا اذا كانت مضافة وأنهم يقولون لا غلامي له فيحذفون النون ويجاب عنهما بان شبيه الشيء جار مجراه وعلى القولين فيحتاج الى تقدير الخبر وذهب الفارسي وابن يسعون وابن الطراوة الى أن اللام زائدة وانها ومجرورها خبر فيتعلق بكون محذوف مرفوع وان اسم لا مفرد مبني ولكنه جاء على لغة من يقول

ان أباها وأبا أباها * قد بلغ في المجد غايتاها

ويرده أمران أحدهما ان الذي يقول جاء في أباك بعض العرب والذي يقول لا أبا لزيد جميع العرب والثاني قولهم لا غلامي له بحذف النون (واعلم) ان قولهم لا أباله كلام يستعمل كناية عن المدح والذم ووجه الاول ان يراد نفي نظير الممدوح بنفي أبيه ووجه الثاني انه يراد أنه مجهول النسب والمعنيان محتملان هنا

كل فتيقن ان ماقدره الله له أو عليه لا بد أن يستوفيه لامحيد عنه ولا براح له عن استيفائه توفيقا لمذهب أهل الحق ومنزج الصدق قال تعالى انا كل شيء خلقناه بقدر وقال تعالى وكان أمر الله قدرا مقدورا وقد أخرج أبو داود من حديث عبادة بن الصامت انه قال لابنه يابني انك لا تجد طعم حقيقة الايمان حتى تعلم ان ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول أول ماخلق الله القلم قال اكتب قال يارب وما أكتب قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة من مات على غير هذا فليس مني وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله ﷺ يقول كتب الله مقادير الخلائق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة والحاصل ان كعبا أدركته العناية الالهية من وجهين الاول قوة عزمه على لقاء النبي ﷺ والمسير اليه كما يشير اليه قوله فقلت خلوا سبيل لا أبا لكم والثاني ركونه الى القدر واعترافه بوقوعه محالة كما أشار الى ذلك بقوله فكل ماقدر الرحمن مفعول (قوله كل ابن أنثى الخ) كل مبتدأ خبره محمول وابن مضاف اليه والمراد بالابن مايشمل البنت وان كان لفظ الابن لا يقع في اللغة الا على الذكر واقتصر على نسبته الانثى لان لحوقه (٧٤) بها قطعي بخلاف لحوقه بالرجل فانه ظني ولان بعض الافراد لا أب له كعيسى عليه السلام وقوله وان طالت سلامته عطف على محذوف والتقدير ان قصرت سلامته وان طالت والجملتان في محل نصب على الحالية من ضمير محمول أى مستويا قصر سلامته وطولها لان الجملة الشرطية يجوز ان تقع حالا اذا شرط فيها الشيء ونقيضه نحو لاضربنه ان ذهب وان مكث والذي سوغ حذف الجملة الاولى التي هي أن قصرت أنه اذا ثبت الحكم على تقدير طول سلامته فثبوته على تقدير قصر سلامته من باب أولى على حد زيد وان كثر ماله بخيل وان وصلية فلا جواب لها وقيل الجواب محذوف لدلالة خبر المبتدا عليه أى ان قصرت سلامته وان طالت فهو محمول على حد قوله تعالى وانا ان شاء الله لمهتدون ويوما ظرف لمحمول مقدم عليه أى محمول في يوم وليس متعلقا بطالت لفساد المعنى عليه وعلى آلة جار ومجرور متعلق بمحمول وحدباء من معانيها الضيقة ومن معانيها أيضا المرتفعة ومنه الحدب من الارض أى المرتفع منها والمراد بالآلة الحدباء هنا النعش سمي بذلك لضيقه أو لارتفاعه على القولين المذكورين في معنى الحدباء وقيل لصعوبة سبب مرتقاه وهو الموت وقيل أخذا من قولهم ناقة حدباء اذا بدت جوانبها لان النعش كذلك والظاهر أنه سمي بذلك تشبيها بالرجل الاحدب لان العرب لم تكن تعرف الاسرة المعمولة من الخشب وانما كانوا يأخذون عصيا يربعونها تربيعا مستطيلا وينسجون وسطها بالحبال ثم يحملون عليها موتاهم والعرب في البوادي على ذلك الي الان وهذه الالة اذا وضع عليها الميت وثقل على الحبال برزن عن العصى من جهة السفل فاشبهت الرجل الاحدب في بروز ظهره وما أحسن قول الشاطبي ملغزا في النعش أتعرف شيأ في السماء يطير * اذا سار صاح الناس حيث يسير فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا * وكل أمير يعتليه أسير يحض على التقوي ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير ولم يستزر عن رغبة في زيارة * ولكن على رغم المزور يزور وحاصل معنى البيت أن كل مولود

اما الثاني فواضح لانهم لما لم يغنوا عنه شيأ أمرهم بتخلية سبيله ذاما لهم وأما الاول فعلى وجه الاستهزاء وقوله فكل الفاء للتعليل والمعلل الامر وما بينهما اعتراض وما بمعنى شيء أو بمعنى الذى وعائد الصلة أو الصفة محذوف وهو مفعول قدر (والرحمن) معناه الواسع الرحمة وهل هو صفة غالبة ملتحقة بالاعلام كالدبران والعيوق أو صفة محضة كالغضبان الاول اختيار الاعلم وابن مالك وعليه فهو في البسملة بدل والرحيم صفة له أى للرحمن لا صفة لله لانه لا يتقدم البدل على النعت والثاني قول الجمهور وعليه فهو والرحيم صفتان وحينئذ يصح ايراد السؤال المشهور وهو ان يقال لم بدىء بالوصف الابلغ وانما المألوف ان يختم به فيقال عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض ولذلك أجوبة مذكورة في موضعها قال

﴿ كل ابن أنثى وان طالت سلامته * يوما على آلة حدباء محمول ﴾

يقول اذا كان كل من ولدته أنثى وان عاش زمنا طويلا سالما له من النوائب فلا بد له من الموت فلم الجزع يانفس ولم تفرحون أيها الشامتون ومنه

اذا ما الدهر جر على أناس * كلاكله أناخ باخرينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

وللآلة ثلاثة معان أحدها النعش ذكره الجوهري وانشد عليه هذا البيت وما أحسن قول الشاطبي رضي الله عنه ملغزا في النعش

أتعرف شيأ في السماء يطير * اذا سار صاح الناس حيث يسير
فتلقاه مركوبا وتلقاه راكبا * وكل أمير يعتليه أسير
يحض على التقوي ويكره قربه * وتنفر منه النفس وهو نذير
ولم يستزر عن رغبة في زيارة * ولكن على رغم المزور يزور

الثاني الحالة وعليه حمل التبريزى وغيره هذا البيت والحالة والآلة متقاربان أحرفا متماثلان وزنا ومعنى قال

قد أركب الآلة بعد الآلة * وأترك العاجل بالجدالة

الثالث الاداة التي يعمل بها (والحدباء) تأنيث الاحدب ومعناها هنا قيل الصعبة وقيل المرتفعة ومنه الحدب من الارض وقيل انه من قولهم ناقة حدباء اذا بدت حراقيفها لان الآلة التي يحمل عليها تشبه الناقة الحدباء في ذلك وأصل الحدب الميل ومنه قولهم لمن عطف على شخص حدب عليه بكسر الدال أى مال اليه وانخفض له والظرف معمول لان لخبر كل وربما يسبق الى الخاطر تعلقه بوما بطالت وهو فاسد في المعنى وما بين المبتدأ والخبر معترض وجواب الشرط محذوف سد مسده خبر ما قبله ومثله وانا ان شاء الله لمهتدون والواو من قوله وان قال جماعة واو الحال والصواب انها عاطفة على حال محذوفة معمولة للخبر والتقدير محتمل لوجهين أحدهما أن يكون الاصل محمول على آلة حدباء على كل حال وان طالت سلامته فيكون من عطف الخاص على العام والثاني أن يكون الاصل ان قصرت مدة سلامته وان طالت كما تقول آتيك ان أتيتني وان لم تأت ويجوز للجملة الشرطية ان تقع حالا اذا شرط فيها الشيء ونقضيه نحو لاضربنه ان ذهب وان مكث والذي سوغ حذف الشرطية الاولى الا الثانية أبدا منافية لثبوت الحكم والاولى مناسبة لثبوته فاذا أثبت الحكم على تقدير وجود المنافي دل ثبوته على تقدير المناسب من باب أولي ودل هذا على ذلك المقدر ومتى أسقطت الواو من هذا البيت ونحوه فسد المعنى قال

﴿ أنبئت أن رسول الله أوعدني ❋ والعفو عند رسول الله مأمول

جميع ما تقدمه توطئة لهذا البيت فان غرضه من القصيدة التنصل والاستعطاف ومعنى أنبئت أخبرت خبرا صادقا ويروى نبئت وهو بمعناه وترك ذكر الفاعل هنا لامرين أحدهما انه لا يتعلق بتعيينه غرض ومثله اذا قيل لكم تفسحوا واذا قيل انشزوا واذا حييتم بتحية والثاني أن مقام الاستعطاف يناسبه ان لا يحقق الخبر بالوعيد بل ان يؤتي به ممرضا كما يقال روى كذا وان وصلتها اما على تقدير الباء وهو الأصل مثل أنبئهم باسمائهم نبؤني بعلم واما سادة مسد المفعولين على تضمين انبأ ونبأ معنى اعلم واري والوعد في الخير والايعاد في الشر ولهذا قال بعض فصحاء العرب في دعائه يامن اذا وعد وفى واذا أوعد عفا قال الشاعر

وانى اذا أوعدته أو وعدته ❋ لمخلف ايعادي ومنجز موعدي

وان طالت سلامته من العوارض والآفات فلا بد من وروده حياض الموت وحمله الى الرمس وهو تراب القبر فالموت لا مخلص منه بالفرار ولا امتناع منه بالتحصن فمم الجزع يا صاحب الفزع وبم تفرحون أيها الشامتون ولله در من قال وقل للشامتين بنا افيقوا ❋ سيلقى الشامتون كما لقينا (قوله انبئت ان رسول الله الخ) وروي نبئت ان رسول الله الخ وهو بمعناه وكل من أنبئت ونبئت بصيغة المجهول ونائب الفاعل مفعول أول وان ومعمولاها سدت مسد الثاني والثالث لان كلا من أنبأ ونبأ يطلب ثلاثة مفاعيل وترك ذكر الفاعل لانه لا يتعلق بتعيينه غرض ولان مقام الاستعطاف يناسبه تمريض الخبر بالوعيد كان تقول روي كذا لا تحقيقه وقوله اوعدني أي بالقتل وقد تقدم ان أوعد في الشر ووعد في الخير ولذا قال بعض فصحاء العرب في دعائه يامن اذا وعد وفى واذا أوعد عفا وقوله والعفو عند رسول الله مأمول اي والحال ان العفو والصفح مرجو ومطموع فيه عند رسول الله ﷺ وانما أعاد ذكر رسول الله لاظهار التعظيم وللاشعار بالتفخيم ففي ذكر صريح اسمه ما ليس في ضميره من التعظيم والتفخيم ولان فيه تكرار الاعتراف بالرسالة وهو مستجلب للعفو ومقتض للرضا وروى انه ﷺ لما سمع هذا البيت قال العفو عند الله مأمول اشارة الى ان اصل (٧٥) العفو الذى عنده من عند الله فهو الاصل وجميع ما تقدم توطئة لهذا البيت فان غرضه من القصيدة الاستعطاف واسترضاؤه عليه الصلاة والسلام واستجلاب أخلاقه الكرام وكان صلى الله عليه وسلم من أبعد الناس غضبا وأسرعهم رضا والاحاديث بحلمه ﷺ واردة والاخبار والآثار بعفوه وصفحه متواترة ففي حديث عائشة وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا أن تنتهك حرمات الله تعالى فينتقم لذلك وجيء اليه صلى الله عليه وسلم برجل فقيل له هذا أراد أن يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع لو أردت ذلك لم تسلط علي وتصدي له صلى الله عليه وسلم غورث بن الحرث في بعض الغزوات وهو صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا والناس قائلون فلم ينتبه صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم بالسيف في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من يده فاخذه صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني فقال كن خير آخذ فعفا عنه فجاء الى قومه وقال جئتكم من عند خير الناس وجاء زيد بن شعبة قبل اسلامه يتقاضاه ﷺ دينا كان عليه فجبذ ثوبه عن منكبيه وأخذ بمجامع ثيابه واغلظ عليه القول ثم قال انكم يا بني عبد المطلب مطل فانتهره عمر وشدد له في القول والنبي ﷺ يتبسم فقال النبي ﷺ أنا كنا الى غير هذا أحوج منه تأمرني بحسن القضاء وتأمره بحسن التقاضي ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم بقي من أجله ثلاث وامر عمر يقضيه من ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان ذلك سبب اسلامه الى غير ذلك من الاحاديث الصحيحة والاخبار المتواترة وقد تقرر ان العفو والصفح من اخلاق رسول الله ﷺ فالتخلق بخلقه والتمسك بسنته امر مندوب اليه ومرغب فيه تأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وقد أمر الله تعالى بالعفو والصفح في قوله وليعفوا وليصفحوا وقال عز وجل فمن عفى وأصلح فاجره على الله فينبغي للانسان العفو والصفح خصوصا عن صديقه فان الهفوات

قد تعرض فى المودات المستقيمة كما تعرض الامراض للاجسام السليمة وقد قال بعض الحكماء لاصديق لمن أراد صديقا لاعيب فيه ولله در القائل حيث يقول أقل ذا الود عثرته وقفه * على سنن الطريق المستقيمة ولا تسرع بمعتبة اليه * فقد يهفو ونيته سليمة بالجملة فالناس لا يسلمون من الهفوات ولذلك قيل من رام سالما من هفوة فقد رام من الدهر خلاف ما هو عليه (قوله فقد أتيت رسول الله الخ) عطف على أنبئت الخ أي فقد جئت رسول (٧٦) الله حال كوني معتذرا له والحال ان العذر عند رسول الله مقبول فالواو للحال قال بعضهم و العذر عند خيار الناس مقبول

واللطف من شيم السادات مأمول وهذا البيت أعنى قوله فقد أتيت رسول الله الخ غير موجود فى أكثر النسخ ولذلك لم يكتب عليه أكثر الشراح (قوله مهلا هداك الخ) هذا البيت و ما بعده تتميم للاستعطاف وقد التفت عن الغيبة فى البيت السابق الى الخطاب فى هذا البيت وأصل مهلا امهل على امهالا فهو مصدر أنيب عن فعله وحذف زائدة وهما الهمزة والالف ومعنى هداك زادك هدي فاقتضى ذلك هدي سابقا وهدى لاحقا وقيل المراد هداك الله للصفح والعفو عنى فيكون فى الحقيقة داعيا لنفسه وعلى كل بالجملة خبرية لفظا انشائية معنى وهو أبلغ من صيغة الطلب وقوله الذى أعطاك نافلة القرآن أى الله الذي أنزل عليك نافلة هى القرآن فالاضافة للبيان وسماه نافلة لانه زائد على العلوم النبوية التى أعطاه اياها وجعل القرآن زيادة له على تلك العلوم اذ النافلة العطية المتطوع بها زيادة على غيرها ولذلك قيل لما زاد على الفرائض من العبادات نافلة قال تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك وفى ذلك اعتراف بانزال اى القرآن من عند الله وانه ليس شعرا ولا كهانة كما زعم كفار قريش وهذا من تمام الاسلام الذى يحقن الدم و يصون عن القتل وقوله فيه أى فى القرآن وفى نسخة فيها أي فى النافلة وقوله مواعيظ وفى نسخة مواعيد وكلاهما بالتنوين للضرورة وقوله وتفصيل بالصاد المهملة أي تبيين ما يحتاج اليه من أمر المعاش والمعاد واحكام الاصول والفروع للعباد والجملة صفة للقرآن أو لنافلة القرآن أو مستأنفة

وما أحسن قول ابن الفارض

متي أوعدت أولت وان وعدت لوت * وان أقسمت لا تبري، القسم برت

وانما يستعمل وعد فى الشر مقيدا كقوله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا وفى البيت اعادة ذكر رسول الله ﷺ لاظهار التفخيم والتعظيم ولهذا أتى بعند ولم يأت بمن لان عند ادل على التفخيم ولتقوية الرجاء لانه قد ثبت و تواتر ان الصفح من اخلاق رسول الله ﷺ وانه لا يجزي بالسيئة السيئة ولكنه يعفو و يغفر ففى ذكر صريح اسمه ما ليس فى الضمير ولان فيه تكرار الاعتراف بالرسالة الذي هو مقتض للعفو و مستجلب للرضا ويذكر انه عليه الصلاة والسلام لما سمع هذا البيت قال العفو عند الله قال

(مهلا هداك الذى اعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل)

هذا البيت وما بعده تتميم للاستعطاف و الاستعطاف فيه من جهات أحداها ما اشتمل عليه من طلب الرفق به والاناة فى أمره بقوله مهلا وأصله امهالا وهو مصدر انيب عن فعله وحذف زائده الهمزة والالف والثانى الدعاء له فى قوله هداك الذى فانه خبر لفظا و دعاء معنى ومثله غفر الله لك وصلى الله على محمد وهو أبلغ من صيغة الطلب والثالث التذكير بنعمة الله عليه ليكون ذلك ادعى الي العفو شكرا للنعمة ووجه اشتماله على التذكير بالنعمة أمران أحدهما أن معنى هداك الله زادك هدي فاقتضى ذلك هدي سابقا و طلب هدي متجددا والثاني ان فى قوله نافلة القرآن اشارة الى أن الله انعم على رسوله عليه الصلاة والسلام بعلوم عظيمة علمه اياها وجعل الكتاب زيادة له على تلك العلوم وهذا أحسن ما يظهر لى فى تفسير قوله تعالى ثم آتينا موسي الكتاب تماما على الذي أحسن اى زيادة على العلم الذى أحسنه أي أتقن معرفته والذى دل على ارادة ذلك قوله نافلة القرآن اذ النافلة العطية المتطوع بها زيادة على غيرها ومنه قيل لما زيد على الفرض من العبادات نافلة وقال الله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ولهذا أيضا سمى ابن الابن نافلة قال الله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة والرابع الاقرار بالتنزيل وما اشتمل عليه من المواعظ والتفصيل والخامس التذكير بما جاء فى التنزيل من قوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين روي انها لما نزلت سال رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عنها فقال لا أدرى حتى أسال فمضي ثم رجع فقال يا محمد ان ربك أمرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أمر الله نبيه بمكارم الاخلاق قيل وليس فى التنزيل آية أجمع لمكارم الاخلاق منها قيل والمراد بالقرآن القراءة وليس بشيء وانما المراد الكتاب المنزل على الرسول المكتوب فى المصاحف المنقول عنه نقلا متواترا والاضافة فى نافلة القرآن مثلها فى اخلاق ثياب أو بمعنى فى على تقدير مضاف أى نافلة فوائد القرآن أو المضاف مقحم كاقحامه فى قول لبيد

تمنى ابنتاى ان يعيش أبوهما * وهل أنا الا من ربيعة أو مضر
فان حان يوما ان يموت أبوكما * فلا تخمشا وجها ولا تحلقا شعر
وقولا هو المرء الذي لاصديقه * أضاع ولا خان الصديق ولا غدر
الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

كانه قيل مافيه أو مافيها فقال فيه أو فيها مواعيظ وتفصيل وفى ذلك تذكير بما جاء فى التنزيل كقوله تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين روي انه لما نزلت هذه الآية سأل ﷺ جبريل عليه الصلاة والسلام عنها فقال لا أدري حتى أسأل فمضى ثم رجع فقال يا محمد ان ربك يامرك أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك (قوله لا تاخذني باقوال الوشاة الخ) هذا البيت من تتمة الاستعطاف والتلطف فى القول فلا وان كانت ناهية بحسب وضعها لكن المراد منها التضرع والتذلل والمعنى لا تستبيح دمى بسبب اقوال الوشاة الساعين بيني وبينك بالافساد والكذب والبهتان فتعبيره عنهم لوشاة بضم الواو والذين هم جمع واش وقد تقدم انه هو الذى يسعى بين المحب ومحبوبه بالافساد اشارة الى كذبهم وتعريضا لذمهم اذ السعاية والمشي بنميمة وافساد ما بين الاحبة خصوصا بالزور والبهتان أمر مذموم شرعا ومرفوض عقلا وقوله ولم أذنب أى والحال أني لم أذنب ذنبا أكون مؤاخذا به لان الله هداني للايمان والايمان يجب ماقبله من الذنب او لم اذنب الذنب الذى قيل عنى كله وغرضه بذلك التبرى من الذنب (٧٧) والتنصل منه لان عدم الاعتراف بالذنب يدل على الرهبة والخوف من ظهوره فانه اذا ظهر عظم خطره وكدر الخواطر ذكره فياخذ المسيء فى ستر الذنب والتنصل منه والاعتذار عنه ويظهر الخوف من الاطلاع عليه وحينئذ فيجب قبول عذره والاغضاء عن ذنبه ولا يكشف عن باطن عذره ولا يعنف بظاهر اساءته حتى تبين خجلته ولذلك لم يوبخ النبي صلى الله عليه وسلم كعبا رضي الله عنه وما أحسن قول القائل

اقبل معاذير من ياتيك معتذرا * ان بر عندك فيما قال أو فجرا

فقد أطاعك من يرضيك ظاهره * وقد أجلك من يعصيك مستترا

وبعضهم يعترف بالذنب ويقر بالتوبة فيقنع منه بظاهر التوبة ولا يكلف عذرا فيلجأ الى الكذب وقد قال ﷺ اياكم والمعاذر فان اكثرها مفاجر وانظر الى كرم الاخلاق من يوسف عليه الصلاة والسلام حين قال له اخوته تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين اذ كان جوابه لهم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ولله در القائل حيث يقول

العذر يلحقه التحريف والكذب * وليس فى غير ما يرضيك لى أرب

وقد اسأت فبالنعما التى سلفت * الا مننت بعفو ماله سبب

وقوله وان كثرت فى الاقاويل عطف على محذوف أي ان لم تكثر فى شاني الاقاويل وان كثرت فالمعنى على كل حال والاقاويل جمع أقوال وهى جمع قول فهى جمع الجمع والمراد منها الاكاذيب وحاصل معنى البيت لا تستبيح دمى ولا تعاقبنى فى جرمى بسبب أقوال الوشاة عنى والحال انى لم أذنب ذنبا يقتضي المؤاخذة بعد ان هداني الله للايمان أو لم أذنب الذنب الذى قيل عنى كله وان كثرت فى شاني الاكاذيب من القول (قوله لقد اقوم مقاما الخ) أى والله لقد أقوم مقاما الخ فهو جواب قسم محذوف على حد قوله تعالى لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ويروي اني اقوم مقاما الخ والرواية الاولى هى المشهورة وهى ابلغ فى المعنى لتاكيدها بالقسم المحذوف والمقام بفتح الميم ظرف مكان والمراد به مجلس النبي ﷺ والمراد بالقيام فيه حضوره والمعنى

اى ثم السلام عليكما ويجوز نصب القرآن على ان يكون حذف التنوين من نافلة ليس للاضافة بل لالتقاء الساكنين كما فى قول أبي الاسود

فالفيته غير مستعتب * ولا ذاكر الله الا قليلا

وتكون نافلة حينئذ اما حالا تقدمت واما مفعولا ثانيا والقرآن بدل وقوله تفصيل أى تبيين ما يحتاج اليه من أمرى المعاش والمعاد قال

(لا تاخذني باقوال الوشاة ولم * أذنب وان كثرت فى الاقاويل)

لا تأخذني سؤال وتضرع لا نهى وأكد بالنون كما أكد كعب بن مالك رضي الله عنه فعل الدعاء بالنون فى قوله

لاهم لولا انت ما اهتدينا * ولا صدقنا ولا صلينا

فانزلن سكينة علينا * وثبت الاقدام ان لاقينا

والمعنى لا تستبيح دمى باقوال من يزوق الكلام قصد الافساد وقوله ولم اذنب تنصل والجملة حالية أى لا تاخذني باقوال الوشاة غير مذنب وليست الجملة معطوفة لانه خلاف المعنى ولان الخبر لا يعطف على الطلب واما قوله

بايدي رجال لم يشيموا سيوفهم * ولم تكثر القتلى بها حين سلت

فلا مانع فى اللفظ من العطف لان الجملتين خبريتان وانما المانع فساد المعنى اذ المراد انهم لم يغمدوا سيوفهم فى حالة انتفاء كثرة القتلى بها بل فى حالة ثبوت كثرتهم وليس المراد الاخبار عنهم بقلة قتلاهم (وقوله وان كثرت) شرط حذف جوابه مدلول عليه بقوله لا تاخذني لان المتقدم هو الجواب خلافا للمبرد وابى زيد والكوفيين (والاقاويل) جمع أقوال والاقوال جمع قول قال

(لقد أقوم مقاما لو يقوم به * اري واسمع مالو يسمع الفيل)

فى هذا البيت حذف سبعة أمور احدها جملة قسم لان لقد لا تكون الا جوابا لقسم ملفوظ نحو تالله لقد آثرك الله علينا أو مقدر نحو لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ويروي اني أقوم مقاما والثاني حذف مفعول أرى أي أرى ما لو يراه الفيل والثالث والرابع ظرفان معمولان لارى وأسمع ان قدر صفتين ثانية وثالثة لمقاما أى أرى به واسمع به فان قدر أرى حالا من ضمير أقوم سقط هذان الحذفان والخامس والسادس جوابان للو الثانية ولو الثالثة لان قوله فى البيت بعده لظل يرعد جواب للاولى وهو دال على جواب لو الثانية المقدرة فى صلة معمول أري ولو الثالثة الواقعة فى صلة مفعول اسمع والسابع مفعول يسمع وهو عائد ما وانتصاب مقاما على الظرفية المكانية والجملة بعده صفة له والرابط بينهما مجرور الباء وبين يقوم ويسمع

على المضي أي لقد حضرت وقوله لو يقوم به اي لو يحضر فيه فيقوم بمعنى يحضر و به بمعنى فيه وقع التنازع بين يقوم و يسمع فى الفاعل وهو الفيل فايهما أعملته فيه أعطيت الآخر ضميره ووقع التنازع أيضا بين لو يقوم ولو يراه المقدر فى ضمن مفعول رأي ولو يسمع الفيل فى الجزاء الآتي فى البيت بعده أعنى قوله لظل يرعد فيجوز صرف الجزاء الى الاخير ويحكم بحذفه من الاولين ويجوز صرفه للاول ويحكم بحذفه من الاخيرين وجملة لو يقوم به مع جوابها صفة مقاما و الرابط الضمير فى به وأشار بذلك الي هيبة مجلسه ﷺ وانه فى غاية الاحترام والجلال وقد وصف سيدنا على كرم الله وجهه مجلسه ﷺ فقال اذا تكلم أطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير و اذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى يفرغ حديثه ولا شك ان ذلك من هيبته صلى الله عليه وسلم عندهم واحترامه لديهم فلم يزل ﷺ عظيم الهيبة عندهم رفيع القدر لديهم لا يزيدهم تلطفه بهم و تأنيسه لهم الا هيبة وقوله أري مفعوله محذوف والتقدير أرى مالو راه الفيل وجواب الشرط محذوف دل عليه المذكور اى لظل يرعد وليس بين أرى وأسمع تنازع فى المفعول وهو مالو يسمع الفيل اذ ليس المراد أري مالو يسمعه الفيل بل المراد أرى مالو يراه الفيل لظل يرعد واسمع مالو يسمعه الفيل لظل يرعد وجملة اسمع معطوفة على جملة أرى بالعاطف المذكور وهو الواو ثم انه يحتمل ان جملة أرى واسمع فى محل الحال من فاعل اقوم اي لقد اقوم مقاما حال كوني أرى فيه مالو يراه الفيل لظل يرعد واسمع فيه مالو يسمعه الفيل لظل يرعد ويحتمل انها معطوفة على جملة أقوم بعاطف مقدر وجملة اسمع معطوفة على عليها فكانه قال (٧٨) لقد أقوم مقاما وأرى وأسمع الخ والمعنى المضي اى لقد قمت ورأيت وسمعت وأشار بجملة أري الى هيبة رؤيته ﷺ فقد كان ﷺ مهابا فى نفسه محفوفا بالجلال والمظمة يهابه كل من رآه ويجله كل من لاقاه فقد جاء فى وصفه صلى الله عليه وسلم من رآه بداهة هابه ومن عاشره أحبه وفى صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه وما كنت أطيق أملأ عيني منه اجلالا له ولو قيل لى صفه استطعت لاني لم أكن أملأ عيني منه وقوله وأسمع مالو يسمع الفيل أي وأسمع الذي لو يسمعه الفيل أو شيا لو يسمعه الفيل فما اما موصولة بمعنى الذي والجملة التى بعدها صلة أو موصوفة بمعنى شيئا والجملة التى بعدها صفة وقد عرفت ان جواب الشرط قوله فى البيت بعد لظل يرعد ففى هذا البيت التضمين لتوقفه على البيت الذي بعده فى استقامة التركيب واشار بذلك الى هيبة سماعه ﷺ وكانه يشير الى سماع القرآن فان له هيبة تلحق السامعين له عند تلاوته لعظم خطره وقوة جلالته قال الله تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله) وقال عز وجل تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله

(قوله لظل يرعد الخ)هذا جواب لو على ما تقدم فهذا البيت مرتبط بالبيت قبله ولذلك تكلم عليهما الشراح معا وظل بمعنى صار ومعنى يرعد بفتح الياء وضم العين تاخذه الرعدة وهو بالبناء للفاعل ويصح بناؤه للمفعول يقال أرعد فلان اذا أخذته الرعدة والمعنى لصار الفيل يضطرب و يتحرك من الفزع وانما خص الفيل بذلك لانه أراد التعظيم والتهويل والفيل أعظم الدواب جثة وشانا كما قاله التبريزي وقوله الا أن يكون له من الرسول باذن الله تنويل اي الا ان يكون له من الرسول باذن الله تامين يسكن به روعه و تثبت به نفسه فالمراد من التنويل التامين وان كان معناه فى اصل اللغة اعطاء النوال الذي هو نعمة عظيمة ثم انه يحتمل أن يكون مضارع كان الناقصة فيكون تنويل اسمه مؤخرا وله خبره مقدما وانه مضارع كان التامة فيكون تنويل فاعله وله حال منه قد تقدم عليه وقوله من الرسول متعلق بيكون او بتنويل وكذلك قوله باذن الله وحاصل معنى البيتين اني قد حضرت مجلسا هائلا ورأيت فيه امرا عظيما وسمعت فيه كلاما عجيبا بحيث لو حضر فيه الفيل ورأي ما رايت وسمع ما سمعت لاصابه الرعدة الا ان تحفه العناية بتامين الرسول له وقد جاء انه ﷺ

تنازع فى الفاعل وهو الفيل فايهما اعملته اعطيت الآخر ضميره وقال الفراء العمل لهما معا وقال الكسائى اذا اعملنا الاول اضمرنا فى الثاني لانه اضمار بعد الذكر فى الحقيقة واذا أعملنا الثاني حذفنا فاعل الاول لانه لا يجيز ما يراه البصريون من الاضمار قبل الذكر ولا ما يجيزه الفراء من توارد العاملين على معمول واحد وعلى قوله ففى البيت حذف تامن وليس بين أري وأسمع تنازع فى المفعول وهو مالو يسمع اذ ليس المراد أري مالو يسمعه الفيل بل المراد أري مالو يراه الفيل لظل يرعد وأسمع مالو يسمعه الفيل لظل يرعد و فى البيت تضمين لان الجواب فى أول البيت الآتي قال

﴿ لظل يرعد الا أن يكون له * من الرسول باذن الله تنويل ﴾

اللام رابطة للجواب الذى بعدها بلو وظل بمعنى صار وقوله لظل يرعد يقتضي ثبوت الفعل ودوامه ولو قال لارعد لم يقتض ذلك ويرعد مبنى للمفعول يقال أرعد فلان اذا أخذته الرعدة ولك فى اللام أربعة أوجه احدها ان تعلقها بيكون اما على انها تامة أو على انها ناقصة وادعى انها دالة على الحدث وان أحد الظرفين الباقيين خبر والثاني ان تعلقها باستقرار محذوف منصوب اما على الخبرية على تقدير النقصان أو على الحالية على تقدير التمام أو النقصان والخبر غيرها والثالث ان تعلقها بتنويل وان كان مصدرا لانه لا ينحل لان والفعل ولهذا قالوا فى قوله

نبئت أخوالي بنى يزيد * ظلما علينا لهم فديد

ان ظلما يجوز أن يكون مفعولا لاجله عامله فديد وكثير من الناس يذهل عن هذا فيمنع تقديم معمول

دخل عليه رجل فجعل يرعد فقال هون عليك انما انا ابن امرأة من قريش تاكل القديد (قوله حتى وضعت يميني الخ) اي ثم وضعت يميني الخ فحتى بمعنى الفاء وهى عاطفة على قوله لقد أقوم وما بعد حتى داخل فى حكم ماقبلها فانه كان عند وضع يمينه فى كف رسول الله ﷺ أخوف منه فى غير تلك الحالة وانما خص يمينه لان الاشياء الشريفة كالاخذ والاعطاء والاكل والمصافحة تفعل باليمين والاشياء الخسيسة كالاستنجاء ومس الذكر وماشا كل ذلك تفعل باليسار ولا شك ان مصافحة النبي ﷺ من أعلى الامور الشريفة وارفعها رتبة وجملة لا انازعه حال من فاعل وضعت اى حال كوني غير منازع له وغير مخالف له فى شيء أصلا بل طائعاله وراضيا بحكمه فى ولا شك أن عدم منازعته ﷺ والدخول تحت امره والانقياد لطاعته من الامور اللازمة والواجبات المتحتمة حتى ان الله قارن طاعته بطاعته حيث قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وقال عز وجل قل أطيعوا الله والرسول وقال جل من قائل من يطع الرسول فقد اطاع الله الى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب طاعته وقوله فى كف ذي نقمات اى فى كف (٧٩) صاحب نقمات بفتح النون وكسر القاف وهى جمع نقمة بكسر النون وسكون القاف ككلمات جمع كلمة والمراد بصاحب النقمات النبي ﷺ لانه كان ينتقم من الكفار فكان شديد السطوة عليهم والاغلاظ لهم فى القول امتثالا لقوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وهذا لا ينافى انه رؤوف رحيم بالمؤمنين كما قال تعالى بالمؤمنين رؤف رحيم وقوله قيله القيل اى قوله هو القول المعتد به لكونه نافذا ماضيا فالقيل بمعنى القول فيهما والجملة صفة لذي نقمات المراد به النبي صلى الله عليه وسلم فلا يقول قولا من وعد او وعيد الا يقع ولا بد وحاصل معنى البيت انه وضع يمينه فى كف النبي صلى الله عليه وسلم صاحب الانتقامات من الكافرين الذي قوله هو القول النافذ حال كونه غير منازع له ولا مخالف له فى شيء من الاشياء يشير بذلك الى حاله مع النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وهو فى المسجد ووضع يده فى يده وقال يا رسول الله ان كعب بن زهير جاء ليستأمنك تائبا مسلما فهل أنت قابله ان أنا جئتك به قال نعم فقال يا رسول الله انا كعب على ما تقدم نقله (قوله لذاك أهيب الخ) اى والله لذاك أهيب الخ فاللام واقعة فى جواب قسم مقدر لان المقام يقتضيه ويحتمل انها للابتداء وفى نسخة فذاك بالفاء وعلى كل فاسم الاشارة عائد على ذي النقمات وهو النبي صلى الله عليه وسلم ويروي لكان بدل لذاك ومعنى أهيب أشد هيبة ويروي أرهب اى اشد رهبة اى خوفا وكل منهما أفعل تفضيل مبنى من فعل المفعول على حد قولهم اشغل من ذات النحيين وبين المفضل عليه بقوله فى البيت الذي بعده من خادر وعندي ظرف لاهيب أو أرهب على الروايتين وكذلك اذ على الصواب وجملة أكلمه فى محل جر باضافة اذ اليه اى وقت كلامي اياه ويروى اذ يكلمنى اى وقت كلامه اياي وقوله وقيل عطف على أكلمه او حال من ضميره اى واذ قيل لي او حال كونه قد قيل لى قبل ذلك وقوله انك منسوب اي انك يا كعب منسوب الي

المصدر مطلقا وهذا الاوجه فى كل من الظرفين وحيث قدرت احد الظرفين حالا فهو فى الاصل صفة لتنويل والتنويل العطية والمراد هنا الامان قال

(حتى وضعت يمينى لا انازعه * فى كف ذى نقمات قيله القيل)

أى لقد قمت فوضعت يمينى فى يمينه وضع طاعة والمنازعة المجاذبة وجملة لا انازعه حالية ونقمات بفتح النون وكسر القاف جمع نقمة نحو كلمات وكلمة وفعلهن كضرب يضرب بدليل وما نقموا منهم هل تنقمون منا وكعلم يعلم والقيل والقال والقول بمعنى وقد قرئ ذلك عيسى بن مريم قول الحق وقال الحق وروى بالاوجه الثلاثة قول الشماخ

وتشكو بعين ما أكل ركابها * وقيل المنادى أصبح القوم ادلجى

وفى هذا البيت سؤال وهو انه يقال ادلج القوم اذا ساروا أول الليل فكيف يجتمع الامر بالادلاج مع قوله أصبح القوم والجواب انه كان ينادي مرة أصبح القوم كما تامون ومرة ادلجى ومعنى قوله وتشكو بعين انها تشكو بعينها رمزا وايماء لانها لا تقدر على الكلام لاجل من حوطها وما مفعول بمعنى الذى وهى واقعة على السير وقوله قيله القيل جملة اسمية صفة لذى نقمات والمعنى قوله القول المعتد به لكونه نافذا ماضيا قال

(لذاك أهيب عندى اذا كلمه * وقيل انك منسوب ومسؤل)

اللام للابتداء ويحتمل ان يكون قبلها قسم مقدر لان المقام يقتضيه والاشارة الي الرسول صلى الله عليه وسلم ويروى ارهب وكلاهما اسم تفضيل مبنى من فعل المفعول كقولهم اشغل من ذات النحيين وأزهي من ديك وفصل بين افعل ومن بظرف مكان وظرف زمان وحال وعاملهن افعل ويحتمل ان عامل الحال يكلمنى أو أكلمه على اختلاف الروايتين والحال محكية على كل تقدير لان القول متقدم ومنسوب مسؤل عن نسبك اي لامثلت بين يديه وكنت قد قيل لي قبل ذلك انه باحث عنك ومسائلك عما نقل عنك حصل لى من الرهب ماحصل وفيه تضمين اذ لا يتم المعنى الا بالبيت الذي بعده وقال التبريزى اذ أكلمه جملة فى موضع الحال وكذا الواو فى وقيل انك منسوب واو الحال والتقدير لذاك أهيب عندي متكلما مسؤلا ومنسوبا اه ونسخه عبد اللطيف بحروفه فى كتابه وهو معترض من ثلاثة اوجه احدها ان اذ أكلمه ليس بجملة بل اذ مفرد مضاف الى جملة والثاني انه ليس فى أكلمه شيء منتصب على الحال بل اذ ظرف وأكلمه

أمور صدرت منك كقولك سقاك بها المأمون ومنعك اخاك بجير امن الاسلام وتعييرك له به وقوله وه . ول أى عن سببها أوعن نسبك فقد سأله ﷺ عما أوشي فى حقه للنبي ﷺ ليطالبه بالخروج منه وتكلم معه فى نسبه ومن أى قبيلة هو فان قيل ما الحكمة فى سؤاله عن نسبه واى غرض يتعلق بذلك اجيب بان ذلك من باب التوبيخ والتقريع له اذ كان أوي الى قبيلته التى هى مزينة تجيره من النبي ﷺ فابت ذلك عى ما تقدم ذكره وكأنه يقول من قبيلتك التى تجيرك منى ومن قومك الذين يعصمونك منى فقد تبرؤا منك وتخلوا عنك وحاصل معنى البيت ان النبي ﷺ أشد هيبة أو أشد رهبة عند كعب رضي الله عنه وقت كلامه معه ﷺ واخبر قبل ذلك بانه منسوب له امور صدرت منه ومسؤل عن سببها أو عن نسبه فلذلك اشتدت عليه هيبته فى خطابه وعظم وقع كلامه فى نفسه حتى وهنت قواه ودخله الروع وعظمت به الرهبة وقد تقدم من وصفه ﷺ انه اذا تكلم اطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير (قوله من خادر الخ) أى من أسد خادر الخ والجار والمجرور أعنى من خادر متعلق باسم التفضيل والمجرور هو المفضل عليه والخادر بخاء معجمة وبعد الالف دال ثم راء مهملتان هو الداخل فى خدره اى اجمته وهى الشجر الملتف وانما خص الاسد اشارة الى انه اعظم الحيوانات هيبة حتى يقال ان الانسان بمجرد رؤيته لا يستطيع الفرار منه لشدة الخوف منه فان قيل ما وصف الاسد بالخادر مع أن الشجاعة تقتضى البروز اجيب بان الاسد فى الوحوش كالملك فى الآدميين كلما كان مختفيا عن العيون كان أشد هيبة ووقعا فى النفوس ولذلك لا تزال الملوك تحتجب عن الرعية ليعظموا فى نفوسهم (٨٠) ولو خالطوهم لهانوا عليهم وايضا الاسد اذا لزم الخباء ازداد توحشه فتعظم جراءته واقدامه وقوله من ليوث الاسد أى كائن من ليوث الاسد والليوث جمع ليث والاسد بضم الهمزة وسكون السين جمع اسد فان قيل الليث والاسد مترادفان فكيف تصح اضافة احدهما الى الآخر اذ لا معنى لقولك من أسود الاسد أجيب بثلاثة أجوبة الاول ان الليث مشترك بين الاسد وضرب من العناكب يصطاد الذباب بالوثب فالاضافة من اضافة اللفظ المشترك الى أحد معانيه كعين الشمس الثاني ان المراد بالاسد القوية البالغة فى الشجاعة والضخامة والقوة مبلغا بحيث تكون هى الاسد بالنسبة الى غيرها من الاسود كما يقال خواص الخواص الزمان فترجع الاضافة الى اضافة العام للخاص الثالث ان الليث اسم للاسد بقيد الجلادة يقال رجل ليث اذا كان شديد الجلادة وحينئذ فيكون بين الليث والاسد مغايرة ما فكأنه قال من أجلد الاسد واقواهم وقوله مسكنه من بطن عثر أى مأواه من بطن عثر بفتح العين المهملة وتشديد المثلثة كشمر وهو اسم مكان مشهور بكثرة السباع ومن ابتدائية والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة خادر اى لمن خادر ناشىء من بطن عثر ففيه الفصل بين الصفة والموصوف بأجنبي وهو مسكنه الواقع مبتدأ وخبره غيل الاول والجملة صفة أخرى لخادر وغيل الثاني فاعل بالظرف قبله أو مبتدأ خبره الظرف قبله والغيل بكسر الغين المعجمة الاجمة ودونه أي قريب منه وفى نسخة بعده والمعنى ان مسكنه أجمة قريبة من أجمة وذلك أشد لتوحشه وقساوته وآكد لضرره وضراوته فان قيل لم خص هذا الاسد بكونه من بطن عثر أجيب بانه مكان معروف بالاسد لا يقال لا يكون مختفيا فى مكان داخل مكان الاشد الخوف من غيره لانا نقول قد تقدم ان الاسد كالملك كلما كان مختفيا كان أبلغ فى الهيبة ومقتضي ذلك انه كلما زاد اختفاؤه اشتدت هيبته وعلم مما تقدم ان مسكن الاسد يقال له خدر وغيل ويقال له أيضا أجمة وزأرة بفتح الزاي وسكون الهمزة من الزئير وهو صوت الاسد يقال زأر يزئر بفتح الهمزة فى الماضي وكسرها فى المضارع كضرب يضرب وقد يعكس كفرح يفرح وحاصل معنى البيت انه صلى الله عليه وسلم أهيب من أسد داخل خدره أى أجمته من أجلد الاسود ناشىء من بطن عثر مسكنه أجمة يقربها أجمة أخرى فيكون أشد

مضاف اليه ولا تكون اذ حالا أعنى متعلقة بكون منصوب هو حال لان الزمان لا يكون حالا من الجثة والثالث أن الجملة المقرونة بالواو وليس تقديرها منسوبا ومسؤلا بل مقولا لى انك منسوب ومسؤل قال

(من خادر من ليوث الاسد مسكنه * من بطن عثر غيل دونه غيل)

أى من ليث خادر وهو بالخاء المعجمة والدال المهملة أى داخل فى الخدر وهو الاجمة والظرف صفة لخادر ومسكنه غيل جملة هى صفة ثانية أو حال والغيل بكسر الغين المعجمة الشجر الملتف ثم انه نقل لموضع الاسد ويقال لبيت الاسد أيضا خدر وأجمة وخيس وعرين وعريس وعريسة وزأرة بفتح الزاى وسكون الهمزة اشتق اسم مكانه من اسم صوته وهو الزئير يقال زأر بالفتح يزئر بالكسر وقد يعكس والوصف من هذا زئر كفرح ومن الاول زائر كضارب قال عنترة

﴿ حلت بارض الزائرين فاصبحت * عسرا على طلابك ابنة مخرم ﴾

اي بارض الاعداء وعثر بفتح المهملة وتشديد المثلثة اسم مكان وامتناعه من الصرف للعلمية والوزن الخاص بالفعل ونظيره من الاسماء الآتية على وزن فعل خضم لمكان قال

﴿ لولا الاله ماسكنا خضما * ولا ظللنا بالمشائي قيما ﴾

وقيل الصواب ان خضم لقب لعنبر بن عمرو بن تميم وان التقدير ماسكنا بلاد خضم اى بلاد تميم لان خضم منهم وبذر اسم ماء وشلم بالمعجمة لبيت المقدس وبقم اسم لنبت يصبغ به ووقع عثر فى شعر زهير والد كعب قال ﴿ ليث بعثر يصطاد الرجال اذا * ما الليث كذب عن اقرانه صدقا ﴾

وقوله من بطن متعلق بمحذوف على انه حال من غيل وكان فى الاصل صفة له ولا يتعلق بمسكنه لان أسماء

توحشا وأقوى ضراوة (قوله يغدو الخ) الجملة صفة أخرى لخادر ومعنى يغدو بغين معجمة ودال مهملة يذهب في أول النهار يتطلب صيداً لولديه وفي بعض الروايات يغذو بغين وذال معجمتين من غذوت الصبي باللبن اذا ربيته وقد حصل التنازع على هذه الرواية بين يغذو وبين يلحم في ضرغامين فاعمل الثاني واضمر في الاول ضميرهما والتقدير يغذوهما ثم حذفه بخلافه على الرواية الاولى فلا تنازع فيها وانما خص ذهابه بالغدو التي هي أول النهار على الرواية الاولى لان الحركة في اول النهار أقوى بخلافها في آخره ولان ذلك أبلغ في الضراوة من حيث انه لا يأتي الصيد ليلا وهو نائم وانما يأتيه نهارا وهو في نشاطه وقوته وقوله فيلحم ضرغامين أي فيطعمهما لحما يقال لحمته من باب نفع أي أطعمته اللحم وحكى الاصمعي ألحمته فيلحم بفتح الياء والحاء على الاول وبضم الياء وكسر الحاء على الثاني والمراد بالضرغامين ولداه وهما تثنية ضرغام بكسر الضاد وسكون الراء وفتح الغين المعجمة وألف ثم ميم وهو كما قال ابن الاثير الاسد الضاري الشديد الاقدام واطلاقه على ولد الاسد الذي هو الشبل باعتبار ما يؤول اليه ففيه مجاز الاول فان قيل لم خص المثنى حيث قال ضرغامين ولم يقتصر على ذكر واحد ولم يزد على الاثنين أجيب بانه لم يقتصر على ذكر واحد لان في اطعام الاثنين زيادة شجاعة على اطعام الواحد بكثرة الاصطياد واما عدم زيادته على الاثنين فلعل الاثنين أكثر ما يلد الاسد وقوله عيشهما لحم من القوم أي قوتهما لحم مأخوذ من القوم وهم جماعة الرجال فالمراد من عيشهما قوتهما فان قيل لم خص طعامهما بلحم الآدميين أجيب بان الآدميين أكثر مدافعة من سائر الحيوانات خصوصا وقد خص ذلك بلحم القوم الذين هم جماعة الرجال مبالغة في الشدة والقوة وقوله معفور صفة لحم أي ملقى في العفر بفتحتين وهو التراب وانما خص اللحم بكونه يلقى على التراب لان القاءه عليه دليل على عدم اكتراثه به وربما دل ذلك على الشبع وعيافة اللحم (٨١) لكثرته كما في قول امرىء القيس يصف عقابا

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا
لدى وكرها العناب والحشف البالى

أى انها لكثرة اصطيادها تصير قلوب الطير ملقاة حول وكرها رطبا ويابسا لعيافتها عن أكلها وقوله خراديل صفة أخرى للحم أى قطع صغار جمع خردلة وهي القطعة من الشيء يقال خردلت اللحم اذا قطعته قطعا صغارا وانما خصه بكونه قطعا صغارا لشدة جراءته ويحتمل انه

الزمان واسماء المكان وأسماء الآلات لا تعمل شيأ لا في ظرف ولا في مجرور ولا في غيرهما فان جعلت المسكن مصدرا قدرت مضافا أى مكان مسكنه من هذا المكان غيل صح ذلك وفيه تكلف ويروى ببطن فيحتمل الحالية والخبرية * وغيل الثاني فاعل بالظرف لانه صفة اومبتدأ خبره الظرف والجملة صفة لغيل أي أنه في أجمة داخل اجمة وذلك أشد لتوحشه وقساوته ويروى من ضيغم من ضراء الاسد والضيغم فيعل من الضغم وهو العض قال أنشده سيبويه

وقد جعلت نفسي تطيب لضغمة * لضغمهماها يقرع العظم نابها

والضراء بكسر الضاد المعجمة جمع ضار على غير قياس وانما حقه ضراة كساع وسعاة ورام ورماة وهو من قولهم ضرى بكذا اذا اولع به قال

*(يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما * لحم من القوم معفور خراديل)*

يصف هذا الاسد المشبه به بالضراوة ويقول يذهب هذا الاسد في أول النهار يتطلب صيدا لولديه فيطعمهما لحما ويجوز في ياء يلحم الفتح راجحا والضم مرجوحا حكى الجماعة لحمته اى اطعمته لحما وحكى الاصمعي ألحمته والحاء مضمومة اذا فتحت الياء مكسورة اذا ضممتها والعيش هنا القوت اي قوتهما لحم بني آدم معفورا أي ملقى في العفر بفتحتين وهو التراب والخراديل القطع يقال خرذلت اللحم بالذال المعجمة وبالدال المهملة اذا قطعته صغارا صغارا قال

*(اذا يساور قرنا لا يحل له * ان يترك القرن الا وهو مجدول)*

(١١ — بانت سعاد) يفعل ذلك من باب الحنو على أولاده ليسهل عليهم أكله وحاصل معنى البيت ان هذا الاسد يذهب في أول النهار يتطلب صيد الولديه فيطعمهما لحما وقوتهما لحم من لحوم القوم ملقي في العفر وهو التراب قطع صغار وهذا كناية عن كونه أخوف وأهيب من غيره لانه يستلزم كونه كثير الاصطياد عظيم الافتراس (قوله اذا يساور الخ) اذا شرطية ويساور فعل الشرط وجملة لا يحل له الخ جواب الشرط والجملة الشرطية بتمامها صفة أخري لخادر ويساور بضم الياء المثناة تحت وفتح السين المهملة بعدها الف ثم واو مكسورة وراء مهملة فعل مضارع من المساورة وهي المثاوبة التي هي مفاعلة من الجانبين لان كلا يثب على الآخر والقرن بكسر القاف وسكون الراء وبالنون في آخره المقاوم في الشجاعة أو العلم او غيرهما وانما خص القرن اشارة الى ان هذا الاسد لا يساور ضعيفا ولا جبانا وانما يساور مقاومه في الشجاعة ومساويه في القوة وهذه طريقة الشجعان في الحرب حتي ان أحدهم اذا برز له من هو دونه في الشجاعة لا يبرز له ولا يقاتله وقوله لا يحل له ان يترك القرن الا وهو مفلول أي لا يتأتى له النكوص والهرب فيمنع نفسه من ذلك حتى كانه يحرم عليه أن يترك المقاوم له الا وهو مكسور مهزوم فالمفلول بفتح الميم وسكون الفاء وضم اللام وبعد الواو الساكنة لام معناه المكسور المهزوم وأصل الفل الكسر الحسي ومنه فل الحسام الذى هو السيف وهو ثلم حده قال الشاعر ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب ثم استعمل في غيره اتساعا وتجوز أو يروي الا وهو مجدول أى الا وهو ملقى على الجدالة وهى الارض فالمجدول

بفتح الميم وسكون الجيم وضم الدال المهملة وبعد الواو الساكنة لام ومعناها الملقى على الجدالة وهي الارض ولا يخفى ان في قوله ان يترك القرن اظهارا في مقام الاضمار اذ مقتضى الظاهر أن يقول ان يتركه وحاصل معنى البيت ان هذا الاسد اذا التقى مع مقاوم له في الشجاعة لا يتأتى له أن يترك هذا المقاوم له الا وهو مكسور ومهزوم أو ملقى على الجدالة على اختلاف الروايتين السابقتين واذا كان بهذه الصفة كان جديرا بأن يهاب لان هذه الحالة أتم حالات الشجعان وكان من خصائصه ﷺ أنه لا يجوز له أن يولي عن العدو ولو كان الوفا ولذلك لم يعرف انه ﷺ أدبر يوما في الحرب ولا ولى (قوله منه تظل الخ) أى من اجل ذلك الخادر تصير سباع

ما اتسع من الاودية أو البر الواسع ساكنة ممسكة فمن تعليلية والضمير عائد على الخادر ويقرأ منه بالاشباع وتظل بمعنى تصير والسباع جمع سبع وهو في الاصل اسم لكل حيوان كاسر ثم غلب استعماله في الاسد والجو ما اتسع من الاودية وقيل البر الواسع ويطلق على مابين السماء والارض والضامزة بضاد معجمة وبعد الالف ميم ثم زاي وفي آخره تاء التأنيث بمعنى الساكنة الممسكة في القاموس ضمز يضمز ويضمز من بابي ضرب ونصر سكت ولم يتكلم فهو ضامز وضمز البعير اذا أمسك جرته في فيه ولم يجترها وبعضهم قال ان الرواية ضامرة بالراء المهملة وفسرها بان سباع الوادى تظل جياعا لعدم قدرتها على الاصطياد خوفا منه فتصير ضامرة وقوله ولا تمشي بواديه الاراجيل اي ولا تمشي في وادى ذلك الخادر الرجال خوفا منه فتمشي بضم المثناة الفوقية

وفتح الميم وتشديد الشين المعجمة بمعنى تمشي والباء بمعنى في والضمير في واديه عائد على الخادر والاراجيل جمع ارجال جمع رجال المكان كاناعيم جمع انعام وارجال جمع رجل كافراخ جمع فرخ ورجل اسم جمع لرجل وهو ضد الفارس كالصحب اسم جمع لصاحب وحاصل معنى البيت ان هذا الاحد من اجل هيبته وشجاعته تصير سباع ما اتسع من الوادي أو البر الواسع ساكته ممسكة ولا تمشي في واديه الرجال تخاف منه جنسه من السباع وغير جنسه من الرجال وهذا أعلى مايكون من الهيبة والشجاعة

المساورة المواثبة والقرن بكسر القاف المقاوم لك في شجاعة أو علم والسوار بتشديد الواو الوثاب المعربد ومن هنا قيل للواحد من فرسان الفرس اسوار بكسر الهمزة واسوار بضمها وجمعهما أساورة والهاء عوض من الياء كزنادقة وقوله لا يحل له أى لا يتأتى ذلك له حتى كان محرم عليه وفيه تكرار الظاهر والجدول الملقى بالجدالة هي الارض ويروى مفلول أي مكسور مهزوم وأصل الفل الكسر الحسي قال

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

قال رحمه الله تعالى ﴿ منه تظل سباع الجو ضامزة * ولا تمشي بواديه الاراجيل ﴾

يصف هذا الاسد بان الاسود والرجال تخافه فالاسود ساكتة من هيبته والرجال ممتنعة عن المشي بواديه والجو البر الواسع وأخطأ من فسره هنا بما بين السماء والارض وضامز بالضاد والزاي المعجمتين يقال ضمز الرجل بالفتح يضمز بالضم ضمزا اذا سكت والبعير اذا امسك جرته في فيه فلم يجترها وكل ساكت فهو ضامز وضموز قال الشاعر يصف حمار وحش وابنه

وهن وقوف ينتظرن قضاءه * بضاحى عذاة أمره وهو ضامز

العذاة بالعين المهملة والذال المعجمة الارض الطيبة التربة والجمع عذوات وأمره منتصب بقضاءه محذوفا مبدلا من قضاءه المذكور ولا ينتصب بالمذكور لان الباء ومجرورها متعلقان بينتظرن ولا يفصل المصدر من معموله وقال الراجز يصف افعى

قد سالم الحيات منه القدما * الافعوان والشجاع الشجعما * وذات قرنين ضموزا ضرزما

روي برفع الحيات فالافعوان اما بتقدير فعل محذوف اى وسالمت القدم الافعوان واما بدل من الحيات وان كان مرفوعا لفظا لانه منصوب معنى ويروي بنصب الحيات فلا اشكال في ابدال الافعوان منه ثم قيل القدما فاعل مثنى حذفت نونه للضرورة وقيل انه جاء على نصب الفاعل والمفعول معا لامن الالباس كما يجوز رفعهما الذلك كقوله ان من صاد عقعقا لمشوم * كيف من صاد عقعقان وبوم وكما يجوز عكس الاعراب عند أمن الالباس أيضا كقولهم كسر الزجاج الحجر وخرق الثوب المسمار وتلخص من هذا انه سمع في اعرابي الفاعل والمفعول أربعة أوجه رفعهما ونصبهما ونصب الفاعل ورفع المفعول وعكسه وهو الوجه وماعداه لا يقع الا في الشعر أو في شاذ من الكلام بشرط أمن الالباس وقوله تمشي بضم التاء وفتح الميم بمعنى تمشي بفتح التاء وسكون الميم قال الشاعر

وخيفاء ألقى الليث فيها ذراعه * فسرت وساءت كل ماش ومصرم

تمشي بها الدرماء تسحب قصبها * كأن بطن حبلى ذات أو بين متئم

اي ورب روضة خيفاء أي مختلفة ألوان أزاهرها وكل مختلف اللون فهو أخيف والليث الاسد أي أنها مطرت بنوء الاسد والماشي صاحب الماشية الكثيرة يقال أمشي ومشي بالتشديد اذا كثرت ماشيته قال

وكل فتى وان اثرى وأمشي * ستخلجه عن الدنيا منون

وقياس الوصف منه ممش وقد سمع ولكن الاكثر ماش كأيفع فهو يافع وأينع الثمر فهو يانع وأبقل

(قوله ولا يزال بواديه الخ) بواديه بالاشباع خبر ليزال مقدم وأخو ثقة اسمها مؤخر فهذا البيت فى توسط الخبر كقول الشاعر ألا يا أسلمى يادارمى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر والضمير فى واديه عائد على الخادر السابق وقوله أخو ثقة المراد منه هنا الشجاع الواثق بشجاعته فكأنه يواخي الوثوق بنفسه ويلازمه وقوله مطرح البز والدرسان اى مطرح بزه ودرسانه فمطرح بضم الميم وفتح الطاء وتشديد الراء المهملة المفتوحة وبحاء مهملة فى آخره بمعنى مطروح وهو صفة لقوله اخو ثقة وان كان نكرة لان اضافة مطرح لما بعده ليست محضة فلا تفيده التعريف والبز بفتح الباء الموحدة وبالزاى المشددة المراد به هنا السلاح وان كان مشتركا بينه وبين أمتعة البزازين والدرسان بكسر الدال وسكون الراء وفتح السين المهملات وبعدها الف ثم نون جمع درس بكسر وسكون وهو الثوب الخلق الذى قد درس فمعنى الدرسان الثياب الخلقة التي قد درست وقوله مأكول صفة اخرى لقوله اخو ثقة اي مأكول لذلك الخادر وحاصل معنى البيت ان ذلك الخادر لا يزال فى واديه الشجاع المتوثق بشجاعة نفسه المطروح سلاحه وثيابه الخلقه (٨٣) التى قد درست والمأكول لذلك الخادر فلما أكله اطرح سلاحه وثيابه البالية وانما كانت ثيابه كذلك لانه قد قطعها ذلك الخادر باثيابه فهو لايمر بواديه شجاع الا أكله وطرح سلاحه وثيابه الخلقة التي مزقها فلا يولع الا بالشجعان ولا يلتفت لغيرهم (قوله ان الرسول لسيف الخ) ويروى ان الرسول لنور الخ وفى هذا البيت رجوع الي تمام مدحه ﷺ بعد أن وصف الاسد الذى جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد هيبة منه وجعله صلى الله عليه وسلم على الرواية الاولى سيفا من قبيل التشبيه البليغ كما فى قوله زيد أسد على طريقة الجمهور وجوز السعد أن يكون استعارة فقول التبريزى وجعله سيفا استعارة مبنى على طريقة السعد ولذلك قال ابن هشام وليس كذلك وانما يسمي مثل هذا عند أهل البيان تشبيها مؤكدا ه وهو ناظر لطريقة الجمهور وقوله يستضاء به أي يهتدى به الي الحق وقد كانت عادة العرب انهم اذا أرادوا استدعاء من حولهم من القوم شهروا السيف الصقيل فيبرق فيظهر لمانه من بعد فيأتون اليه مهتدين بنوره ومؤتمين بهديه وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء بالنور المبين والمعجزات الظاهرة ودعا الناس اليه أتوا مهتدين بنوره الساطع ومؤتمين بضيائه اللامع وقوله مهند بضم الميم وفتح الهاء وتشديد النون المفتوحة وبالدال المهملة فى آخره اي منسوب الى الهند وانما نسب اليه لان سيوف الهند أحسن السيوف وقوله من سيوف الله أى من سيوف عظمها الله بنيل الظفر والانتقام ويروى ان كعبا قال أولا من سيوف الهند فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيوف الله وقوله مسلول أى مخرج من غمده ولما وصل كعب الي قوله ان الرسول لسيف يستضاء به رمى ﷺ عليه بردته الشريفة وبذل له فيها معاوية عشرة آلاف فقال كعب ما كنت لاوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الي ورثته عشرين الفا واخذها منهم كما تقدم والرواية الثانية أعنى قوله ان الرسول لنور الخ أحسن كما قاله ابن هشام وقد ورد فى القرآن من هذا المعنى يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا

المكان فهو باقل والمصرم الذي ذهبت ماشيته والمعنى فسرت هذه الروضة صاحب الماشية وساءت الذى ذهبت ماشيته ولا بد من تقدير مضاف أى وكل مصرم اذ فى البيت لف ونشر ولا يستقيم الا بذلك والدرماء بالدال المهملة الارنب وسميت بذلك لتقارب خطاها وانما سمي دارم بن مالك دارما لان أباه سئل فى حمالة فامره أن يأتيه بخريطة فيها مال فجاء وهو يدرم تحتها من ثقلها والقصب بضم القاف واسكان الصاد المهملة المعى وفى الحديث رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه فى النار وذلك لانه اول من سيب السوائب وبحر البحائر والجمع أقصاب قال الاعشي

وشاهدنا الجل والياسمين * والمسمعات باقصابها

أى باوتارها وهى تتخذ من الامعاء يعنى أن الارنب تسحب بطنها فى هذه الروضة كانه بطن حبلى ذات ثقلين فى بطنها ولدان والجل فى بيت الاعشى بضم الجيم فارسي معرب والاراجيل جمع أرجال كالاناعيم جمع انعام وارجال جمع رجل كافراخ جمع فرخ ورجل اسم جمع راجل كالصحب اسم جمع صاحب قال

﴿ ولا زال بواديه أخو ثقة * مطرح البز والدرسان مأكول ﴾

هذا البيت فى توسط خبر زال بمنزلة قوله

الا يا اسلمى يادارمى على البلى * ولا زال منهلا بجرعائك القطر

وذلك لان الظرف خبر مقدم وأخو ثقة اسم مؤخر والمراد به هنا الشجاع الواثق بشجاعته ومطرح صفة له وان كان نكرة لان اضافة مطرح ليست محضة فهو نكرة أيضا والبز بفتح الباء وبالزاي مشترك بين أمتعة البزاز وبين السلاح وهو المقصود هنا والدرسان أخلاق الثياب وهو معطوف على البز وأحرفه مهملة مكسورة الاول جمع درس بالكسر أيضا وهو الدريس أى الثوب الخلق الذي قد درس ومثله فى تكسير فعل على فعلان صنو وصنوان وقنو وقنوان ومأكول صفة ثانية لاخو ثقة قال

﴿ إن الرسول لسيف يستضاء به * مهند من سيوف الله مسلول ﴾

قال ابن دريد اشتقاق السيف من قولهم ساف ماله أي هلك لان السيف سبب للهلاك وفيه نظر لان المعروف أساف الرجل يسيف أي أهلك ماله وساف المال يسوف بالواو اى هلك حكاه يعقوب وحكى ايضا رماه الله بالسواف بالفتح أى بالهلاك وحكاه الاصمعى بالسواف بالضم واتفقا على الواو ويقال

وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فسماه الله سراجا منيرا على سبيل التشبيه لكونه يهتدى به كما يهتدى بالسراج المنير (قوله فى فتية من قريش الخ) لما مدح النبي ﷺ بما تقدم أخذ فى مدح المهاجرين من الصحابة رضي الله عنهم فقال فى فتية قريش الخ أي حال كونه كائنا أو مبعوثا فى فتية من قريش فقوله فى فتية متعلق بمحذوف حال من الرسول فى قوله ان الرسول لسيف وبعضهم جعله متعلقا بمحذوف خبرا آخر أي كائن أو مبعوث فى فتية من قريش والفتية بكسر الفاء وسكون التاء وفتح الياء وبتاء التأنيث فى آخره جمع فتى وهو السخى الكريم وان كان شيخا ويروى فى عصبة وهى الجماعة من الناس ما بين العشرة والاربعين ومن قريش صفة أولى لفتية ومن بمعنى بعض وقريش قبيلة مشهورة وقد اختلف فى أبيها فذهب قوم الى أنه النضر بن كنانة والراجح انه فهر بن مالك بن النضر المذكور كما قال العراقي فى السيرة اما قريش فالاصح فهر * جماعها والاكثرون النضر وانما خص قريشا بالذكر لان غالب المهاجرين كانوا منهم وقوله قال قائلهم أى قال القائل الذى هو من تلك الفتية فالجملة صفة ثانية للفتية واختلف فى ذلك القائل فقيل هو حمزة بن عبد المطلب وقيل هو عمر بن الخطاب وقوله ببطن مكة أى فى بطن مكة فالباء بمعنى فى (٨٤) وبطن مكة واديها وبطحاؤها ومكة اسم للبلد الحرام ويقال لها أيضا بكة بالباء بدل الميم وبهما جاء القرآن الكريم قال تعالى وهو الذي كف أيديهم عنكم وايديكم عنهم ببطن مكة وقال عز وجل ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وقيل بالميم الحرم كله وبالباء المسجد وقيل اسم لموضوع الطواف خاصة وقوله لما أسلموا أي حين أسلموا فلما بمعنى حين وهى ظرف لقال وأول من اسلم خديجة بنت خويلد زوج النبي ﷺ باتفاق ثم أسلم بعدها على بن أبي طالب ثم زيد ابن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قد اشتراه وأعتقه ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه ثم أسلم جماعة كثيرون وقوله زولوا فعل أمر من زال التامة أي تحولوا وانتقلوا من مكة الى المدينة فهو أمر لهم بالهجرة وحين انشد كعب هذا البيت نظر النبي ﷺ الى أصحابه الكرام كالمعجب لهم من حسن مقوله وجودة شعره وكأنه على فى حاله وقال لهم اسمعوا أخرجه الحاكم والبيهقى وحاصل معنى البيت انه ﷺ كائن أو مبعوث فى جماعة من قريش وصفة تلك الجماعة انه قال القائل منهم حين أسلموا تحولوا من مكة الى المدينة فاختاروا الهجرة من أوطانهم ليفوزوا بدينهم (قوله زالوا الخ) اي ذهبوا وهاجروا من مكة الى المدينة وهذه هى الهجرة الثانية فان الصحابة رضي الله عنهم هاجروا هجرتين الاولى الى أرض الحبشة وذلك انه لما اشتد أذى كفار قريش لمن أسلم بمكة أذن رسول الله ﷺ لمن ليس له عشيرة تحميه بالهجرة الى أرض الحبشة فهاجر منهم جماعة وأقاموا فى جوار النجاشي فأحسن نزلهم وعاملهم بالكرامة وارسلت قريش له فى طلبهم وهادوه على ذلك فلم يرض الثانية الى المدينة الشريفة وكان ابتداؤها ان النبي ﷺ يدعو قبائل العرب فى موسم الحج الى الله تعالى ويقول يابنى فلان انى رسول الله اليكم أن تعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيأ وان تتركوا ما تعبدون من دونه وان تؤمنوا بي وتصدقوني فلم يجبه أحد فاتفق انه خرج فى الموسم مرة فلقى ستة رجال من أهل المدينة وكانوا من الخزرج فعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فآمنوا به ثم انصرفوا الى المدينة فدعوا قومهم الى الاسلام فاسلم منهم خلق كثير وفشا فيهم الاسلام ثم لقى النبي صلى الله عليه وسلم فى العام

سيف مهند وهندوانى منسوب الى الهند وسيوف الهند أفضل السيوف ويستضاء به معناه يهتدي به الى الحق ويروي لنور يستضاء به وهو حسن قال التبريزى وجعله سيفا استعارة انتهى وهذا فى اصطلاح البيانيين انما يسمي تشبيها مؤكدا لا استعارة اذ شرط الاستعارة عندهم طى المشبه ويروى ان كعبا رضى الله عنه أنشد من سيوف الهند فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سيوف الله قال

﴿ فى فتية من قريش قال قائلهم * ببطن مكة لما أسلموا زولوا ﴾

فى فتية خبر آخر ومتعلق بمسلول والفتية والفتيان والفتو والفتى بضم أوله وبكسره كالعصي جمع فتى والاولان فى كتاب الله تعالى وقال لفتيته وقال لفتيانه والثالث شاذ لان أصله فتوى على فعول فكان حقهم أن يبدلوا واوه ياء ويدغموها فى الياء ومنه قول جذيمة

فى فتو أنا رابئهم * من كلال غزوة ماتوا

ونظيره فى الشذوذ قولهم فى المصدر الفتوة والمفرد الفتى وهو السخي الكريم وان كان شيخا ويروي فى عصبة وهى الجماعة من الناس ما بين العشرة الي الاربعين والظرف والجملة الفعلية صفتان لفتية أو لعصبة وهذا القائل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وزولوا انتقلوا من مكة الى المدينة يعنى بذلك أهجره قال

﴿ زالوا فما زال انكاس ولا كشف * عند اللقاء ولا ميل معازيل ﴾

زال هذه تامة معناها هنا ذهبوا وانتقلوا وهى التى بنى منها الامر فى البيت السابق ومضارعها يزول وقد اجتمع الماضي والمضارع فى قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد أى ما يمسكهما من أحد من بعده وأما الناقصة فهى زال يزول ولا تعمل الا بعد نفى أو نهى نحو ولا يزالون مختلفين وقول الشاعر

صاح شمر ولا تزل ذاكر المو * ت فنسيانه ضلال مبين

والانكاس جمع نكس بكسر النون وهو الرجل الضعيف المهين شبه بالنكس من السهام وهو الذي انكسر فوقه فيجعل أعلاه أسفله والكشف بضمتين جمع أكشف وهو الذي لا ترس معه فى الحرب والميل جمع أميل وله معنيان كل منهما صالح هنا أحدهما الذى لا سيف معه والثاني الذى لا يحسن الركوب ولا يستقر

الآخر اثنى عشر رجلا من الانصار فبايعهم على ان لا يشركوا بالله شيأ ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق وبعث معهم مصعب بن عمير فلما قدم المدينة دعا من بها الى الاسلام فكان ممن اسلم على يديه سعد بن معاذ وحمل قومه على الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم فآمنوا به عن آخرهم وفشا الاسلام بالمدينة حتى لم يبق فيها دار من دور الانصار الا دخلها الاسلام ثم عاد مصعب الى مكة فى ثلاثة وسبعين رجلا ممن أسلم من الانصار بعضهم من الاوس وبعضهم من الخزرج فاجتمعوا بالنبى صلى الله عليه وسلم عند العقبة فقالوا يا رسول الله ما لنا ان قتلنا دونك قال الجنة قالوا فابسط يدك لنبايعك فبايعوه على ذلك وانصرفوا راجعين الى المدينة وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة الى المدينة فخرجوا امتثالا بين واقام هو صلى الله عليه وسلم بمكة حتى يأذن له ربه فلما اذن له خرج من مكة ليلا ومعه أبو بكر الصديق وأقاما بغار ثور ثلاثة أيام ثم خرجا منه وتوجها الى المدينة وأقام على بعد النبي صلى الله عليه وسلم بمكة الى ان ادى ودائع للناس كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم وقوله فما زال انكاس اى فما تحولوا انتقل ضعاف فالانكاس بفتح الهمزة معناه الضعاف جمع نكس بكسر النون وهو الرجل الضعيف وقوله ولا كشف بضم الكاف والشين المعجمة جمع اكشف وهو الذي لا ترس معه فى الحرب وكان مقتضي القياس تسكين الشين كأحمر وحمر فلعل ضمها سماعى (٨٥) او لضرورة النظم وقوله عند اللقاء أي عند ملاقاة الاعداء وقوله ولا ميل بكسر الميم جمع أميل وهو الذى لا سيف معه أو الذي لا يحسن الركوب ولا يستقر على السرج قال جرير يهجو قوما لم يركبوا الخيل الا بعد ما هزموا * فهم ثقال على اكفالها ميل وقوله معازيل اي ولا معازيل فالمعنى على العطف والمعازيل بفتح الميم والعين المهملة وبعد الالف زاي مكسورة ثم ياء ساكنة ولام فى آخره جمع معزال بكسر الميم وهو الذي لا سلاح معه والمشهور فيه أعزل ومنه سمى النجم المشهور الاعزل لمقابلته النجم الآخر المسمي بالرامح لكونه فى هيئة رجل بيده رمح ويقال لهذين النجمين السماكان وما أحسن قول المعري فى ذلك لا تطلبن بغير حظ رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل أى لا رمح له معه ثم ان قوله فما زال انكاس الخ كناية عن قوة شجاعتهم لانه يدل على انهم زالوا عن مكانهم وانتقلوا عن أوطانهم ومع ذلك لم يزل عن لقاء الاعداء ومحاربتهم ضعفاؤهم ومن ليس معه ترس ولا سيف ولا سلاح فكيف باقويائهم وأصحاب الترس والسيف والسلاح وقيل المعنى هاجروا من مكة الى المدينة وليس فيهم من هذه صفته بل المهاجرون كلهم أقوياء ذووا أسلحة كلما سمعوا صيحة طاروا اليها وقاموا اعلاها وثبتوا لديها وهذا هو الذى اقتصر عليه السيوطى (قوله شم العرانين الخ) أي هم شم العرانين الخ فهو خبر لمبتدا محذوف والشم بضم الشين المعجمة جمع أشم وهو الذي فى قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه مأخوذ من الشمم وأصله الارتفاع مطلقا والعرانين بفتح العين جمع عرنين بكسرها وهو الانف ثم ان قوله شم العرانين محتمل لمعنيين أحدهما انه أراد ان يكون فى قصبة أنوفهم ارتفاع حقيقة وهو من الاوصاف الحميدة التى فى تكوين خلق الانسان وقد جاء فى وصف النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اشم العرنين ثانيهما أن يكون استعار ذلك لرفعة القدر والعلو لانه يقال للرجل المرتفع القدر فى أنفه شمم وقوله ابطال صفة أو خبر ثان والابطال جمع بطل بفتحتين وهو الشجاع سمي بذلك لانه تبطل عنده دماء خصمه وتذهب هدرا فلا يؤخذ منه بالثار لشجاعته أولانه تبطل فيه الحيل فلا يتوصل اليه فوصفهم بكونهم شجعانا ولا شك ان الشجاعة من أحد الاوصاف التى يتمدح بها ويقع الافتخار بسببها

على السرج قال جرير يهجو قوما

لم يركبوا الخيل الا بعد ما هزموا * فهم ثقال على اكفالها ميل

ومن يجوز حمل المشترك على معنييه أو على معانيه دفعة جاز عنده هنا الحمل على المعنيين معا ووزن ميل فعل بضم أوله والكسرة عارضة لتسلم الياء ومثله عيس وبيض والمعازيل جمع معزول وهو الذى لا سلاح معه والمشهور رجل أعزل قال

ولكن من لم يلق أمرا ينوبه * بعدته ينزل به وهو أعزل

والاصل ولكنه أي ولكن الشأن فحذفه وقالوا لاحد السماكين الذين فى السماء السماك الاعزل لانه لا رمح معه كالسماك الرامح وما أحسن قول المعري

لا تطلبن بغير حظ رتبة * قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السماكان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

ويجوز أن يكون جمعا لمعزال وهو الضعيف الاحمق والمعنى زالوا من بطن مكة وليس فيهم من هذه صفته بل هم أقوياء ذوو سلاح فرسان عند اللقاء قال

﴿ شم العرانين أبطال لبوسهم * من نسج داود فى الهيجا سرابيل ﴾

الشم جمع اشم وهو الذى فى قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه والمصدر الشمم واصله الارتفاع مطلقا والعرانين جمع عرنين وهو الانف والابطال جمع بطل وهو الذي تبطل عنده الدماء وتذهب هدرا ولا يدرك عنده بالثار وقيل الذي تبطل فيه الحيل فلا يوصل اليه واللبوس بفتح اللام اللباس قال *البس لكل حالة لبوسها* والمراد به هنا ما يلبس من السلاح والنسج المنسوج وداود النبي عليه الصلاة والسلام ومنسوجه الدروع وقتادة كانت الدروع قبله صفائح وهو أول من سردها وحلقها

وقوله لبوسهم باشباع الميم مبتدأ خبره وقوله سرابيل ومن نسج داود صفة لقوله لبوسهم وفى الهيجاء متعلق بمحذوف حال من المضاف اليه وهو الضمير فى لبوسهم أي حال كونهم فى الهيجاء ويحتمل ان قوله من نسج داود خبر اول وسرابيل خبر ثان واللبوس بفتح اللام مايلبس من السلاح والمراد بنسج داود عليه الصلاة والسلام منسوجه وهو الدروع والهيجا بالقصر هنا ويجوز فيها المد أيضا لكن فى غير النظم وهي الحرب والسرابيل جمع سربال وهو الدرع أو القميص كما فى المصباح ومراده بذلك وصفهم بان لبوسهم فى الحرب من أصنع الدروع وأمنعها لانه جعلها من نسج داود نبي الله عليه الصلاة والسلام ولاشك ان دروعه احكم الدروع صنعة لان تعلمه لتلك الصنعة من الله تعالى كما قال تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من باسكم فهل انتم شاكرون ولان الله تعالى ألان له الحديد كما قال تعالى وألنا له الحديد ان اعمل سابغات الآية وحاصل معنى البيت أن فى انوفهم ارتفاعا وانهم ذوو رفعة وعلو مقدار وفى الحرب فى غاية من الشجاعة ومنعة من السلاح * وفيه اشارة الى امتثال قوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الآية فان قيل كيف مدحهم بلبس الدروع مع ان القتال دونها أعلى فى رتبة الشجاعة أجيب بان تمام الحزم الاحتراز ولذلك أمر الله تعالى باخذ الحذر والاسلحة فى قوله تعالى خذوا حذركم وأسلحتكم وقد انكر عبد الملك بن مروان على الشاعر حين امتدحه بقوله

على ابن أبي العاص دلاص حصينة * اجاد المسدى سردها (٨٦) فادالها يود ضعيف القوم حمل قناته * ويستضلع القرم الاشم احتمالها

ولم يمدحه بمثل قول الاعشى فى قيس بن معديكرب واذا اتى بكتيبة ململومة شهباء يخشى الرائدون نهالها كنت المكرم غير لابس جنة بالسيف تضرب معلما ابطالها واجاب الشاعر عبد الملك بقوله يا أمير المؤمنين قد وصفتك بالحزم ووصف الاعشى صاحبه بالجنون وبالجملة فالمدح بلبس الدروع وأخذ السلاح أتم ولذلك ذهب اليه كعب رضي الله عنه فى مدح المهاجرين رضي الله عنهم (قوله بيض سوابغ الخ) البيض جمع أبيض وهي صفة اولى لسرابيل والمراد منها المجلوة الصافية المصقولة لكونهم يديمون الحرب لان الحديد مهما استعمل انجلى وصفى وانصقل ولم يركبه الصدا والسوابغ بالسين المهملة وبالغين المعجمة (لا) جمع سابغ وهي صفة ثانية لسرابيل والمراد منها الطوال السوابل ويلزم من ذلك انهم فى غاية القوة لان الدروع اذا كانت طويلة سابلة كانت أثقل من غيرها وحملها فى الحرب مع ثقلها يدل على الشدة والقوة وقوله قد شكت بالبناء لما لم يسم فاعله ونائب الفاعل ضمير يعود على الدروع وهذه جملة فعلية وقوله لها حلق جملة اسمية فهما جملتان على هذا ويحتمل ان نائب الفاعل هو حلق ويكون الكلام جملة واحدة واللام فى لها على هذا بمعنى من أي شكت منها حلق ثم انه روي شكت بالشين المعجمة بمعنى أدخل بعضها فى بعض وانما يكون ذلك فى الدروع المضاعفة فالشك بالشين المعجمة فى الاصل ادخال الشيء فى الشيء وروي سكت بالسين المهملة بمعنى ضيقت فتلك الدروع قد ضيق بين حلقها فالسك بالسين المهملة اضيق ومنه اذن سكاء اى ضيقة والحلق بفتحتين على الصحيح وضبطه الاصمعي بكسر الحاء ومفردها حلقة باسكان اللام على الصحيح أيضا وضبطه ابو عمرو بالفتح وقال ابو عمرو الشيباني ليس فى الكلام حلقة بالتحريك الا جمع حالق وقوله كانها حلق القفعاء اى كان تلك الحلق التى هى حلق دروعهم حلق القفعاء بفتح القاف وسكون الفاء وفتح العين المهملة بعدها الف ممدودة وهى شجر ينبسط على وجه الارض له حلق يشبه به حلق الدروع وجملة كانها الخ صفة لحلق وقوله بجدول صفة أخرى لحلق اى بجدول كل واحدة منها فلا يرد ان الموصوف وهو حلق جمع والصفة وهى بجدول مفردة وفيه الوصف بالمفرد بعد الوصف بالجملة وهو جائز فصيح ومنه قوله تعالى فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين ومعنى بجدول محكم الصنعة ففيه اشارة الى ان لهم اعتناء بآلة الحرب حيث لم يتخذوا منها الا محكم الصنعة عزيز الوجود وحاصل معنى البيت ان دروعهم صافية مجلوة مصقولة طويلة تامة

جمعت الخفة والتحصين والسرابيل جمع سربال والظرف صفة لسرابيل قدم عليه فانتصب على الحال قال ﴿بيض سوابغ قد شكت لها حلق * كانها حلق القفعاء مجدول﴾ بيض سوابغ صفتان لسرابيل ومعنى بيض مجلوة صافية ومعنى سوابغ طوال تامة مفردها أبيض وسابغ لان السربال مذكر وفاعل يجمع على فواعل فى مسائل منها أن يكون صفة لما لا يعقل كقوله * لنا قمراها والنجوم الطوالع * وأصل الشك ادخال الشيء فى الشيء ومنه قوله * فشككت بالرمح الطويل ثيابه * والمراد به هنا ادخال بعض الحلق فى بعض وانما يكون ذلك فى الدروع المضاعفة ويروي سكت بالسين المهملة أى ضيقت يعني ان حلق الدرع قد ضويق بينها والسك الضيق ومنه اذن سكاء أى ضيقة من قولهم استكت الاذن اذا استدت وقيل انما الاذن السكاء التى لا يبين لها نتوء كآذان الطير والجملة الفعلية صفة ثالثة لسرابيل والاسمية صفة لحلق والحلق بفتحتين جمع حلقة بالاسكان على غير قياس هذا هو الصحيح وخالفه الاصمعي فى الجمع فقال حلق بكسر الحاء كبدرة وبدر وقصعة وقصع وخالف أبو عمرو فى المفرد فقال حلقة بالفتح وقال ابو عمرو الشيباني ليس فى الكلام حلقة بالتحريك الا جمع حالق والقفعاء بقاف بعدها فاء بعدها عين مهملة شجر ينبسط على وجه الارض يشبه حلق الدروع والمجدول المحكم الصنعة وفيه تقديم الوصف بالجملة على الوصف بالمفرد وهو جائز فصيح ومنه قوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين هذا هو الصحيح قال

تداخل بعضها فى بعض محكمة الصنعة (قوله لا يفرحون اذا نالت الخ) أي لا يحصل فرح ولا سرور لهم اذا أصابت رماحهم الاعداء وغلبوهم بان ذلك من عادتهم بكونهم يكثرون الظفر بالاعداء والفرح انما يكون بالشيء النادر القليل الوقوع فنالت بمعنى أصابت ورماحهم باشباع الميم والرماح معروفة وتقدم أن القوم هم الجماعة من الرجال وقوله وليسوا مجازيعا اذا نيلوا أي وليسوا كثيرين الجزع والخوف اذا اصيبوا او غلبوا لجلدهم وصبرهم على الحرب فاذا غلبهم العدو فلا يجزعون ولا يمنعهم ذلك من ملاقاته مرة ثانية خوفا فمجازيعا بفتح الميم وبجيم وبزاى معجمة وبالياء الساكنة وعين مهملة جمع مجزاع وهو كثير الجزع والخوف وهو هنا مصروف للضرورة ومعنى نيلوا أصيبوا وحاصل معنى البيت انهم اذا غلبوا عدوهم لا يفرحون بذلك لكونه من عادتهم التي تقع لهم (٨٧) كثيرا واذا غلبهم العدو لا يجزعون من لقائه ثانيا (قوله يمشون مشي الجمال الخ) أي يمشون مشيا مثل مشي الجمال الخ فمشي نائب عن صفة مصدر محذوف وهو مبين للنوع وغرضه بذلك وصفهم بامتداد القامة وعظم الخلق والرفق فى المشي وبياض البشرة وذلك دليل على الوقار والسودد فهم سادات لا عبيد وعرب لا اعراب وقوله الزهر صفة للجمال وهو بضم الزاى جمع أزهر وهو الابيض وقوله يعصمهم ضرب أي يمنعهم ويحميهم من الاعداء ضربهم اياهم بالسيوف والرماح لا التحصن بالحصون والقلاع وقوله اذا عرد أى وقت ان فر وأعرض فاذا بمعنى وقت وقد تنازع فيه يمشون ويعصمهم وعرد بفتح العين المهملة وتشديد الراء وفى آخره دال مهملة ومعناه فر وأعرض وهذا هو المناسب هنا وامار واية غرد بالغين المعجمة بمعنى أطرب بالرجز والشعر فلا معنى لها هنا كما قاله ابن هشام فى شرحه وقوله السود جمع اسود وقوله التنابيل بفتح المثناة الفوقية ثم نون ثم الف بعدها باء موحدة مكسورة وياء مثناة تحتية ساكنة ولام فى آخره جمع تنبال كتمساح وهو القصير وحاصل معنى البيت انهم يمشون الى الحرب كمشي الجمال البيض ويمنعهم من الاعداء ضربهم لهم وقت فرار القزم ومن لازم ذلك كمال شجاعتهم وغاية رسوخهم فى أمر المحاربة (قوله لا يقع الطعن الخ) أى لا يقع طعن القوم لهم فى ظهورهم بل فى نحورهم اذ لا ينهزمون حتى يقع الطعن فى ظهورهم بل يقدمون على أعدائهم فلا يقع الطعن الا فى صدورهم فمعنى نحورهم باشباع الميم صدورهم وقوله وما لهم عن حياض الموت تهليل ويروى فما لهم بالفاء أى ليس لهم من الامكنة التى فيها يجتمع الموت كحيضان الماء التى فيها مجتمعة تهليل أى تأخر فالحياض بالضاد المعجمة جمع حوض بمعنى الامكنة التى فيها

(لا يفرحون اذا نالت رماحهم * قوما وليسوا مجازيعا اذا نيلوا)

يقول اذا ظفروا بعدوهم لم يظهر عليهم الفرح واذا ظهر عليهم العدو لم يحصل لهم الجزع يصفهم بالشجاعة وكبر الهمة وشدة الصبر وقلة المبالاة بالخطوب والمجازيع جمع مجزاع وهو الكثير الجزع وصرفه للضرورة وقال (يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم * ضرب اذا عرد السود التنابيل)

يصفهم بامتداد القامة وعظم الخلق وبياض البشرة والرفق فى المشي وذلك دليل على الوقار والسودد والزهر جمع أزهر وهو الابيض يعني انهم سادات لا عبيد وعرب لا اعراب ومشى مصدر مبين للنوع وهو فى الاصل نائب عن صفة مصدر محذوف أى مشيا مثل مشي ويعصم يمنع ومنه سآوي الى جبل يعصمني من الماء والجملة حال والمعنى يحميهم من أعدائهم ويكفهم عنهم ضرب وعرد مهملة الاحرف أى فر وأعرض قال التبريزي ومن روى غرد يعني بالغين المعجمة أراد طرب انتهى ولا معنى لهذه الرواية والسود جمع أسود والتنابيل القصار والمفرد تنبال والتاء فيه زائدة وهو أحد ما جاء من الاسماء على تفعال بالكسر كالتمساح والاكثر تمسح بالقصر والتبراك والتعشار لموضعين والتلقاء والتقصار للقلادة الشبيهة بالمخنقة ويقال تقصارة أيضا والجمع تقاصير واذا كان التفعال مصدرا فهو بفتح الاول لا غير كالتحوال والتطواف الا كلمتين التبيان والتلقاء قال الله تعالى تبيانا لكل شيء وتقول لقيته تلقاء أى لقاء وأما قوله تعالى تلقاء أصحاب النار فهو من باب الاسماء وانتصابه على الظرف وقد خطىء من ينشد قوله

وما زال تشرابي الخمور ولذتي * وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي

بكسر التاء ويقال انه عرض بهذا البيت بالانصار رضى الله تعالى عنهم وان سبب ذلك انهم كانوا احراصا على قتله ويقال انه شبب بام هانيء بنت ابي طالب رضى الله عنها وأراد بعض الانصار قتله ويروى ان المهاجرين رضي الله عنهم لما سمعوا هذا البيت قالوا اما مدحتنا من هجا الانصار فمدحهم رضي الله عنهم أجمعين قال (لا يقع الطعن الا فى نحورهم * وما لهم عن حياض الموت تهليل)

وصفهم بانهم لا ينهزمون فيقع الطعن فى ظهورهم بل يقدمون على أعدائهم فيقع الطعن فى نحورهم وروي أنه لما أنشد هذا البيت نظر عليه الصلاة والسلام الى من كان بحضرته من قريش كأنه يومىء اليهم أن اسمعوا ومثل لهذا البيت قول الحصين بن الحمام

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد * لنفسي حياة مثل ان أتقدما
فلسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أقدامنا تقطر الدما
تفلق هاما من رجال اعزة * علينا وهم كانوا أعق وأظلما

روى تقطر بالمثناة من فوق فالدما اما مفعول لانه يقال قطر الدم وقطرته والمعنى تقطر الكلوم الدم واما تمييز

مجتمع الموت كحيضان الماء ويروي حياض الموت بالصاد المهملة جمع حوص بمعنى مضائقة وشدائده وجملة وما لهم الخ اما

على ان الالف واللام زائدة كقوله

رأيتك لما ان عرفت وجوهنا * صددت وطبت النفس ياقيس عن عمرو

ويروى بالمثناة من أسفل فالدما فاعل استعمله مقصورا وهو الاصل فيه وعليه قيل فى التثنية دميان قال

فلو أنا على حجر ذبحنا * جرى الدميان بالخبر اليقين

ولكن الاستعمال الكثير بحذف لامه فى الافراز والتثنية وتهليل مصدر هلل عن الشيء اذا تاخر عنه يقول لا يتاخرون عن حياض الموت اذا تاخر غيرهم عنها ونكص وعن متعلقة بالتهليل وان كان مصدرا وقد مضى القول فى ذلك غير مرة وهذا آخر ما لخصته فى شرح هذه القصيدة المباركة وقد تطفلت بشرحها على كرم الممدوح فيها صلى الله عليه وسلم وبه أستشفع الي ربي أن يصلح قلبي ويغفر ذنبي وينجح قصدي ويوفر من احسانه جدى وان يغفر ذلتي ويصلح لي فى ذريتي وان يفعل ذلك بي وباحبابي وبجميع أهلي بمنه وكرمه والحمد لله أولا وآخرا والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه آمين (قال المصنف) تغمده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه أعلى فراديس الجنان وافق الفراغ من ذلك الثامن عشر من رجب الفرد سنة ست وخمسين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

الخاتمة

تم بتيسير الله ومعونته شرح علامة الأدب واللغة الامام ابن هشام الانصارى على قصيدة (بانت سعاد) التى مدح بها كعب خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام وبهامشه حاشية شيخ الاسلام الشيخ ابراهيم الباجوري على هذه القصيدة الغراء.

ولقد بذلنا فى العناية به من المجهود ما نرجو أن يرضي الأدب والأدباء ، وعلماء اللغة والمتعلمين لا نقصد بذلك الا رضاء الله تعالى وإرضاء العلم والادب .

نفع الله به والأدباء والمتأدبين والعلماء والمتعلمين .

وكان الفراغ من طبعه فى شهر شعبان المكرم سنة ١٣٤٦ هجرية على صاحبها أفضل صلاه وأزكى تحية .

معطوفة على الجملة الفعلية أو حالية من الضمير فى نحورهم أو معترضة للمدح وقد روى أنه لما أنشد كعب هذا البيت نظر رسول الله ﷺ الى من كان بحضرته من قريش كانه يومى اليهم ان اسمعوا ويؤخذ من هذا ومن نظيره فيما تقدم استحباب سماع هذه القصيدة لما اشتملت عليه من نعوت الحضرة النبوية وأوصاف أصحابه المرضية وغيرها من الفضائل البهية والشمائل السنية ومعرفة القواعد العربية والفوائد الادبية ويوجد فى نسخ المتن بيتان ليس من كلام الناظم وهما قبله

يا خير حاف بل ومنتعل * فالهم مجتمع والقلب مشغول

تكون للآل والاصحاب قد جمعت * فكلهم لي محبوب وموصول

ولم يكتب عليهما ما بايدينا من الشراح لكونهما ليسا من كلام من فاز بالفلاح وقد ختم كلامه فى المبنى بما يناسب ابتداءه فى المعنى فانه قد ابتدأه بذكر الفراق وختمه بذكر الموت ولا ارتياب فى انه ليس بين [الموت] والفراق فرق عند ارباب الاشتياق فبلغت القصيدة من الحسن أقصى غايته وانتهت الى منتهى نهايته فنسأل الله تعالى ان يتفضل علينا بالجزاء الاوفى وأن يبلغنا المقام الاسنى ويلحقنا بالرفيق الاعلى من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين